المشرق

مجلة كاثوليكية شرقية

تبحث في العلم والآداب والفنون

تصدر ستة اجزاء في السنة فتؤلف مجلّداً ذا ٨٠٠ صفحة
مزدانةً بالصور والخرائط والفهارس الواسعة

بادارة آباء جامعة القديس يوسف

○

السنة الستون

المطبعة الكاثوليكية
بيروت – لبنان
١٩٦٦

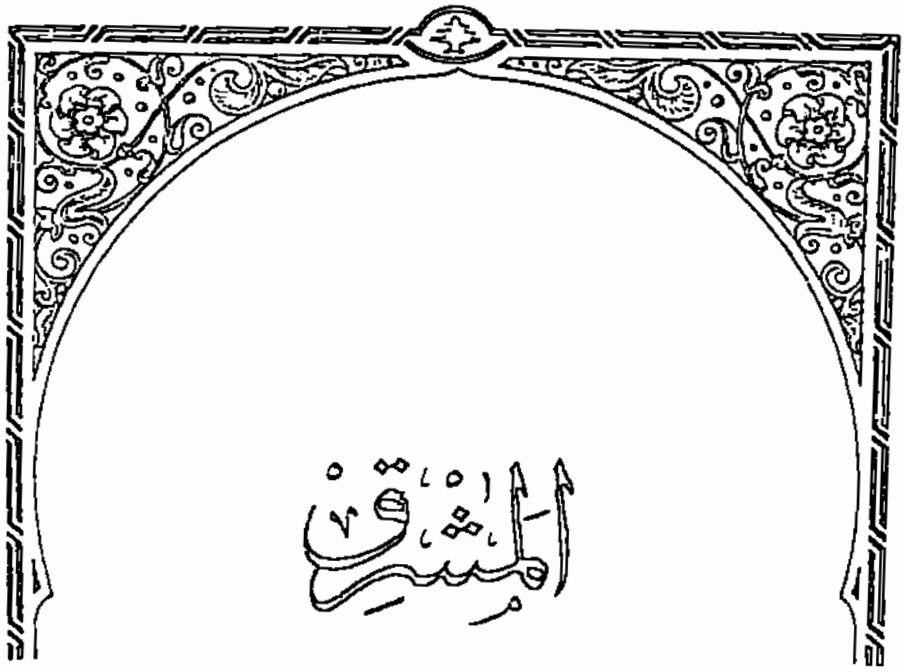

السنة الستون كانون الثاني – شباط ١٩٦٦

الشاعر نقولا فياض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

الدكتور نقولا فياض اللبناني قد اشتهر في ميدان الشعر ، مثل اخيه المرحوم الياس ، سنة ١٩٥٠ صدر في بيروت ديوانه « رفيف الاقحوان » . في هذه المقالة نضرب صفحاً عن القصائد المنظومة في شرخ شبابه . وعن التي عرّبها بتصرف عن الفرنسية والالمانية .

لم نجد في ديوانه قصيدة على فلسفة الحياة ، بيد ان له بضعة ابيات يُستشف منه جهله او تجاهله لغاية حياتنا القصوى السامية . واستخفافه بالدين وادعاؤه انه يقيد العقل . بل يستعبده . هاكم بعض ما نظمه لابداء تلك الآراء الفائلة :

ما قصدُ ربك بالوجود ، وقد غدا كل امرئ بضلاله يتمادى ؟

ان الحياة جنايةٌ ، افما كفى حتى اردت خلودها ، يا جانِ ؟

قال عن الجامعة الاميريكية البروتستانية في الاسكندرية :

انت رُمت العقل حرًّا مطلقاً ؛ لم يقيَّـــد بقيود المذهب .

يقول عن نفوس الموتى للارض :

ارواح من نبكي بعثتِ رسومهـــا في الزهر ضاحكةً وفي الاغصانِ .

فلا بدع بكونه متشائماً ، لا يرى في حياته الارضية سوى غيوم شكوكها وظلمات احزانها وبلاياها . اول قصيدة غير معربة في ديوانه ، عنوانها « يأس » ؛ اليكم بعض ابياتها الملأى قنوطاً :

لم ابلغ العشرين بعد . وهمتي ملّت بميدان الحياة جهادا !...
كم قامة كان الربيع لها حلى . فمضى وصار لها الخريف حدادا !
لم تجن منك يداي يوماً وردة إلا استحالت بالشقاء قتادا !
نارٌ يجددها الرجاء باضلعي . فيعيدها اليأس الجديد رمادا !

له قصيدة طويلة في تعظيم نبي المسلمين ؛ دونكم شيئاً منها :

نبيَّ العُرب ، الهمني بيانا ، على عجزي اهز به الزمانا ،
وأرفـــع للنفوس لواء حق ، وأبسطه على الدنيا امانـــا ؛
واجعـــل في حنايا كل صدر لمولـــدك المبـــارك مهرجانا...
ومن مهـــد قُريشيّ عديم تعـــالى النور فاكتسح الزمانا !
فيا لك مولداً حفتـــه دنيا ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا !...
واعطـــاهم على الاسلام ديناً يوزع في الورى الشيَم الحسانا !
فيا دنيا ؛ استعزّي ، ان فجراً جديداً للمكارم فيك بانا !

يقول انه يتوق كل التوق الى رفع لواء حقيقة الاسلام وبسطه على العالم اجمع ؛ فلماذا لم يرفعه ويبسطه على ذاته ؟ يؤكد ان النور قد تعالى من مهد محمد « ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا » ؛ فلماذا لم يستنر بذلك الضياء الباهر : ولم يسير في صراط الهدى ؟

له عدة قصائد جميلة يُبدي فيها آراءً سديدة على الحياة وبعض شؤون المجتمع الكبرى . هاكم ابياته الرائعة على سمو الحياة ، وهي تكذيب صريح لما باح لنا به عن يأسه المضّي :

قالوا «لقد شاخ الزمان» ، وما دروا ان الحياة جديدة لا تهرمُ ؛
وهي الغنية ، مـــا شكا من فقرها الا فقير القلب ، يعوزه الدم .

يـا هادم الآمال ، ماذا تبتغي ... بنيانه بدلاً بها . اذ تُهدم ؟
اليأس مجلبة الخمول ، فلا تقُـل ... « عمرٌ يزول » . اذا عداك المغنم .
ما القبر غاية كل حيّ مثلما ... زعموا . فللانسان غايٌ اعظم :
ان يملأ الأيام من اعماله . ... فتظل بعد سكوته تتكلم ! ...
لو يعلم الانسان مـا يستطيعه ... بالحب . لم يك في البرية مجرم .
الحب اعذب ما يقال ويُشتهى ... والذ مـا نظم الزمان وينظم :
فتمسكوا بصلاتـه وترفقوا ... بصلاتـه . وانا السعيد وانتم !

في « الشاعر والموميا » قد ابدع بايضاحه ان كنه الحياة ليس في الجمود ، بل في التطور والتكامل . تقول الموميا للشاعر الذي حسدها على نومها الطويل الهنيء :

بل ليتهم طرحوا رُفـاتي في الفلا ... لوحوشهـا نهباً وللعقبـان .
فاعود للكون الذي فـارقته ، ... ويجدد الدهر الجديد كياني .
تلك الحياة ، وليس مـا ضمّختمُ ... جسدي به وكحلتمُ اجفاني ! ..
كلٌ يناديني ، فتخفق اضلعي ... لصداه تحت لفائف الكتان :
« قومي . فقد دعت العناصر . والبسي ... حُلل الطبيعة وامرحي بأمان ،
« نحتلّ من جسم الوجود صميمه ، ... ونشارك الافلاك في الدوران ،
« قومي ، لعلك زهرة البستان او ... روح تحرك زهرة البستـان ،
« ولربما اتخذت محـاجرُ كاعب ... منك الفتور للحظها الوسنان . »

« سفرة في الحياة » وصف مبتكر رائع للقتال الشديد المتواصل بين نفسنا التوّاقة الى ذرى الفضائل وجسمنا الميال الى اسفل الدنايا ، هاكم باقة من اجمل ابياته :

يا لعُمر مشيا فيه معا :

جسدي النازل من شهوتـه ... سُلّم العار ، وروحي الساميهْ !

يا لعمر مشيا فيه معا !

مشيـا ، كلٌ الى غايتـه ... مثـل خصمين ، ولم يختصما ،
فهو لا يشبع من لذتـه ، ... وهي لا تعرف الا الالمـا ،

يا لعمر مشيا فيه معا !

المعاصي من نصيب الاول ، ... وكفاف الزهد حظ الثانيه ...
اذ يكن في سيره ضـل السبيلْ ، ... ورماه الطيش في ليل عنيفْ ،

فهي لم تبرح مع الأفق الجميل ، تسحب النور على ذيل عفيف ؛
يا لعمر مشيا فيه معا !
رفعتْه فهوى ، قومتــه فالتوى ،
ضاع منها في اعاصير الهوى !
فاذا مــا حملتْ معه ذنوبهْ ، فهي لم تبرح من الله قريبــهْ ؛
ولقد مات غريباً مثلما عاشت غريبه ،
جــدي النازل من شهوتــه سُلم العار وروحي الساميهْ !

اجاد كل الاجادة في تعظيم المرأة وبيان كونها ، مع الرجل ، القطبين اللذين يدور المجتمع حول محورهما :

اجثو عــلى أقدام جنسك ذاكراً امي ، فلولا الام مجدك بادا !
وأُجل فيك رفيقــة العمر التي تحْيي العيال وتحضن الاولادا ،
واكرّم الاخت التي بحناتهــا تُنسي السقيم الطب والعُوادا !
ضل الذي ظن الحياة جميلــة في البعد عنك ؛ ومن يطيق بعادا ؟
الكون شعرٌ ، انت بيت قصيده ؛ لولاك ما عرف الورى انشادا !

لله درّه حين صرّح بأن جمال المرأة الاسمى ليس في محاسن جسدها يسطوع حُلاها ، بل في حصافة عقلها ونُبل قلبها وطهارة اخلاقها :

دعني من الجيــد والمعصم ولحظ سلمى ؛ فلم ترحمي ؛
ولا تذكري لي رماح القدود وورد الخــدود ودُر الفم .
هو الحُسن في العقل قبل المحيّا ، فحلّي حديثك ثم ابسمي ؛
ومن خُلُق نــاعم فالبسي حريرًا على الجسد الانعم .
ولا تأمني نَضرةً في الخدود ، اذا هي للقلب لم تنتم ؛
وحسْبك ، يا هند ، روحٌ ترفّ من الطهر في ثوبهــا المُعْلم !

توخى الابتكار في وصف فظائع الحرب واهوالها ، فجعله بجسارة مستحسنة على لسان الارض ، وهي تسرده لسكانها المتباغضين المتوحشين :

ما لنجوى الاسلاك[1] لا تستفز اليوم اصداؤها سوى آلامي ،
ولخطّ الحديد ، ارجف من قضبانه ، وهي اضلعي وعظامي ؟

١) يعني الشاعر اسلاك التلغراف والتلفون

والجواري ، من الضفاف اليها نظراتٌ ليست حديث حيام ؛
وعلى الطائرات الف سلام يوم كانت لراحتي وسلامي !
رُسُل الفكر والدمار ، وقبلاً حملت ثروتي وصانت حطامي !
الى هذه المخازي انتهيتم بعد نهك العقول والاجسام ،
وعصور من ظلمة وشقاء وخنوع وثورة وانتقام !
بئس عمرانكم وحكمة جيل افسدته سياسة الحكام !

يدّعي نقولا انه لا يحب النساء سوى حب روحي محض :

قالت : « اود بان يكون هواك لي حباً تنزه عن عيوب الناس ؛
« يسمو بنا نحو السماء ، فلا نرى فيْ كأسنا الا صفاء الكأس ؛
« ونعيش بالروحين يجمع بيننا ادب الحياة ورقة الاحساس .
« وتكون لذتنا التي لا تنتهي خمر الحديث يطيب في الأنفاس.»..
فأجبتها : « اوليس هذا مذهبي في الحب ، تعرفني به جُلاسي .
« تتحطم الشهوات عند ارادتي ، وتمر مثل سحابة في راسي ؟ »

بيد انه يكذّب ذلك الادعاء تكذيباً صريحاً في « زيارة من غير موعد » ، حيث يصف لنا الحب الجنسي قارعاً باب داره ، فقصد الشاعر ان يصرفه قائلاً :

عبثاً تطلب الدخول ، فنفسي ، ايها الحب ، قد سلمتك طويلا ،
نسيتْ عادة الصبابة والشكوى وذكر العهود والتقبيلا ...

فألان الحب قلب نقولا بالبكاء والاستعطاف ، وما لبث الشاعر ان فتح له بابه ، بل اجلسه على عرش فؤاده ؛ فقال عن استعباد الحب له :

قُضي الأمر بيننا ، وبداري اصبح الحب حاكماً ما شاء !

القصائد الغزلية البحتة قليلة في ديوانه ؛ غير ان لمحتها الملتهبة دليل واضح على شغفه ببنات حواء ؛ هاكم شيئاً من وصفه لسحر عيونهن :

يا للعيون وما يحركه بها من كامن الأسرار جفنٌ فاترُ !
خُلقت سبيلاً للضلالة والهدى ، لم ينج منها مؤمن او كافر !
فيها معانٍ للخمور وللطيور وللزهور ، وللبحور مناظر ...

الموت فيهـا والحياة تلاقيا : الموت سرٌّ ، والحياة الظاهر .
في دقة التركيب اضعف كائن انسانهـا ؛ وهو الاله القادر !

قد سمعتم تأليبه لعيون معشوقاته . في « لبنان بعد الحرب » يصف لنـا مغازلته لاحداهن : معترفاً بان حسنها الفتان قد اسكر حواسه ؛ فاسكت صوت احتجاج ضميره :

كان لي عهـد على تلك الصخورْ من مطلّ السفح للوادي الخصيبْ :
ارشف الكوثر من ثغر طهور : واناجي الله في لحظ الحبيب ؛
والخلودُ في ورودْ خده الفتانْ ! ...
خلوةٌ اغنى بها شعري الخيالْ عن معاني الزهد في شعر الضريرْ[1] .
وحبيبي نـاشر بَرد الجمال حاجزًا ما بين قلبي والضمير ،
فتراني في افتناني صاحياً سكران !

يقول لمعشوقة اخرى ، في قصيدة قد اطلق بعض ابياتها من قيود الوزن ، كما اطلق شهوته من قيود العفاف :

ان اكن احببت حباً خـاليـاً ؛ فلقـد احببت فـاكِ ؛
ان اكن احببت حباً مؤلمـاً ؛ فهُمـا مقلتاكِ !
ان اكن احببت حباً لا يطاقْ ؛ فهو ذاك الخصر مشدود النطاقْ ؛
وهو ذاك الجيد والقد الرشيقْ ! ان اكن احببت حباً لا أفيقْ
منه ؛ فهو الجسدُ ناعمٌ يتقـدُ !
قـد تمتعت طـويلاً بجمالكْ ،
وشفت نفسي غليلاً من وصالك ،
وانا اطلب ذا اليوم وصولا لخيالك ...

لعمري ، ما ابعد ذلك اخوى الشهواني المضطرم عن الحب الروحي العُذري الذي ادّعاه نقولا في قصيدته « قالت » !

قلما يعالج المواضيع الوصفية المحضة ؛ غير انه يجيد النظم فيها . هكذا يصف « الاعمى الجائع » :

---

١) قد عنى نقولا بالضرير الشاعر المشهور ابا العلاء المعرّي .

الفجر حول سريره يتبسمُ ؛ والفجر في عينيه ليل مظلمُ ؛
تمشي اشعته على اهدابه ؛ فيردّهـا عنه ستـار مُحكم...
ذهب القضاء بنجمتيه ؛ فما الذي ترجي اليه شمسه والانجم ؟
هذا هو الاعمى ، وحسْب فؤاده جوعاً ، فكيف به اذا جاع الفم ؟

هاكم وصفه للخدم الجليلة التي قامت بها نساء روسية بنشاط عجيب في الحرب العالمية الثانية ؛ يخاطب احداهن قائلاً :

جسمك الغض يحمل الزاد ليلاً ؛ ومزار الاحباب ناءٍ طويلُ .
وجريحٌ على اللظى يتلوى ؛ مر دهر ، ولم يُبلّ عليل ؛
فاض منك الحنان برداً عليه وسلاماً ، رواقه مستطيل !
تنجدين الأنصار خلف الأعادي ؛ الهدى انت ، ان يضل الدليل ؛
وتقيمين في المصانع ، يرعى آلة الحرب زندك المصقول .
اعوز الارضَ ساعدٌ يجتليها ؛ واستغاثت حزونها والسهول ؛
فهززت المحراث يؤتي جناها ، واطمأنت مزارعٌ وحقول .

قد صوّر لنا نجوم الليل وما اخفته من اسرار غامضة ، تصويراً ممتازاً بالابتكار والطبيعية ، في الابيات التالية :

ما نجوم الليل الا مُقل ترنو الينا ،
مُقل الاموات ممن ذكرهم غال علينا !
فاذا ما الشمس غابت والدجى غمر الارض اماناً وحنانا ،
اقبلت من عالم الغيب علينا لترانا .
يانجوم الليل ، من تلك الثقوبْ ارسلي النور الى قلبي الكئيبْ :
واغمري بالوحي روحي ، علّها ترتوي من ظمإ فيها غريب...
وليكن ، يا ليل ، في صمتك لي صيحة تنفذ اعماق القلوب :
ابعثُ الشعر بها بين الملا ، ينشر الحب ويحيي الاملا ،
ويظل الليل ستّار العيوب !

لا مراء في ان نوع الشعر الذي يميل اليه اشد الميل ، هو الغنائي ، وله مهارة غريبة في اقتباس مواده المتنوعة من مصادر عديدة ، نذكر منها محاسن الطبيعة ، سحر الفنون الجميلة ، الحوادث الجُلى المفرحة والمحزنة . هاكم شيئاً من مناجاته لظلمات الليل :

تهدات الورى ، ما تصنعين بها ؟ قولي، وهل تحفظين السر ادهارا ؟
وما تقول لك الاحلام طـائرةً من الجفون : اذا طيف الكرى طارا ؟..
يا ليل : يا ليل ، كم ناداك من طرب صوت المغني ، فما حركت اوتارا !
ان كنت للراحة الكبرى خُلقت ، فكم ارحت عيناً وكم اتعبت افكارا !...
تزحزحي : يا غيوم الأفق وانقشعي ، وارسلي ، يا عيون الافق انوارا ؛
بل فاحملي على اشباه اجنحة ؛ حتى ارى غير دار البؤس لي دارا ؛
اودّع القطعةَ اللحمَ التي اسرتْ روحي ، وأصبح في الآفاق سيّارا ؛
فلا أرى الدم فوق الأرض مندفقاً ، والبغض يضرم فيها النار والعارا !

قد عبّر هكذا عن شدة افتتانه بعزف صبيّة على البيانو :

ليس البيانو الذي باتت تكهربه يداك ، اطوع من قلبي وافكاري ؛
لمسته فتنشى السحر بي ؛ فكما تهتز اوتاره ، تهتز اوتاري !
اصابع العاج هذي تلعبين بها ، ام تلعبين باسماع وابصار؟...
اثرتِ فيّ من الاشجان كامنها ، فبتُّ اسهر ليلي حول تذكار ؛
كزهرة القفر في الظلماء ، ليس لها من مؤنس غير نور الكوكب الساري.

قد ترنم ترنم الفرح والاعجاب بانتصار اليونانيين على الالمان الغُزاة ، في الحرب العالمية الثانية ؛ وقارن ذلك الظفر الباهر بالذي احرزوه حين انتهك الرومان القدماء حرمة وطنهم :

إيه ؛ يا موطن الغطارفة الاغريق ، زدني جوى وزدني حنينا !
لست انسى عدوان روما وطاغيها ، وكيف استباح العرينا ؛
فرأى ما أشاب منه النواصي ، واثـار الاعجاب في العالمينا !
ثم جاء النازي يصبّ عليك النار طيرًا ودارعاً وسفينا ،
ويدين الاحرار ، حتى اذا مـا ازفتْ ساعة انتقامك ، دينا ؛
فخبـا نجمه وضل هداه : وحبتك الاقدار نصرًا مُبينـا !

رثاؤه لاخيه الياس آخذ بمجامع القلوب ، ولا سيما وصفه لتباريح المرض الاخير الذي عالجه فيه :

ابدًا اراك على فراشك صابرًا ، ويكاد يعصيك اللسان الطيّع ...
ابدًا اراك ، وانت تنظر لي ، وفي نظراتك النبأ الذي لا يخدع !

وتبيت تسألني ؛ ونبضك هارب من انملي ، هل في شفائك مطمع ؛
واري دبيب الموت فيك ، فأنثني متبسماً ، وحشاشتي تتقطع !
ابداً اراك ، ويا لها من رؤية ! نزل القضاء وكان ما اتوقع ؛
قد أطبقت منك الجفون ، وعُطّل القلب الحنون ، وغاض ذاك المنبع !

لقد ابدع ايضاً في رثائه لفرنكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، الذي انتقل الى جوار مولاه سنة ١٩٤٥ ، قبل ختام الحرب العالمية الثانية ، وقد اراد ان تخوض بلاده غمارها بجانب فرنسة وحلفائها ، لانتصار الحق والعدل على القوة المادية الطاغية :

في كل ارض يوم نعيك مأتمٌ ، يبكي الشقيّ عليك والمتنعمُ !
ما كان ضرك لو صبرت هنيهةً ليكون عيد النصر عيدك معهم ؛
فقدوا ابتسامتك التي كانت لهم نوراً ، اذا عبس الزمان المظلم !
اسست للاجيال بعدك عالماً : واردته لا دمع فيه ولا دم ! ..
نبّهت للجُلّى عزائم امة كانت تنام على الحرير وتنعم ،
ونفخت روحك في البلاد جميعها ، فاذا البلاد مدافعٌ تتكلم !

قد هزّت وطنيته المضطرمة مراراً عديدة اوتار عوده الشعري ، فاخرجت منها الحاناً بديعة . هاكم صدى لوعته المضنية على الاقواء والدمار الحائلين ، اللذين شاهدهما في وطنه ، بعدما هلكت ربوات من اهاليه جوعاً في الحرب العالمية الاولى :

زرتُ ذياك الحمى بعد الغيابْ ، وانا ارجو شفاء العللِ ؛
لم اجد فيه لتذكار الشباب اثراً يحيي دفين الاملِ ،
والحدادْ في البلادْ يبعث الاشجانْ !

وقف حصة كبيرة من شعره الوطني على اصلاح المجتمع اللبناني ، وعلى الاخص باستقباح الطائفية الحائلة كل الحيلولة دون اتحاد النصارى والمسلمين والدروز والعلويين :

وطني يهدّمه الشقاء ، ولا ارى كفاً تطيح بمعول الهدّام ؛
الطائفية قطّعت اوصاله ، وسياسة الاحزاب والارحام .
نفخ التعصبُ فيه اسوأ نافخ ، ورماه بالتفريق ابشع رام ،
وكوارث الحدثان لم تترك له من جسمه الجبار غير عظام !

قد نادى مرارًا بضرورة استئصال الرذائل التي تفاقم انتشارها في وطنه العزيز . منذ اوائل هذا القرن المادي : العابد للمال والملذات :

ما لاخلاقنا تزيد فسادًا ... كلما زاد بيننا التأثيلُ ؟...
نكبة الشرق انا لا نضحّي ... ابداً ، والكرام فينا قليل :
نكبة الشرق ان فينا خنوعاً . ... فنحابي من اجله وتميل .
يسرق الجائع الرغيف . فيُمنى ... بضروب التشهير ، وهو ذليل :
والذي يسرق الالوف عزيز . ... وله دون غيره التبجيل !

وعمّارات تُشترى في سوقها ... وتباع السلع العجاف صمائر .
ونفوذ دين او نقود زعامة . ... واحكم بينهما صعيب حائر .
والعلم والادب الرفيع مسخّر ... للمال . وهو بما يسخر ساخر .
واشد من هذا وذا حزبيّة . ... في كل منطقة عليها ساهر .
يرعى دسائسها ، فان هي اخفقت ... هدّمات خلفها وحاجر !
هاتوا المعاول ، يا شباب ، وهدّموا ... ان كان للآتي يشيد الحاضر !

يجيد اشعال لهيب الوطنية الصادقة في قلوب اهل جبل الارز ، بتذكيرهم مآثر كثير من اعيان مواطنيهم الشهداء . الذين قتلهم الحكام الاتراك بمجرد هيامهم بلبنان وسعيهم وراء استقلاله :

اولا تسمعون شبه حفيف ... من وراء القبور ، وهو نداءُ :
« ايها العائشون . نحن سكبنا ... من دمانا لتستفيق دماء !
« ايها العائشون . نحن وضعنا ... أُسّاً للعلى ، فاين البناء ؟...
« نحن كنا للحق نعمَ الضحايا ، ... افكنتم للحق نعم الوقاء ؟
« ليس من مات فاستراح بميتٍ ، ... انما الميّت زمرةٌ اشقياء ! »

قد ابدى براعته في معالجة الشعر الرمزي ، الذي تمثله في ديوانه قصيدة واحدة طويلة « البنفسجة » :

هي زهرة بجوار ساقية ... نبتت وعاشت عيشة الطهر :
لم تدر غير العشب متكأ ، ... وسوى عناق الماء لم تدر .

سئمت من عيشها المقترة الوضيعة ، فتاقت الى الجولان ، وحثها الكبرياء على الارتقاء الى ذروة جبل شامخ ، فذاقت من احوال وعورة العقبات وثورة

العواصف ما ذاقته ، وحين وصلت الى القمة ، ماتت من لغوبها وخيبة آمالها .

مسكينةٌ قد غرها طمع هو كالسراب لكل مغترٍّ ؛
ظنت بان لها العلاء غنى ؛ فاذا بـه فقرٌ على فقر !
ما كان اغناها واسعدها لو لم تفارق ضفة النهر !

قد ابدينا في الصفحات السابقة رأينا في اهم انواع الشعر التي عالجها نقولا ، وذكرنا عليها امثلة عديدة تمكّن القراء من تحقيق صحة نقدنا . اما الآن فنعبّر عن رأينا في محاسن انشائه وشوائبه .

لغته غير كاملة العروبة : لا تندر فيها الاخطاء . منها استعمال كلمات بمعناها اللبناني العامي ، كالقهر (الحزن) والدفّة (السُكّان) ، والنبع (الينبوع) . الحركات المطبوعة كثيرة الاخطاء : علَيهِم (عليهم) ، جُماد (جَماد) ، حِرمة الصدق (حُرمته) ، سَميدع (سَميدع) ، شِريان (شَريان) ، طُرس (طِرس) ، طِفت الارضَ (طُفت فيها) . أعطي (أُعطي) ، لا تَلوي على امر (لا تلوي عليه) ، عيشَ الطير (عُشه) .

باء الجر تتبع مرارًا افعالا متعدية : ظننتُ بان العلاء غنى — ترى الاطيارُ بانك فتنتها — اودّ بان يكون هواك لي .

الابتكار من اجل حُلى انشاء نقولا ، حتى في الاوزان الشعرية ، وقد رأى القراء ذلك في بعض ما ذكرناه من قصائده . في « زهرة الاحسان » نجد كل بيت مركباً من اربعة اجزاء متساوية الوزن ، والثلاثة الاولى ذات قافية واحدة ، وذلك من الصعوبة بمكان :

قد مرّ من عمري عشرون في الحجر ، ولم يزل فكري بذكرها نشوانْ .

في « الارض تخاطب الانسان » نلقى ابياتاً متتابعة على وزنين مختلفين :

وكيف أُصاب بـالحرم ، ومن ذهب الضياء دمي ؟ ...
صحبتُ ذنوب الزمان ، فلم اجد مثـل يومي وآفاتـه .

الابتكار في الخيالات اشد منه في الاوزان ، اذ نجده في الغالب غير مرة في القصيدة ذاتها ، اليكم بعض الامثلة :

الثلج (بمعنى الشيب) في رأسي — دبيب النعاس في الاجفان — تدق في نعي المنى اجراسي — همزت جواد قريحتي — ماتت على اوتاره النغمات .

فتُطل روحك من سماء خلودها وتقول: «يا بُشراي! مُتُّ وعشتمُ.»

كم من غنيّ ماله كالغيم محبوس المطرْ!

طورًا تحيّينا الجبال، وتارةً يقدومنا الوادي الخصيب برحّبُ.

نجد بجانب تلك الخيالات المبتكرة الطبيعية، خيالات اخرى اكثر منها، متينة بالمبالغة والتصنع؛ نضرب عليها بعض الامثلة، وهي حفنة من كثيب:

وطني، لو رعتك الكواكب تسجد — الآلة الحدباء تحمل فوقها بحرًا وبرًا — صعتُ اعواد المنابر من دمي — صوتّ حتى صافحتك الانجم — تنتم الزُهرَ لنا — تحية. لو استطيع، لنظمتها بخمان.

واصبح النسل المنكوب في مرج كأنه يتمشى فوق بركانِ.

اتُراك لم يبلغك ان فضائلي تركت عباد الله لي عُبّادا؟

خلاصة رأينا في ديوان الدكتور نقولا فياض ان الدُرر في مواضيعه ومعانيه اكثر من اللؤلؤ البهرج الغادم القيمة. اما في انشائه فنرى ان الشوائب تساوي المحاسن بكثرتها. ومن ثم نعدّه في مقدمة شعراء جيلنا الساعين سعياً جديرًا بالثناء لترقية قريضنا وتجديده. مع كونهم بعيدين جدًا عن ذروة الجمال والكمال التي بلغها مئات من نوابغ شعراء ارقى بلاد العالم.

وثائق عن تاريخ المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني

بقلم الاب يوسف حبّي – روما

لا تزال الحقبة الاولى من تاريخ المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني غامضة المعالم في بعض اطوارها ، او مجهولة تماماً في غير اطوار ، وبالرغم من احتفال القيّمين على المعهد المذكور في العام ١٩٦٥ باليوبيل المئوي على تأسيسه . وانا لدىّ اعدادي دراستي عن البطريرك يوسف أودو (١٨٤٧–١٨٧٨) كنت التقي بوثائق عن مشروع او مشاريع تأسيس معهد كلداني . كما وعن محاولات اولى منها ناجحة ومنها فاشلة في سبيل تحقيق الفكرة . فرحت اعنى بجمعها من بين تضاعيف مجلدات خزانات مخطوطات مجمع نشر الايمان (البروباغندا) والمجمع الشرقي ، حتى اكتملت لي ورأيت بانها تلقي اكثر من ضوء على الحقبة الاولى من تاريخ المعهد هذا ، ويتمكن المرء معها من التوصل الى بعض حقائق تاريخية ثابتة هامة ، وان كانت منقوصة في قسم منها . فلا ريب بأن نشرها على علاتها سوف يفيد الكثير .

ان فكرة انشاء معهد كهنوتي كلداني تعود الى البطريرك نيقولاوس زيا (اشعيا) دي جاكوبي (١٨٣٨–١٨٤٧) ، فهو في رسالة له بالايطالية في السنة الاولى من بطريركيته موجهة الى الزائر الرسولي لدى الكلدان المونسنيور فيلارديل : القاصد الرسولي في سوريا ولبنان ، يقول : « لقدّ فكرنا باقامة دير مار كوركيس ، بين الموصل وتلكيف ، لجمع كل من لن يختاروا الحياة الرهبانية بل الاكليريكية ، حتى يمكنهم هم وشبان آخرون قد درسوا ما استطاعوا وهم يصبون نحو الحياة الكنائسية ، ان يتكلموا في وقت قصير على قدر الامكان تحت ادارة معلمين ماهرين ، فيكون لنا هكذا في ظرف سنتين او ثلاث حوالى اربعين فرداً قديرين بوسعنا ان نرسلهم الى ابرشيات الطائفة ، فيكون للشعب كهنته » (Prop. SR, Mesop. - Persia, 17 (1837-42) f. 527)[1] .

١) ان بدء الوثيقة بـ Prop. يعني انها محفوظة في خزانة مخطوطات مجمع نشر الايمان (البروباغندا) بروما ، واما الوثائق التي تبدأ بـ OR او بـ Acta Prop. Nror. فهي محفوظة في خزانة مخطوطات المجمع الشرقي بروما . واما لغة الوثائق فهي الايطالية واللاتينية والفرنسية والعربية والكلدانية وغيرها احياناً .

والقاصد الرسولي في ما بين النهرين المونسنيور لورنس تريوتي يشعرنا من جهته بانه كان مهتماً بانشاء معهد للكلدان . فهو يردّ على مجمع نشر الايمان في رسالة له بالفرنسية في ٤ شباط ١٨٣٨ بقوله انه كان يسعى في فرنسا لاستحصال « سبعة او ثمانية كهنة ، بعضهم لادارة معهدي المزمع ، والآخرون للرسالة بين النساطرة » (Prop., Acta 204 (1841), f. 351) ويعود فيوضح فكرته في رسالة اخرى . في ٢٥ آذار ١٨٤١ ، بقوله : « كنت اهتم بتأسيس معهد في بغداد لاعداد اقليروس محلي » (Ibid. f. 319 v) . ولكنه يعود فيكتب في رسالة اخرى في ٢٦ كانون الثاني ١٨٤٤ قائلاً : « ثم عنيت بانشاء معهد في الموصل . فلقد شرع البطريرك هذا العرض باصلاح دير مار كوركيس الذي يبعد مسافة ساعتين عن المدينة . بيد انه في رأي المرسلين وفي رأيي انه من الاوفق لو كان المعهد في المدينة حتى لا يخشى عليه من هجمات الاعراب . وحتى يكون في استطاعة الاب فاليرغا برعايته وادارته . او يقوم بذلك احد الدومنيكان في حالة غيابه . بيد ان الامر قد تمّ . فالبطريرك يريد المعهد هناك لمساعدته للمرسلين . ولكن سوف يكون لنا المعهد هناك في اول الامر لا غير ، وحتى تهيئة عمارة في المدينة تصلح لهذا الغرض ، فيتخذ دير مار كوركيس آنذاك كبيت اختلاء روحي يقضي فيه مدة قصيرة او طويلة كهنة مختلف الابرشيات الذين يرتكبون اخطاء ثقيلة ... لقد اتفقنا مع البطريرك على هذا الامر . وعليّ ايضاً ان اعجّل بناية الكنيسة والمعهد في خوسراوا ... سوف اعطي عشرة آلاف فرنكاً الى فاليرغا لتعمير كنيسة ومعهد خوسراوا ... فيكون المبلغ الذي سيتسلمه ٢٥ الف فرنكاً . وكل ذلك لبنيان كنيسة في قرية لا تبلغ النمانمائة نفساً ، ولمعهد في ابرشية لن يكون لها اكثر من اربعة او خمسة اتفار سيتفرغون الى الحياة الكنسية : ولتقديم كاهنين كل ثمان او عشر سنوات . كان في رأي المرسلين ورأيي ان يعمّر معهد واحد في الموصل حيث المركز ، ولمنفعة كل ابرشيات البطريركية ، مما سيخفف النفقات ويسهل امر المعلمين الذين يصعب ايجادهم لمعهدين : واحدهما كما قلت آنفاً . لن يكون فيه اكثر من اربعة او خمسة اتفار ولن يعطي اكثر من كاهنين كل ثمان او عشر سنوات لسد احتياج ابرشية سلماس وحدها . اذ من المؤكد بان مؤمني جميع الابرشيات الكلدانية الموجودة في هذه الضواحي : ما عدا ابرشية سلماس ، سوف لن يرسلوا ابناءهم الى فارس للدراسة . بينما ليس لمسيحيي ابرشية سلماس النفور عينه في المجيء الى الموصل للدراسة . وان معهد الموصل يقدّم فائدة اخرى ، وهي في امكانية وضع اربعة اتفار من السريان فيه ، اثنين من ماردين واثنين من الموصل . ولذا فانا احب ان استعلم من نيافتكم

في ما اذا كان ينبغي تأسيس معهد في خوسراوا علاوة على معهد المزصل » . (Prop., Acta 207 (1844) f. 406-7)

فقد اتفق البطريرك والقاصد اذا على مشروع المعهد ، بعد ان كان قد فكر به كل منهما وسعيا على تحقيقه على غير معرفة واحدهما بما يدور في خلد الآخر ، وذلك لسكنى البطريرك نيقولاوس في خوسراوا في معظم الوقت . وسكنى القاصد في بغداد . واما عن مشروع المعهد الكهنوتي في خوسراوا فلنا عنه اكثر من وثيقة متأت معظمها من قبل محقق المشروع السيد درنيس رئيس الرسالة اللعازرية في فارس (ايران) . فثمة رسالة من درنيس الى المجمع عام ١٨٤٧ يكتب فيها : « لقد قدمت لقيام بجولة في ما بين النهرين كي اختار بعض الاحداث . فزرت كل مسيحيي ابرشية كركوك تقريباً . ولقيت في موضعين شابين يصلحان لمعهد خوسراوا ... بيدي رسائل توصية من قبل السيد يوسف أودو سوف اطوف بواسطتها في ابرشية العمادية لاختيار اربعة شبان . وسأتمكن في ظرف خمسة عشر يوماً من العودة الى فارس بتعية ثمانية او تسعة شبان من ابرشيتي العمادية وكركوك » (Prop., SO 970 (1848) f. 528, 530) .

ولا نلج عتبة باب الاعوام التي تسلم فيها الاب اليسوعي بندكتس بلانشيه امور القصادة لدى الكلدان (١٨٥١–١٨٥٩) حتى نعرف من رسالة له بالايطالية في ١٣ تشرين الاول ١٨٥١ بانه كان يفكر جدياً بتدبير محل لتنشئة الاقليروس ، اذ « ملح هو تثقيف الاقليروس الذي دو على جهل كبير هنا لنقص في الامكانيات . لقد ارسلت على نفقتي ثلاثة انفار الى كلية غزير حيث طلبت ان تعمّر غرفة للنوم تخصص للكلدان . واما اولئك الذين لم ميل نحو الحالة الكنسية . ولكن تقدمهم في العمر لا يسمح لهم بالتفرغ لدروس طويلة ، فسوف اجعل لهم محلاً في دير مار هرمزد لسكناهم واعدادهم بطريقة اقصر ، مع منح الرهبان حق مصاريفهم واتعابهم . وانا اعرف جيداً بان الاخوة اللعازريين قد شيدوا كلية في خوسراوا في فارس ، غير انه قد بان بان الموضع لم يكن مناسباً للهدف . فالسيد درنيس اللعازري قد جاء فيما مضى الى ما بين النهرين للبحث عن تلاميذ فلم يلق احداً يتبعه . بحيث ان العمارة تلك التي كلفت لا شك نفقات كثيرة ولكي تكون كلية او معهداً كنسياً ، قد استحالت ، كما يقال لي ، الى مدرسة صغيرة يتلقى فيها القراءة ما يقارب الاربعين ولداً » (Prop., SR Mesop . - Persia 20 (1849-55) f. 539) . فبلانشيه على كل حال كان يجهل مشروع البطريرك نيقولاوس والقاصد تريوش ،

فهو يكتب الى المجمع في ٢٨ ايلول ١٨٥٢ : « على مقربة من الموصل لقيت موضعاً بوسعه ان يكون صالحاً جداً لجعل منه كلية للطائفة الكلدانية . انه دير صغير تحت اسم مار كوركيس ، لا يسكنه سوى اشخاص قلائل بقصد الحفاظ عليه . العمارة هي جيدة بالكفاية . ولقد باشرت باصلاحه وتعديله بنوع مناسب للغاية التي لاقت رضى الجميع . اما عن المعلم فنحن في انتظار عودة المدعو جورج (كوركيس) خياط من روما ؛ اذ تأتينا عنه اخبار جيدة . وبافتكم تعرفون احسن مني في ما اذا كان هذا الشخص صالحاً . واما التلاميذ الذين سيظاهرون موهبة اشد . واذا لم يكونوا متقدمين في العمر ؛ فسوف يستطاع ارسالهم الى روما » (Ibid. f. 617) ويعود فيكتب من الموصل في ١١ تشرين الاول ١٨٥٢ عن كلية مار كوركيس معقباً على رسالة للمجمع فيقول : « لقد قيل لي بانه كان قد كتب الى روما آنفاً في عهد البطريرك السابق ضد جعل من ذاك الموقع كلية . كما كان قد فكر به ذلك البطريرك . وقد تكلموا عن اخطار من قبيل الاعراب بسبب موقعه في القفر . غير ان الاخطار تلك لم لم تعد موجودة اليوم عقيب الاجراءات التي اتخذتها الحكومة . ثم ليس ذاك الموضع منعزلاً كما وصفوه ، فهو يقع تحت انظار اربع او خمس قرى ؛ بعضها يبعد عنه اقل من ربع ساعة . وقد قيل ايضاً بان معلم الكلية لن يستطاع استخدامه ؛ ان كان في ذاك المحل ؛ في الاعترافات والوعظ ؛ وانا فرح من هذه الناحية ؛ كوني اظن مناسباً بان مَن عليه ادارة اولئك الطلاب ؛ ينبغي ان لا يكون طائشاً بسبب الاعترفات والوعظ ؛ كما لو كان في المدينة ؛ بل من الافضل ان يتفهم اهمية المشروع المعهد اليه فيتفرغ له بكليته . كما وهو بوسعه من وقت لآخر ان يؤدي بعض الخدمات في المدينة كونها غير بعيدة » (Ibid. f. 638) . فيردّ عليه المجمع في ٢٩ كانون الاول ١٨٥٢ قائلاً : « الرسالة التي اشرتم اليها ، ابوتكم المحترمة في رسالتكم في ١١ من تشرين الاول الماضي ، بصدد كلية مار كوركيس لم تلق لها اثراً بالرغم من البحث الطويل في هذه الخزانة . ولكن مهما كانت العراقيل التي كانت حائلة وقتذاك ضد مشروع تشييد معهد هناك ؛ فهي ان لم تعد موجودة اليوم حتماً كما تؤكد لي ابوتكم المحترمة عقيب الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ، فبوسعكم بكل تأكيد استخدام تلك العمارة بعد نوال رضى الاساقفة المختصين او رضى مالكيه . اذ ليس ثمة من مانع آخر من قبل هذا المجمع المقدس » (Prop., Lett. 342 (1852) f. 1122 v)

وبلانشيه الذي دبّر امر انعقاد مجمع الربان هرمزد الكلداني في حزيران

١٨٥٣ لم يهمل ان يخصص الفصل الثاني والعشرين والاخير من الاعمال عن هذا مشروع المعهد . ففي الفصل المذكور بعد ان يتحدث آباء المجمع عن نقصان العلم لدى اعضاء الاكليروس وحاجة الطائفة من ثمة الى معهد كهنوتي ؛ وبعد ان يضعوا مخططاً موجزاً عن نظام المعهد وعن الدروس التي سيتلقاها التلاميذ فيه يختمون بقولهم : « ولما كان يستحيل علينا نحن ان نحقق هذا النفع الكبير والمأمول ؛ بسبب افتقار طائفتنا ؛ فنحن نلتجئ الى الاب المحترم القائم عوض القاصد الرسولي طالبين اليه ان يأخذ هو على عهدته المشروع هذا . ونحن نقدم له لهذا الغرض دير مار كوركيس في بعويره كي يصلحه ويرتبه بحسب فطنته ويضع فيه اشخاصاً قديرين على امر تدبيره » (J. Voste, Les Actes du Synode Chaldéen de *Fonti*, II, XVII, Vat. 1942, p. 75) .

بيد اننا نفهم من رسالة للمونسنيور بلانشيه الى المجمع في ١٧ كانون الاول ١٨٥٥ بان البطريرك أودو يطلب اليّ بان لا اضع يدي على مشروع المعهد قبل رجوعه الى الموصل . ويؤكدني بان مشروعاً ضرورياً كهذا يؤجل دوماً » (Prop., SR Mesop. - Persia 20 (1849-55) f. 1101) واما رسالة المجمع الى بلانشيه في ١١ تشرين الثاني ١٨٥٦ فنقرأ فيها : « اتلقى بفرح خبر الافتتاح القريب لتلك الكلية للكلدان والتي تريدون تسليم ادارتها الى الآباء الدومنيكان ؛ الامر الذي يبشّر بمستقبل افضل لتلك الطائفة التاعسة » (Prop., Lett. 347 (1856) f. 551 v°) وثمة رسالة الى الاب اغسطين ماركي ناظر الرسالة الدومنيكية في الموصل . ينقل فيها كاتم اسرار المجمع في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٥٦ الخبر عينه اذ يقول : « اسمع بفرح بالافتتاح المزمع عندكم لمعهد لهذه الطائفة الكلدانية التاعسة . واومل بان تعهد ادارته الى ابوتكم والى رفاقكم فيستطاع ارتقاب الثمار المرجوة » (Ibid. f. 578) . وتمرّ مدة من الزمن حتى نفهم من رسالة اخرى للمجمع الى القاصد بلانشيه مسطرة في ٢٨ كانون الثاني ١٨٥٨ ما يلي : « وعن المعهد الذي تذكرون بانكم مزمعون على افتتاحه ؛ فلقد اسرّني هذا الخبر جداً لما سينتج عنه من خير لهذه الطائفة الكلدانية . لكنني لست افهم السبب الذي من اجله تريدون انتظار عودة التلميذ شوريز . فان هذا لا يستطاع مقارنته حتماً بمقدرة وجدارة بعض التلاميذ الموجودين عندكم . فهو وان كان شاباً ممتازاً ؛ فهو شاب ومواهبه منقوصة بحيث انه لن يقوى على ترأس معهد » (Prop., Lett. 350 (1859) f. 90) ولكننا نفهم اخيراً من رسالة المجمع الى بلانشيه في ٤ حزيران ١٨٥٩ بان المعهد قد افتتح اخيراً ، اذ يكتب كاتم الاسرار : « يطيب الى السماع بان الكلية او المعهد الجديد قد افتتح ، وبان التلميذ خياط

قد عيّن مؤقتاً لادارته حتى تعهد الادارة الى الآباء الدومنيكان كما في نيتكم ان تفعلوا » (Ibid. f. 370 v) .

فالسنة الاولى للمعهد هي سنة ١٨٥٩ ؛ ولعله افتتح في الاشهر الاولى منها ؛ وفي دير مار كوركيس ؛ ومديره الاول هو الكاهن المتخرج من البرو باشندا كوركيس (جورج) خياط ، الذي صار بطريركاً فيما بعد باسم مار عبد يشوع خياط .

بيد ان الاختلاف الذي نشب بين البطريرك يوسف اودو والقاصد والمرسلين في اواخر عهد بلانشيه ، ما لبث ان اشتد بعد سفر ومقتل القاصد هذا في ٢١ ايلول ١٨٥٩ ؛ وحتى بلغ اشده في عهد قصادة المونسنيور هنري امانتون الدومنيكي (١٨٥٩—١٨٦٤) . وان الاختلاف هذا كان قائماً على عدة امور ؛ من جملتها حق ملكية دير مار كوركيس ومطالبة البطريرك بالدير وبحق الاشراف على المعهد . ولنا عن هذه القضية عدة رسائل متأتية عن مصادر كثيرة . غير اننا نفضل ان نورد اولا بعض ما جاء في تضاعيف الجلسة العامة لمجمع نشر الايمان والتي خصصت للقضية الكلدانية عام ١٨٦٥ ؛ وفيها فحص المجمع بكل تبسط عن القضية الملبارية الكلدانية وعن قضايا اخرى كالخلاف بين البطريرك والمرسلين الدومنيكان الفرنسيين والقاصد والنزاع حول مار كوركيس . فلقد جاء في تلك الاعمال تحت عنوان « ادعاءات بدير ومعهد مار كوركيس » ما يلي : « ان فكرة اقامة معهد تعود الى البطريرك الذي سبق اودو » . ويذكر النص هنا رسالة من المجمع الى القاصد تريوش مؤرخة في ١٥ ايلول ١٨٤١ يقول فيها بان « السيد البطريرك هو مهتم كثيراً في امر انشاء معهد طائفي لتهذيب وتثقيف الاقليروس . ولقد خصص لهذا الغرض دير مار كوركيس بين الموصل وتلكيف ؛ فعلى القاصد ان يتفق معه ويعمل بكل جهده على النهوض بهذا المشروع ؛ وذلك باستخدام الآباء الدومنيكان خاصة ، ومن دون التردد في تخصيص قسم من المساعدة التي تأتيه من قبل جمعية نشر الايمان للغرض عينه » . ثم يكمل النص على هذا الوجه : « ليس من المعلوم ما الذي قام به المونسنيور تريوش في هذا الشأن ، بيد انه من الثابت بان المونسنيور بلانشيه الذي خلفه (كون القاصد الذي توسطها ، اي المونسنيور مرجاي ؛ خطفه المنون سريعاً) قد عنى بذلك بكل قواه ... حتى جرى البحث حول هذا المشروع الخطير في ابان المجمع الذي عقده البطريرك والاحبار الكلدان عام ١٨٥٣ والذي ترأسه هو (بلانشيه) ، واتخذت الاجراءات المناسبة » . وبعد ان يذكر نص مجمع الربان هرمزد فيما يختص بالمعهد ، يواصل النص هكذا : « وضع

المونسنيور بلانشيه يده بحرارة ؛ وبمبلغ ضخم اصلح دير مار كوركيس المتداعي ؛ واقام عمارة جديدة على المقربة منه ؛ وجهزه باثاث واوان . وبعد ان كاد يفرغ من العمل ، وجّه فكره نحو ايجاد الاشخاص . وكان في نيته ان يستعين بصورة خاصة بالآباء الدومنيكان الذين في الموصل . بيد ان الاب ليجيه يكتب منذ ١١ ايلول ١٨٥٩ بانه قد عرف من البطريرك بان هذا : منذ الشروع بتلك العمارة ، كان قد احتجّ الى المونسنيور بلانشيه وتهدده بانه لن يترك حجرًا فوق حجر اذا لم يبقَ ذاك الموضع تحت سيطرته التامة . لكن الاب ليجيه يتابع يقوله بان المونسنيور بلانشيه لم يكف لهذا السبب عن التنفيذ مؤملاً بان نقصان الوسائط سوف ترغم البطريرك على الكف عن هذا الادعاء » . وحين ترك هذا القاصد الموصل ليعود الى اوروبا . مضى الى دير مار كوركيس ؛ وهناك بحضور البطريرك عينه . سلّم المفاتيح الى الاب المذكور ليجيه . الذي عينه اليه بالنيابة عنه مقلدًا اياه جميع صلاحيات القصادة . ولكن البطريرك لم يتأخر عن طلب تسليمه (الدير) له . بفضل تصريح قبل ان المونسنيور بلانشيه قام به ايام مرّ في دياربكر . وشهد بذلك الاستفان الكلدانيان دينطالي وبرتتر . فعارض الاب ليجيه هذا الطلب الذي هو مخالف تمامًا للاوامر التي كان تسلمها من قبل المونسنيور بلانشيه . واذ اخبر البروباغندا وافاه جوابها في السابع من كانون الثاني ١٨٦٠ بانه عليه من غير نقض ادعاء البطريرك بصورة مباشرة . ان يصرح له بان المعهد هو تحت وصاية المجمع المقدس . وبالتالي فتحت وصاية ممثل المجمع ؛ اي القاصد الرسولي او من ينوب عنه » . وعندما وصل الى ما بين النهرين القاصد الجديد المونسنيور امانتون كتب في ٢٢ تموز ١٨٦٠ الى البروباغندا بانه قد زار دير مار كوركيس ، فلقاه غير صالح لاقامة معهد لانه في موضع قفر ؛ ومعرّض بالتالي للسرقة من قبل البدو ؛ ولانه بعيد ايضاً عن الموصل مسافة ما يناهز الساعة والنصف . ولذا فان اساتذته لن يتمكنوا من ممارسة الخدمة في تلك المدينة المحتاجة اليهم شديدًا . ولذا فمن الانسب التنازل عنه الى الكلدان ؛ ولكن حين يعود هؤلاء الى نوايا اكثر خلوصاً ؛ فقد كانوا آنذاك متحمسين شديدًا بسبب قضايا الملبار . وان الاب الاقدس في استقباله (لسكرتير المجمع) في ٢ ايلول ١٨٦٠ ؛ بعد ان عرض الامر عليه ؛ ترك امر التنازل « الى حكم وفطنة الطالب (امانتون) شرط ان يحتفظ المعهد في موضع اصلح » . غير ان هذا الخبر لم يستعمل صلاحياته ؛ لانه كان ؛ كما يكتب في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٦٠ ؛ في حالة مقاطعة تامة مع الكلدان ؛ ولم يكن هؤلاء ليروا بادرة كهذه الا عن ضعف متأت عن الرئاسة ؛ بل ولكانوا يعتبرونه

فعل استرجاع ، وليس كتبة . وفي الواقع ، فحين طالب به الاحبار الكلدان في مناسبة اجتماعهم في الموصل ، مانع من التنازل عنه . ولخوفه انهم يروحون فيتملكونه عنوة ، وضعه تحت حماية القنصلية الفرنسية . ولا حاجة الى ذكر ما سبّب ذلك من الكدر لاولئك الاحبار ؛ وباية تذمرات تقدموا الى الحبر الاعظم في رسالتهم المؤرخة في ١٦ تشرين الاول ثم في ٢٤ كانون الاول من العام ١٨٦٠ ؛ حيث يقولون ايضاً بان المعارضة تلك قد هيّجت حنيظة الشعب ، لكنهم منعوا العواقب لئلا تسوء سمعة المرسلين . ولم يكفّ البطريرك عن تجديد الشكايات وتكرار مطالبته (بالدير) كشيء يخص الطائفة سواء بسبب ملكيـــة الارض القديمة ؛ وسواء بسبب محيها المزعوم من قبل المونسنيور بلانشيه ؛ وكأنه كان بوسع ذاك الحبر بدون ترخيص اعلى ان يتصرف بتلك العمارة وبما يتبعها كيفما يشاء . والبطريرك عندما قدم الى روما عام ١٨٦١ لم يتردد من القيام بطلب جديد الى نيافة الناظر الذي اجابه بانه قد اعطيت تعليمات بهذا الصدد الى القاصد الرسولي .

واخيراً اغتنم المونسنيور امانتون فرصة اتفاق بينه وبين البطريرك ؛ يوم اعطى الحل للاسقف روكس ، فسلم وتنازل الى الكلدان عن ذاك الدير المشؤوم . وبالرغم من ذلك فلم تبطل التشكيات ؛ اذ يكفي ان تقرأوا ؛ نيافاتكم ؛ ما جاء في الرسالـــة الشخصية التي وجهها البطريرك في ٨ حزيران ١٨٦٣ الى السيد محاسب ؛ حيث يطالب بالاغراض والاثاث التي تركها المونسنيور بلانشيه ؛ والتي كانت في الدير قبل ذلك . وهي كوقف من قبل المحسنين ؛ وقد ارسل صورة عنها . بيد ان المونسنيور امانتون في جوابه المعطى في ١٤ تشرين الثاني ١٨٦٤ رداً على استدعاء البروباغندا ؛ بعد ان يذكر بان الاثاث انما تركها المونسنيور بلانشيه تحت امر وتصرف المونسنيور القاصد ؛ وبعد ان يذكر تفاهة الاغراض ، يكتب هكذا : « ان اثاث مار كوركيس الوضيع كان تحت رحمة البدو في محل متقفر ؛ لذا اخذته فوضعته في محل آخر ، وكان من حقي ان افعل ذلك ؛ لان الاحبار الكلدان كانوا آنذاك في حالـــة هياج ؛ ولم يكونوا يريدون التحدث بعد عن معهد ؛ والاغراض هذه كانت قد اعدت في الاصل للمعهد . وبوسعي ان اسمح لذاتي برأيي وهو ، حتى فيما افترضنا بان ذلك كان بداعي ازدراء من جانبي ، فهل كان يليق بالبطريرك الكلداني ان يسبب ضجة كهذه لامر زهيد ؟ كان الاوفق ، فيما اعتقد ، ان يشكرني لانني سعيت في استحصال البيت له . وانا ان لم اخطأ ؛ وجب علي القول بان معاملته لي انما كانت عدائية » . على كل حال — يواصل نص الجلسة — ليس من العبث

اتخاذ اجراء ما لانهاء هذا المطلب الذي وان كان حقيراً بالنسبة الى الهدف ؛ فان بقاءه سيظل امراً مكروهاً ومجادلاً عليه » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 70v 71v).

ونقرأ في الاعمال بعد صفحات : « لقد كانت نكبة حقيقة لهم (للمرسلين الدومنيكان في الموصل) ان المونسنيور بلانشيه حين ابتعاده عن تلك البلاد عهد الى احدهم ، الاب منصور ليجيه ، بالنيابة عنه ، وسلمه مفاتيح وامر حراسة الدير او المعهد مار كوركيس . فان هذا الاب ما لبث ان حلت عليه نقمة البطريرك لانه لم يسلمه الموضع » (Ibid. f. 81v) . ثم نقرأ ايضاً : « ان نائب القنصل (الفرنسي) منعهم (الكلدان) خطياً عن دخول معهد مار كوركيس (Ibid. f. 85v) . ثم تمتحن الجلسة العامة قضية المعهد الكلداني على صعيد عام فتقول : « ليس من لا يرى الحاجة الماسة لتحسين الاقليروس ؛ اذا لم نقل ضرورة خلقه من جديد . وكيف يتم هذا من دون معهد ملائم ومنظم جيداً ؟ » وهنا يذكر النص نتفاً من رسالة للقاصد امانتون ؛ ثم يواصل هكذا : « اذا ما كان قد اعترف في الغرب بالضرورة اللازمة لانشاء معاهد لتنشئة الاقليروس الطالع ؛ فكم بالاحرى في الشرق ، حيث ينقص كل معهد علماني ايضاً الامر المتوفر لدى اللاتين . ولن تكفي الكلية الاوربانية لسد حاجات كل الابرشيات الشرقية ؛ اذ عدد تلاميذ الطقس الشرقي حالياً لا يتجاوز الثلاثين ، وبدون التكلم عن الواقع الذي يظهر مع مزيد الاسف بان كثيرين من الشرقيين المتهذبين في روما هم ليسوا على تلك الامال التي كانت معلقة عليهم وبكل حق . وثمة مرسلون فقهاء وخبيرون يرتأون بانه لو أقيم في الشرق معهد كبير للطقوس الشرقية ويتعلق بالبروباغندا في كل شيء فستكون النفقة اقل والفائدة العائدة منه اكثر بكثير . واذا ما عدنا الى المعهد الذي يراد تشييده في الموصل ، فينبغي فحص الامر جدياً لرؤية فيما اذا كان من المناسب تأسيسه في حالة تسليم ادارته والتعليم فيه الى الاقليروس الطائفي . اذ علاوة على استحالة هذا الامر كون الاقليروس الذي وصفناه آنفاً ليس بمقدور على حمل اعباء مهمة التعليم ؛ فاي روح كنسي سوف يكتسب الشبان في معهد مرتجل واي تقوى وادارة ؟ وفي عدم وجود امل في ترتب الفوائد المذكورة ؛ فثمة الخطر ايضاً في تنشئة شبان متشبعين بروح البغضة والكراهية ضد اللاتين وضد روما . والافضل عند ذاك من عدم قيام معهد من ان يكون على هذا الوجه . وهو هذا ايضاً رأي المونسنيور امانتون الذي لا يتردد عن التصريح بانه يفضل كهنة اليوم الجهلة والمرتجلين على كهنة يتهذبون ويتحققون في معهد يديره الاقليروس الكلداني .

ولذا فالحاجة الماسة للكلدان ، كما ولجميع طوائف الشرق ، بان يعمل القصاد والمرسلون كل جهدهم على تنشئتهم في التقوى والعلم من غير المساس بطقوسهم الخاصة . اولئك الشبان الذين يظهرون قابلية ودعوة الى الحالة الكنسية » (Ibid. f. 90- 90v) .

ويتقدم في نهاية الجلسة السؤال الآتي : « فما اذا : وكيف ، يتدبّر امر خلق معهد لتثقيف الاقليروس الكلداني تحت رعاية القاصد الرسولي » . فيجيب الكرادلة الاعضاء « بالايجاب ، وبأسرع وقت ممكن وبحسب النوع الجاري » . واما السؤال السابع فهو عن اغراض الدير «فما اذا يستجاب الى الخاص البطريرك باسترجاع الاثاث التي تركها المونسنيور بلانشيه في دير مار كوركيس » . والجواب « بالايجاب . ومن باب الرحمة » (Ibid. f. 96) .

وفي وريقات ملصقة بالجلسة هذه ، ولكنها غير مرقمة . وهي تحتوي على ملخص النقاش الذي صار بين الكرادلة قبل توصلهم الى تحديد الاجوبة على الاسئلة المعروضة . نقرأ ما يلي : « ان المجمع المقدس قد اخذ بعين الاعتبار الشك (السؤال) السادس لكبير اهميته ، اي بشأن تأسيس معهد جيد التنظيم لتثقيف الاقليروس الكلداني . وان نيافة المقرر (الكردينال برنابو) كان هو اول من اعترف بضرورة انشاء معهد ، بل وشدد على ضرورة قيام ذلك من كل بد ، بيد انه اضاف بانه يصطدم بألف عقبة عندما يمتحن الامر واقعياً . فمن ينبغي وضعه على ادارة المعهد الجديد ؟ ولمن تعهد مهمة التعليم ؟ ومن اين الوسائط ؟ وبمن سوف يتعلق ؟ وهنا ... ارتأى على القسم الاول (من السؤال) . بالايجاب . وباسرع وقت ممكن . وعن الثاني ، سوف يتدبر الامر لدى امتحان قضايا القاصد الرسولي . ووافق الكرادلة الآخرون على الرأي جوهرياً . ارتأى احدهم باعطاء تعليمات الى القاصد الرسولي . وقال آخر بالاسراع وعدم المماطلة ، وقال بانه يبدو امرًا نافعاً جداً لتكوين المعهد الجديد ولسيره الحسن استدعاء بعض الكرمليين الثلاثيين من الملبار الى كلدو . فرد عليه الكردينال المقرر بان ذلك ليصعب جداً ... واما الشك السابع فلم يلقَ سوى جدال قصير . كون الكردينال المقرر لفت انتباه الكرادلة الى كون البروباغندا كانت قد اعطت امرًا منذ عدة سنين الى القاصد المونسنيور امانتون بالتنازل عن دير مار كوركيس للبطريرك ... وقد لاحظ البعض بانه على الكردينال الناظر تقديم بعض المال ايضاً كمادة تعويض » (Ibidem) .

ونعود فنذكر بعض الرسائل التي توضح لنا تطور هذه القضية بنوع اكبر . فثمة رسالة من المجمع الى القاصد امانتون في ٧ كانون الثاني ١٨٦٠ جاء فيها :

« ان ثمة قضايا اخرى يتقدمها مشروع المعهد الطائفي الذي باشر به ولم ينجزه سلفكم المتوفي . فالبطريرك يتقدم ادعاءات بشأن ملكية البناية ويريد ان تكون الادارة له . وعلى ما يقال فان الاساقفة تلاميذ البروباغندا يعضدون هم ايضاً ادعاءات السيد اودو » (Prop., Lett. 351 (1860) f. 10٧) . وفي رسالة اخرى للمجمع الى الاب الدومنيكي منصور ليجيه مسطرة في التاريخ عينه نقرأ ما يلي : « واما عن المعهد الطائفي في مار كوركيس فانتم تجلبون انتباهي اولا الى النفقة الباهظة التي لا يزال متوجباً القيام بها . ولكنني لست اتمكن من اعطاء جواب شاف الآن كوني لم استلم حتى اليوم قائمة النفقات والمال الذي تركه المونسنيور بلانشيه الطيب الذكر ؛ فلا اعرف ما بوسعي الاستناد عليه . غير انني حالما اجمع المعلومات المطلوبة فسوف أعطيكم خبراً . واما عن ملكية عمارة المعهد التي يجادل عليها البطريرك السيد اودو . فانتم من دون ان تنقضوا بصورة مباشرة الادعاء هذا ؛ عليكم ان تصرحوا له بان المعهد هو تحت وصاية المجمع المقدس ، وبالتالي ؛ فتحت ممثل المجمع اي القاصد الرسولي في ما بين النهرين او من هو منابه » (Ibid. f. 11) .

واما الاب ماركي الدومنيكي فيعطي حكماً مغايراً على الامور . فهو يكتب الى الاب العام لرهبانته في ٢٢ حزيران ١٨٦٠ بقوله : « انا اعتقد بان المرسل الذي تركت عنده مفاتيح ذاك الدير المشؤوم مار كوركيس لو كان سلمها مع التحفظ الواجب اجابة الى اللجاجات الملحة التي صارت له ؛ لكانت الرسالة (الدومنيكية في الموصل) ستمنح الثقة للكلدان » . ثم يتقدم بجملة اقتراحات فيقول : « على المونسنيور امانتون قبل وصوله الى الموصل ؛ اذا ما كان الوقت يسمح بعد بذلك ؛ ان يعيد للبطريرك الكلداني دير مار كوركيس المرمم ؛ فهو حجرة عثرة ؛ ولذا ينبغي قلعها على عجل ؛ سيما بعد ما طولب به بحرارة » . (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 170-170٧) . ثم يواصل بقوله : « واذا ما عدنا الى امانتون فعليه ؛ بحسب رأيي ؛ ان ينهي طلب استرجاع مار كوركيس . ان ثمة قضية استرجاع دير قديم غصب بنوع غير فظ ، بل وعليّ ان اقول ؛ بنوع غير عادل . وانا لو لم تكن تصرخ في اذني العبارة — ارحم الميت — لكنت العن عناد الاب بلانشيه الذي كان أصمّ دوماً عن سماع التنبيهات التي اعطيت له ؛ سواء في عدم اشغاره ؛ وسواء في ترجيعه لمن بيده الحق عندما طولب به بشدة . بيد ان الامر قد تمّ ؛ وليس من دواء آخر في سوى التكفير وذلك باعادته ؛ ومن غير اعتبار للنفقات التي صرفت على ترميمه . وان الترجيع هذا ينبغي ان يطيح بالمشروع الاهوج ؛ اي باقامة معهد

في ذاك القفر وبذاك النوع المكروه الذي اريد به تحقيقه ؛ اي كحجر عثرة وكمعاكسة للرسالة » (Ibid. f. 171v) . وللمجمع رسالة الى امانتون في ٣٠ حزيران ١٨٦٠ يعلمه بان الاب ماركي « يقدم رأياً في التنازل عن عمارة المعهد المبني من قبل المونسنيور بلانشيه الى البطريرك ، لاسيما والموضع هو غير صالح» (Prop., Lett. 351 (1860) f. 384) . وفي رسالة اخرى له في ١٥ ايلول ١٨٦٠ يكتب المجمع الى القاصد « ان الاب الاقدس قد منح الصلاحية الضرورية لسيادتكم لكي تصير في صالح الكلدان عمارة مار كوركيس المشيدة من قبل المونسنيور بلانشيه . وبشرط ان تعدوا ، سيادتكم ، موضعاً آخر لجعل منه معهداً ثابتاً » (Ibid. f. 602v) .

وبعد بلانشيه يستلم تحقيق مشروع المعهد البطريرك اودو بنفسه . يساعده في ذلك بعض اساقفته . فهم يتخذون في هذا الشأن قراراً حاسماً ابان اجتماعهم في دياربكر في صيف ١٨٦٠ . ونحن نلقي ملخص اعمال هذا الاجتماع في رسالتي البطريرك والاساقفة الى المجمع والبابا . الاولى في ١٦ تشرين الاول ١٨٦٠ جاء فيها فيما يختص بالمعهد بانهم قد قرروا « فتح المعهد الذي اعده القاصد بلانشيه » ، اذ انه « على طلب الطائفة كلها ؛ ولا سيما الاساقفة الذين ساهموا بذلك على قدر امكانياتهم ، قد ديرنا افتتاح معهد صغير لبعض اثنار من شبان صالحين ليحلوا محل الاقليروس الطائفي . لذا ارسلنا الاساقفة الى المونسنيور امانتون لطلب المعهد المبني في دير مار كوركيس من قبل المونسنيور بلانشيه مع الكتب والاسرة وآلات الطهي واغراض الكنيسة وكل غرض آخر خصصه بلانشيه لهذا المحل المقدس المذكور قبل سفره. فرد سيادته : «ليس للكلدان اي حق على هذه العمارة ؛ فهي من ملكنا وتحت سيطرتنا وحماية القنصلية الفرنسية ؛ واذا لا يطيب هذا لكم ، فبوسعكم الالتجاء الى الحكومة ... ولقد صرح بمثل هذه الاقوال عينها نائب القنصل الفرنسي في رسالته الينا ، والتي يمنعنا فيها من دخول الدير ويصرح بانه تحت حماية العلم الفرنسي . ويهدد بانه سوف لا يترك امراً يقوم به لمعاقبة من يخالف المنع هذا . ومع اننا كنا نقدر ان نحصل شرعاً على المعهد المذكور ؛ فقد امتنعنا عن رفع الامر الى الحكومة احتراماً لشخص القاصد ، فبقيت القضية معلقة ... ولكننا قد صممنا كلنا معاً ، ونحن اليوم على وشك افتتاح معهد جديد في كنيسة مار اشعيا في الموصل ، ونأمل باننا في الربيع سنعلم اللاتينية ايضاً والايطالية » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 183v-5) . واما الرسالة الثانية فهي موجهة الى البابا في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٦٠ وفيها يقول البطريرك واساقفته : « لقد اوصينا المواصلة بان لا يتدخلوا في قضية الاغراض المهداة

والتي تركها في المعهد الجديد في دير مار كوركيس القاصد السابق بلانشيه ، وحتى في ما اذا كان في نية القاصد ان يفعل او يصنع ما يشاء وبحسما يهواه ، بل يتركوا لنا حق بحث القضية معه . ولقد احترم الاهالي هذه الاوامر ، والاّ فلما كان يتدر (القاصد) ان يجرّد تحت انظارهم كنيسة الدير من جميع اثاثها الذي بقي فيها بعد السلب الاول الذي قام به الآباء الدومنيكان المحترمون. اما بأي حق فعل هو وهم ذلك ، فلسنا نعلم . وليس لنا معرفة بان هذا الامر قد تمّ بأمر من قبل المجمع المقدس ، او لكونهم ورثاء شرعيين لبلانشيه المتوفى . كما ونحن نجهل بان لهم رخصة بابوية تؤهلهم ان يغيروا في كنائسنا املاكاً قدمت خصيصاً لموضع مقدس مـــا او لكنيسة او دير الى موضع آخر والى استعمال مغاير . وهم لا يتنازلون حتى بالرد علينا عندما نسألهم خصيصاً لماذا قد نقلوا الى غير موضع الاغراض المستحصلة بنوع مشروع والتي هي لذلك الدير والمعهد . لا ريب ان فعلاً عدائياً كهذا من قبل القاصد والآباء الدومنيكان قد ترك كبير الاثر سواء لدى الاقليروس وسواء لدى شعب المدينة . اذ غضبوا شديداً وتشككوا الى حد انهم باتوا يفضلون اضطهاداً من قبل الغير الكاثوليك.. وبعد وصولنا الى الموصل . واذ طلبنا بكل لطف مفاتيح المعهـــد من القاصد لادخال التلاميذ الجدد ، اجاب بتصريح خطي ورسمي بانه بصفة قاصد رسولي يمنعنا بشدة من التردد اليه او دخوله او اي ادعاء آخر للقاصد وحده الحق عليه كما وبانه موضوع تحت العلم الفرنسي . ولقد اعتبر عوام مختلف الطقوس الصنيع هذا المتهوس كفعل اهوج وعدائي علني . فاي خير يمكن ترجيه من انسان هو بهذا الروح ؟ . وان منع قنصلية فرنسا الذي يصدنا عن التردد الى المعهد ولا يسمح لنا حتى بترميمه وتجديد السطوح كي لا ينفذ الماء من خلال شقوق الحيطان وحتى الاساسات الغير العميقة . حتى لقد اكد لنا البناؤن بان تلك العمارة ان بقت على حالتها فسوف يتلف ثلثاها في الشتاء . وهذا الضرر المحتوم انما تسببه للطائفة محبة صاحب السيادة المونسنيور امانتون بمشورة رفاقه الدومنيكان وهو لم يعتبر غير ميول نفسه ومشورة الابوين بسّون وليجيه الحاقدين كوننا لم نعهد اليهما بادارة مدارسنا الطائفية للاحداث والمعهد الاكليريكي المفتتح حديثاً في الموصل في كنيسة مار اشعيا » (Ibid. f. 192-3) فالمعهد قد افتتح اذاً قبل تاريخ هذه الرسالة بقليل ، وفي الموصل هذه المرة ، في كنيسة مار اشعيا . وثمة رسالة كتبها المطران بطرس ميخائيل برتتر الى المجمع في ٢١ تشرين الاول ١٨٦٠ ذاكراً القرارات الثلاث التي اتخذها البطريرك واساقفته في اجتماعهم . وهو يسطر تحت القرار الثاني ما يلي: « ولا سيما مدرسة الاقليروس ، او المعهد

الطائفي . فلا يراد بأي نوع كان تسليمه الى الآباء المذكورين (الدومنيكان) ولا الى القناصد حتى ولو كان ملاكاً من السماء ، بل سيكون عائداً دوماً الى البطريرك والاساقفة . ولقد جرى الجزم على افتتاحه والذي قد تمّ فعلاً . وسوف يصير الدخول اليه في هذه الايام بالشبان المستعدين ثم يهرع اليه فيما بعد المرشحون المعينون . ويراد التمسك به مهما كلف الامر ، وحتى اذا ما اضطر البطريرك والاساقفة الى الاستعطاء . واما الشعب فيهلل » (Ibid. f. 188v) .

ونحن نتأكد ايضاً من افتتاح المعهد من رسالة للبطريرك اودو سطرها من روما في ٧ ايلول ١٨٦١ الى المطران برتتر . فبعد ان يأمر البطريرك المطران المذكور بوجوب مغادرته الموصل . تنبية لاوامر المجمع وليابا . يواصل القول . ولكن ، بشرط ان لا تغادر الموصل قبل ان يصل اليها القس لويس شوريز الذي كتبنا له ليأتي اليها . حتى لا يبقى بدون معلم ومدير معهدنا الجديد الذي هو عزيز على قلبنا جداً » (Ibid. f. 209) . واذ يكتب البطريرك في التاريخ عينه الى الكاهن لويس شوريز بالابتعاد عن بغداد ، يدعوه الى الموصل « حتى لا يبقى المعهد بدون معلم ومدير . فحين تصير رسالتنا هذه الى يديك : نريد ان تنتقل من بغداد الى الموصل لادارة الكلية بحسب غيرتك وبكل اهتمام » (Ibid. f. 209v) . ونقرأ في رسالة البطريرك الى الكلدان المسطرة في روما ايضاً في ٢٣ ايلول ١٨٦١ : « لقد لقينا نيافة ناظر المجمع المقدس مستعداً لمساعدتنا كي تبلغ الكلية المنشأة حديثاً الى غايتها المنشودة » (Ibid. f. 211) .

ولكن ما يلبث المعهد ان يسد مرة اخرى . فالبطريرك في رسالته العربية الى المجمع في ٤ آب ١٨٦٢ يقول : « لقد سمعتم بان الكلية في الموصل قد سدّت مؤخراً . والسبب الاول هو لان المونسنيور خياط لم يرضَ المكوث ، بل طالب بالنفقة كالعام الماضي ، والطائفة لم تساعد بشيء في هذا العام كون رغبتها (قضية الملبار) لم تنفّذ ، فامتنعت عن تسليم النفقة المخصصة التي سلمتها في العام المنصرم ، ولذا اضطررنا الى اغلاقه مؤقتاً » (Ibid. f. 227) . وبوسع هذا ان يدلنا على تعيين المطران خياط مديراً للمعهد ، لربما بعد المطران برتتر . وليس القس شوريز على كل حال كما كان علينا ان نفهم من رسالتي البطريرك الموجهتين من روما الى برتتر وشوريز . وأما ابعاد المطران برتتر عن الموصل ، وبالتالي فعن ادارة المعهد . فهو متأت رسمياً عن امر صادر عن روما ، واما فعلياً فبسبب نفور نشب بين البطريرك والمطران المذكور . وليس لنا وثائق عن تفاصيل هذا النفور سوى ما جاء في رسالة للمطران السرياني على الموصل بني ، ونقلت في نص الجلسة العامة للمجمع المخصصة للقضية الكلدانية

عام ١٨٦٥ حيث نقرأ ما يلي : « نفر برتتر من بطريركه ... وهذا اذ لم يكن له ما يحافظ به على المعهد الحديث الولادة ، كان عليه القيام بخطوة واحدة ، اي بسوقه من المهد الى اللحد . وهكذا انطفأ ، بعد اشهر قليلة من حياة رزية ، ذاك معقل الطائفة الكلدانية وأمل الشعوب الملبارية . فأمر البطريرك برتتر بالابتعاد عن الموصل . ولكن هذا طالبه بثلاثمائة فرنك كان صرفها لدى تدبيره لمعهد . واذ لم يستجب البطريرك : باع برتتر علانية جميع اثاث المعهد ... فصارت فضة رنانة : وحمل كتب المعهد القليلة ليأخذها معه . واذ شعر البطريرك بذلك : هرع الى ميدان الحرب ليعمل بنوع ما على خراب المعهد المهجور ... وكادت القضية تنتهي لدى المحكمة المدنية لو لم يتدخل بعض الاشخاص (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 47v) .

واما دير مار كوركيس فقد ترك امر اختياره كمعهد نهائياً . فالاب الدومنيكي دفال في رسالة له الى المجمع في ١٠ تشرين الثاني ١٨٦٢ يكتب : « ان دير مار كوركيس الذي منحه البطريرك الى اهالي الموصل هو مبعوث بهجة لهم ، كونهم يقضون فيه موسماً (Prop., SR Mesop. - Persia 22 (1864-74) f. 116v). وبقيت قضية الاغراض كما رأينا سابقاً ، وكما سنرى .

وان انغلاق المعهد في كنيسة مار اشعيا لن يضعف من فكرة البطريرك اودو ولن يحبط همته في سبيل تحقيق هذا المشروع . فنحن نقرأ له بعضاً من تشكياته من الكردينال الناظر في رسالة بعث فيها الى المجمع في ١٣ تشرين الاول ١٨٦٢ يقول فيها : « اين هو تأكيدكم بانكم ستعطونا مار كوركيس برمته مع الاثاث التي تركها فيه المونسنيور بلانشيه الطيب الذكر؟ اين هي وعودكم بانكم سوف تدبرون الوسائط لانشاء كلية لتثقيف الكنسيين ؟ اين هي اقوالكم بانكم سوف تجعلون عبد يشوع (خياط) يتنازل عن ابرشية العمادية لوضعه معلماً ومهذباً في الكلية ومساعداً في شؤون البطريركية؟» (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 234v). ونحن نفهم جزءاً من دواعي انفعال البطريرك عندما نقرأ رسالة المجمع الى امانتون الموجهة في ١٢ كانون الثاني ١٨٦١ وفيها يمتدح كاتم اسرار المجمع سلوك القاصد بقوله : « لقد صنعت جيداً في عدم استعمالك الصلاحيات في التنازل للكلدان عن عمارة المعهد لانهم لم يستحقوا هذه الهبة» (Prop., Lett. 352 (1861) f. 16) . وعندما نعرف من الجلسة العامة للمجمع لعام ١٨٦٥ والتي كان القسم الكبير منها قد اعد منذ ثلاث سنوات واكثر ، بان فكرة روما كانت مغايرة تماماً لفكرة البطريرك والكلدان بصدد المعهد ، وعندما نعرف ايضاً بانه بعد انتهاء قضية العمارة بقي النزاع قائماً على الاثاث . فالبطريرك في رسالته الى السيد بحاسب الماروني ،

الذي كان مترجماً له في روما عام ١٨٦١، يشرح بالتفصيل قضية الاغراض هذه. والرسالة هي مؤرخة في ٨ حزيران ١٨٦٣؛ جاء فيها: «لقد سلم لنا القاصد كليسة مار كوركيس ولكن من دون الاثاث الذي تركه المونسنيور بلانشيه والذي كان فيه قبلاً ايضاً كتركة اوصى بها المحسنون. وهوذا قائمة الاغراض الناقصة: ثلاثة صلبان فضة كان المونسنيور بلانشيه قد كسرها وعمل منها حقاً كبيراً. عشرون شرشفاً. عشرون وسادة. عشرون وسادة كبيرة. عشرون محامل أسرّة بوسعها ان تستخدم سواء كمحامل اسرّة وسواء كأسرّة كاملة التركيب. طنفستان. خمسة صحون معدن. ستة شمعدانات كبيرة. ستة شمعدانات صغيرة. صليبان كبيران وإلخ. هذه هي الاغراض ما عدا المناضد والكراسي والمكتب والخ. التي لا يعرف لاعددها ولا نوعها والتي حملها في غياب المونسنيور القاصد من الكنيسة» (Acta Prop. NR OR. 2 (1864-5) f. 243).

ثم في رسالة البطريرك الى المجمع؛ والتي ترجمها الى الفرنسية وعلّق عليها المونسنيور امانتون. والمسطرة في ٢ آذار ١٨٦٤؛ نقرأ ما يلي: «وأما عن دير مار كوركيس فحتى الآن لم يريدوا ان يعيدوا الينا غرضاً واحداً من الاغراض التي ادعينا بها؛ مع انها قد خصصت لمار كوركيس. والاب دفال هو الذي رفعها من هناك». فيعلق القاصد بقوله: «الاب دفال لم يرفع شيئاً من مار كوركيس؛ بل انه الاب ليجيه في بادئ الامر؛ ثم انا. ولي قائمة بالاغراض التي تركها سلفي تحت تصرفي؛ قائمة كتبها عن تقريره الاب ليجيه وبحضور المطران السرياني على الموصل». ثم يواصل البطريرك في رسالته بالقول: «انه لصحيح بان الشماس رافائيل في نيته اقامة مدرسة اكليركية على حسابه، لكننا لا نعرف لمن سيعود امر السهر على هذه المدرسة؛ ومن سيكون المعلم الذي يريد ان يذهب من طرفنا. فان اكثرية الشبان والبواعث هي عندنا؛ والاقامة في دياربكر لا توافق شبابنا. فاذا ما انوجدت المدرسة البطريركية فعليها ان تكون قريبة منا. كما ولا يوجد هناك معلمون. ويبان على كل حال بان القضية هي متعلقة بالشماس رافائيل وبمطرانه. ونحن نجهل حتى الآن اي دور سيكون لنا. نكتفي بتذكير نيافتكم بانكم وعدتمونا بالمساعدة لتشييد مدرسة بطريركية انتم تتمنونها؛ ولكن اين المساعدة؟». ويعلق القاصد هكذا: «وبصدد المدرسة البطريركية او المعهد؛ فان البطريرك يأتي على ذكر وعد لنيافة الكردينال الناظر. انا اجهل في ما اذا كان نيافته قد ارتبط بوعد من هذا القبيل؛ ولكني اعرف جيداً بان الاساقفة الكلدان منذ يوم التئامهم في مجمع ربان هرمزد كانوا قد طلبوا الى سلفي ان يفتح ويدير هذه المدرسة الاكليركية بحسبما يراه، لانهم ارتأوا ذلك

امراً لا بد منه كونهم اقروا بانه لا طاقة لهم على ذلك . واعمال المجمع تشهد بهذا . ولاتمام هذا الطلب قد قامت القصادة بنفقات ذات اعتبار ؛ والمجمع المقدس يعرف ذلك . ومنذ ذاك الحين ؛ وسواء بسبب الطلب ، كما ونظراً الى النفقات من الجهة الاخرى ؛ فقد صار الاساقفة الكلدان ملتزمين تجاه القصادة . وانا لست اعتقد بانه بالرغم من كل شيء قد سحب نيابته عن القصادة المشروع الاهم ليسلمه الى الكلدان الذين لا يفكرون في امر تحقيقه والذين لن يتأخروا عن اشباعه بروح كريهة في هذه الظروف الحالية». ويتابع البطريرك القول في الرسالة عينها « كما ونطلب ان تلقوا العلاج للمدرسة البطريركية وتؤمنوا لها النفقات لان ثمة افراداً ابالكفاية لافتتاحها الآن» (OR., SR Caldei 2 (1867-74) f. 386, 392).

سجن حيال وجهتي نظر بخصوص المعهد . الاولى هي وجهة نظر القاصد الذي يذكر قرار مجمع الربان هرمزد متناسياً بان وجهة نظر الكلدان قد تغيرت تماماً على اثر النزاع الذي قام بصدد دير مار كوركيس . وان وجهة نظر القاصد امانتون هي وجهة المرسلين الدومنيكان ايضاً ؛ والتي لا يعتم المجمع ان يتبناها لا سيما في قراره المتخذ ابان جلسته العامة عام ١٨٦٥ . ولذا ؛ فبينما تريد روما تأجيل امر تحقيق المشروع ، للاسباب التي نعرف ؛ وكما نفهم من رسالة الكردينال الناظر الموجهة الى البطريرك في ٢١ ايار ١٨٦٤ اذ يكتب : « ان بحث امور كثيرة ... كانشاء المعهد ... التي تحدثني عنها ؛ ينبغي ان تترك الى ظرف اكثر مناسباً ؛ اي عندما تعود احوال البطريركية الدينية كلها الى استتابها ومجراها » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 261v) . نلقى البطريرك من الجهة الاخرى مصمماً وساعياً بكل جهده نحو تحقيق الفكرة وافتتاح معهد ثابت . فهو يكتب الى المجمع في ٦ حزيران ١٨٦٤ : « واما عن المطران عبد يشوع خياط فنحن قد ارتضينا منذ البدء عن تنازله عن الابرشية ؛ لان الاسباب الصحية التي كانت تمنعه آنذاك من السكنى في الجبل قد ازدادت الآن... حتى بات املنا ضعيفاً بان قواه ستسمح له بافادة الطائفة في هذه البلاد بسوى التعليم والتهذيب ؛ ولا سيما الآن وقد دبر الله امر قيام الكلية ونصب مطبعة في هذه ضواحينا بهمة ونفقات المحسن الاكليريكي رافائيل ابن الكاهن بطرس ماجي (مازجي) ؛ والتي يقتضي لها اشخاص مختصون علماء وافاضل » (Ibid. f. 266v).

ونلقانا هنا حيال مشكلة لن نتوصل الى حلها باعتمادنا وثائقنا هذه وحدها ؛ فبينما يتردد على ألسن الجميع لقب هذا الشماس رافائيل مازجي «المحسن الاكبر» للمعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني ؛ والكتابة فوق ضريحه هي ايضاً تشهد

بذلك. نرانا غير قادرين باعتمادنا الوثائق التي لنا تحديد معالم بيّنة عن شخصية هذا الرجل وعن اعماله فيما يختص بتأسيس المعهد بصورة خاصة . وان السبب الاكبر في تعقيد الامور هي قضية ارث آل مازجي . ولذا فسنروح نذكر اهم ما جاء في تضاعيف مجلدات خزانات المخطوطات التي قلبناها ؛ ثم نحاول ان نستنتج الثابت الاصيل باعتماد غير مصادر ايضاً . كون النقص في المعلومات هو بيّن بوضوح في القضية هذه . ونحن نعرف من الرسائل التي ذكرناها حتى الآن بان اسم الشخص هذا هو رافائيل وبان اباه هو الكاهن بطرس من آل مازجي . وبانه شماس . وفي نيته اقامة مدرسة اكليركية على حسابه ، ولكن في دياربكر . كما وقد نصب مطبعة ايضاً .

وفي تقرير اماتون الذي قدمه الى المجمع في ١٢ تشرين الثاني ١٨٦٤ نقرأ ما يلي : «كنت اعنى باتحاد واردات لاقامة معهد . بيد ان القلاقل التي تلت قضية المنبار لم تسمح لي بتنفيذ مخططي . اما اليوم فثمة رجل كان منتمياً الى رهبنة دينية . كلداني . يريد تخصيص ثروته لتأسيس معهد للطائفة ولتركيز مطبعة قد وصلت لوازمها كلها الى الموصل . غير ان ثمة خطراً كنت قد اعتقدت انه من واجبي عرضه على نيافة الكردينال الناظر منذ العام المنصرم ؛ وهو ان الكلدان الذين هم التهيم الكافي لتثقيف كهنة ؛ هم متشبعون بروح خبيثة بل وتقد اظهروا اكثر من مرة مشاعر سيئة . ولذا فلست اتردد من جهتي بالقول انني لا زلت افضل كهنة اليوم الجهلة والمرتجلين» (Acta Prop. Nror. 2 (206 f. (5-1864))وثمة رسالة بالايطالية موقعة من قبل «الشماس رافائيل مازجي» عينه ومعنونة الى المجمع بتاريخ ٧ ايار ١٨٦٦ نفهم منها بان « المطبعة هي سائرة تحت رعاية سيدنا البطريرك الجليل والمراقبة المباشرة من قبل المطران كوركيس عبد يشوع خياط تلميذ البروباغندا السابق واللاهوتي الاكبر واللغوي في هذه الطائفة. وانا اسعى لافتتاح المعهد تحت قيادة البطريرك الجليل والمطران المذكور... ولافتتاح المعهد هذا اطلب بركة الاب الاقدس ورضى نيافتكم ... وانا اكرس اتعابي واموالي بواسطتكم مقدماً باختياري وبطيبة خاطر لمنفعة اخواني الكلدان الروحية بموافقة قداسته ونيافتكم » (OR., SR Caldei I (1862-66) f. 1003r) فالمثري رافائيل مازجي الكلداني. والذي كان راهباً فيما سبق ؛ قد نصب مطبعة وهو يصرف الهمم في انشاء معهد كهنوتي . ولكن ما تعتم ان تقودنا الوثائق الى نهاية عام ١٨٦٦ ومطلع عام ١٨٦٧ فتلقينا في بحر مشاكل تتعلق اغلبها بتقضية ارث آل مازجي .

ففي نسخة من رسالة البطريرك اودو موجهة بالعربية في ١٦ كانون الاول

الى « صاحب السعادة قايمقام ايالة الموصل »، نقرأ « المعروض الى سعادتكم ان المتوفى الراهب رافائيل لما كان في قيد حياته قد وقف لفقراء ملتنا المقدار المعين من النقود التي كانت ملكه وبتصرفه وصارت هذه الوقفية بعد وفاته محكوماً بها مسجلة في محكمة الموصل على اطلاع مجلس الايالة كما لا يخفى على علمكم الشريف وكان الراهب المرحوم في قيد حياته بموجب (درايته) قد قرض مبلغاً معلوماً من الدراهم الموقوفة لاجل الاسترباح لنفع الوقف وصارت في ذمة اناس معلومي الاسامي بموجب السندات التي هي اليوم عند حاكم افندي دياربكر فبمقتضى نظارتنا العامة على جميع اوقاف ملتنا المنعم بها علينا بالبراة الشاهانية وطبقاً لحكم الشرع الشريف في هذا الشأن نستدعي ان هذه الديون التي هي من ضمن الوقفية ليس لاحد سوى متولي الوقف حق ان يدّعي بها ويقبضها ويتسلمها بالوجه الشرعي ونحن مستعدون ان نعين في دياربكر وكيلاً شرعياً من طرفنا وطرف المتولين مع اقامة البينة على حكم الحاكم الشرعي في حق هذا الوقف ومن حيث قريباً وصلنا من بغداد ويقتضي (مدة) زمان لاجل اتمام هذا العمل وعلى كل حال فنستدعي مسترحمين ان كلاً من المديونين لا يسلم لاحد شيئاً من المبالغ الذي بذمته لغير متولي الحق وان هو يسلم شيئاً لغير هذا الوقف فعليه الضمان وعلى ذلك نسترحم من سعادتكم ان تحرروا خطاباً الى المشير الافخم والى كردستان طبق هذا الاستدعاء ولكم الأجر عند الله » (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 112) وفي الصفحة عينها نسخة من الرسالة التي وجهها بالتركية قايمقام ايالة الموصل الى والي كردستان استجابة الى طلب البطريرك .

وثمة رسالة اصيلة للبطريرك اودو حبرها بالعربية في ١٧ كانون الاول ١٨٦٦ الى مار بطرس دينطالي مطران دياربكر يقول فيها : «ان المادة المبسوطة مادة وقفية المثلث الرحمة رافائيل معلوم لدى حوتكم المحترمة كم هي ثقيلة نظراً الى الذمّة والالتزام بموجب وظيفتنا ... ونحن لا نريد ان نصدّق ان افكاركم هي بخلاف هذا يقيننا لانه غير ممكن ان نصدق القايلين عن سيادتكم ان اصل الحركة هي من تراخيكم ... لكن لا نقدر ان نفهم لأي سبب انتم ساكتون في وسط هذه الغايلات هل لا تلحظون ان في هذا سكوتكم ذنباً جسيماً قدام الله ، هل لا تعلمون بنفوسكم طبعاً من ذات وظيفتكم محامون اوقاف البرّ وانكم طبعاً من ذات درجتكم وكلاء عوضنا في كل مادة تقع مثل هذه عائدة الى الوقف وبيت الله او ما تصدقون بحق هذه الوقفيّة لكن ان كان هذا عذر على ظنكم فنقول ان هذا العذر اعظم من الذنب اما ان كنتم حسب الواجب مصدّقين ومتحققين فلماذا هذه قلة الاعتناء لما تسلمتم الدفاتر والسندات باسمنا لما لاحظتم

القاضي يريد ان يضبطها وعتيد ان ينضرّ الوقف من ذلك ونحن ما نقدر نفسّر على المرام العلل التي تتعللون بها للمجاوبة على ذلك فضلاً عن الاعتراضات الكثيرة التي ضرّت باعتباركم قدام العارفين ومن اجلها لا تتبررون قدام الله ولا قدام ديوان الكنيسة المقدسة ... فالآن لزوم ان تعالجوا بكل جهدكم لاصلاح هذه الاضرار وهوذا قد حرّرنا في الصدد تحريرًا ملاعماً الى قاضي طرفكم كما قبلا بالتلغراف مختصرًا وقد يصدر تحرير خطاب من قايمقام طرفنا الى مشير طرفكم بهذا المعنى ... واذكروا من جملة الاعتبارات انه لو المرحوم كان يبقى عازاري ويسلّم ماله لم ولا ينطوي الى اجراء خيره وماله لنفع ملته فهل كان احد الورثة يصيبه شيء يحاسر على المداعاة من العازاريّة بشيء؟ فاين الغيرة اذا على خير طايفتنا واين واجبات الذمة فنريد اثباتاً لصفاوة انقيادكم لهذا التحريض ان تجمعوا اولاد اكابر جماعتكم في مجلس خصوصيّ وتحرضوهم وتحثوهم بل تلزموهم على القيام قاطبة بالغيرة والحمية لحاماة الوقفيّة المقدسة » (Ibid. f. 1165) . ويكتب البطريرك في ختام سنة ١٨٦٦ الى المطران المذكور : « وقد اغتممنا جداً عن اخباركم بما فعل القاضي بطرفكم في ضرر الوقفية ولكن كيف تقولون انه بتاريخه اخذ السندات من الخواجات كشيشي اوغلي مع انه من جملة بوستات هم المذكورين حرروا انه اخذها منهم فنتعجب كيف ما كان لكم خبر فيان ان هذه المادة ما هي على قلبكم... ومنتظرين جوابكم لنعلم كيف نعاملكم لانكم تظهرون نفسكم خارجين عن الالتزام بمحاماة وقفيّة البر الكنايسية ... ولولا الشريعة فهل الذمة ليست كافية لان تلزمنا بصيانة مال الوقف الى آخر نفس وهوذا الحبر الاعظم مستعد لان يحتمل كل شيء ولا يرضى بسماح شبر واحد من الاملاك التي هي بحساب الوقف عندهم . ولكن كذا اشياء جنابكم لا تفهموها ولا تحسبوها بشيء » (Ibid. f. 1166) .

ثم يسطر اليه في ١٤ كانون الثاني ١٨٦٧ قائلاً : «وعن المكتوب للمشير والى طرفكم والى القاضي فما تعرفونا ما صار منهما وكيف انقلبت واين جوابهما لنكون على بصيرة بل عوض هذه تمدحون نفسكم بالباطل لان من فم شهود تحققنا انكم اعطيتم طريقاً للورثة للقيام للدعوى... وما تعرفون انه اذا صار ضرر للوقف بلا ذنبنا فنحن بريئين قدام الله ولكن ان تفرّضنا (كذا) بمال الوقف او صنعنا خلاف الغاية الموضوعة فما نتبرّر فالحمد لله ليس لنا سابقات في التفرّض بمال الله لمنافع دنيوية او لاهلنا ... وجنابكم وصلتم الى هذا الحد من عدم حتى تكلمونا كلاماً لا يطلع الا من فم السفهاء ... فاعلموا ان الرجال المعتبرين المتولين على هذا المال ما يلزمهم مدح مغرض بل هم معلومين ... ونحن اقتضى

ان نرسل نسخة الى الخواجات كشيش اوغلي لعلمنا بعدم همتكم بكذا معـالح» (Ibid. f. 1167) . وفي رسالة اخرى الى المطران دينطالي يكتب البطريرك في ١١ شباط ١٨٦٧ قائلاً : « نعلمكم انه من مدة طويلة تتقدم الينا شكايات معتبرة عليكم من جهة معاملتكم وسلوككم مع اوليك اولادنا الذين في دياربكر وتحت رعايتكم الابوية وبهذه الدفعة ايضاً من ذوات معتبرين تقدم مضبطة عليكم ويشكون من ان سيادتكم تعرّضتم ومنعتموهم لما ارادوا المحاسبة على اطلاعكم من وكلاء وصية المرحوم بدوش حتى بالتغضيب والطرد والضرب اوصلتموهم الى المحكمة المدنيـــة وفي كل هذه المدة ما استنسبتم ان ترفعوا المادة الينا ولا ان تخبروا بها ونسيتم ان هذه مادة الوقف تخص وظيفتنا رياسياً ... فنتصحكم ونناشدكم بالرب اولا ان ترفعوا المنع من على هؤلاء ... ثانيـــاً ان تخبرونا عن الواقع تفصيلاً ولاية غاية ادخلتم السيد القاصد في هذه المادة ... ولاي سبب ما قبلتم عرض المادة من البداية الينا كما تقتضي القطنة ... ثم اخبرونا تفصيلاً اين تلفت مقدار مايتين الف من اصل رأس المال من الوصية على امركم . وما دام الامر كذلك فنريد من الآن فصاعداً ترتب نظاراً على الوصية عدا الوصي المعهود ونجزم قطعاً بأمر واضح ان لا ينصرف شيء من مال الوصية الباقي الا باطلاعنا واستحسانتا السابق بالتصريح. كما حررنا ايضاً الى اولانا (كذا) الخواجات كشيش اوغلي (Ibid. f. 1169) . واما ما جاء في رسالة البطريرك اودو الموجهة الى المطران عينه في ١١ آذار ١٨٦٧ : «وقد نويتم على الذهاب الى رومية العظمى بموجب الدعوة التي لكافة الاساقفة الخ... ولكن اخونا المحترم في هذا الكتاب العمومي كما تترجم لنا وقريناه مشروط لاجل الذهاب ان لا يصد عن ذلك لزوم الرعية او غير موانع .والحال ما دامت ابرشيتكم على هذا الحال متموجة واغلب المعتبرين متنفرين وحاصلين على مقاصد قويّة على سيادتكم فما ينبغي الخروج من بينهم قطعاً . ونحن رسمياً نمنعكم من الذهاب لاجل هذه الظروف » (Ibid. f. 1168) . واما في رسالته اليه بتاريخ ٢٥ آذار ١٨٦٧ فيكتب البطريرك: «وخصوصاً نؤاكد ونكرر على حوتكم المحترمة ان تعلموا كل الجهد في اصلاح هذه القايلة الثايرة في تلك الجماعة ولاجل صيانة سلطانكم تجعلوا قبول الشروط والمطلوبات على يدنا . لانها محقة ولا يمكن رفضها من الجهة الواحدة ومناسب لا تكون الا عن يد الرياسة الكنايسية ... ولا سيما نمنعكم قطعاً من الذهاب الى رومية لانه لا يمكن قانونياً الفرار بعد من بين الجماعة وبين بيننا في حالة هذه الامور الحاضرة » (Ibid. f. 1170) . ولنا رسالـــة اخيرة للبطريرك حررها الى المطران دينطالي في ٦ ايار ١٨٦٧ جاء فيها : « ان المنازعات

بين الجماعة والخواجات كشيش تكون بعونه تعالى انتهت بالشروط التي يستحسنها الوكيل المقام منّا اعني القس لويس ... وأما الآن فقد حررنا له ايضاً تفصيلات في شأن هذه وكالته وبيّنا معنى نظارتنا اعني في كل سنة يتقدم علم الواردات والمصروف من هذه الوقفية . والنظار يكون على اطلاعهم المصروف المفردات وان يظهروا دفتر القديم ويصير عليه تدقيق بموجب الذمّة عن الوارد والشارد وصورة هذا الدفتر القديم نريد ان تتقدم لنا لنطلّع عليه . وجملة دفعات حررنا الى جانب اولادنا كشيش اوغلي . واما من جهة حساب البيعة مع حضرتكم فيكون القس لويس هو الوكيل ... على كل حال ليس عندنا استنساب لسفركم الى روبية في هذه الفرصة قطعاً » (Ibid. f. 1171) .

وفي رسالة اخرى للبطريرك قد حفظت لنا ترجمتها الايطالية من غير عنوان وتاريخ . ولكنها من عام ١٨٦٧ : نقرأ ما يلي : « انه بفضل النظارة العامة التي تختص بهذا الكرسي البطريركي على كل القضايا التي تحدث وبقصد تدبيرها بالعدل وحصول الخير عنها للانفس ، كما وبفضل المفروض علينا بخصوص الوقفيات الكنايسية ؛ ولتسويسة وتسيير الشرع فيما يتعلق بوصية الطيب الذكر بطرس مازجي . نحتم ونأمر القيم على امر تنفيذها السيد ميخائيل كشيشي اوغلي : بان يسهر ويحافظ على التدابير المتخذة . بان تحترم الاوامر المعطاة بخصوص الوصية . ونأمر بان لا ينقل شيء من رأس المال ولكن من الارباح فقط ، وان تستخدم الهمم كي يزداد رأس المال ولا ينقص ، فيستطاع شرعياً وجوازاً اتمام صلاح نية من اوقفوه : كونهم لم يوسسوا ذلك للنقل او الضياع ؛ بل حتى يثبت الخير الناتج عن ذلك . ولذا فنحن علاوة على وكيلنا : نعين كناظر الكاهن انطونيوس دلال كي يسهر هو باسمنا على تلبية الاجراءات هذه ؛ ومن غير ان يبطل اهتمامنا وعنايتنا نحن في السهر عموماً وخصوصاً ويترك لنا كل قرار او تدبير هام » (Acta Prop. NR Or. 4 (1868-9) f. 352) .

وبوسعنا اقتباس بعض المعلومات الاخرى من رسالة للبطريرك محرّرة بالعربية الى المجمع في ٢٥ شباط ١٨٦٧ وفيها نزداد علماً عن اجتهاد البطريرك في قضية المدافعة عن حق وقف الكنيسة من ارث آل مازجي ، اذ يكتب مار اودو : « وهكذا فتح المدرسة الاكليروسية متوقف على مساعدات النفوس لان متروكات المرحوم رافائيل مازجي قد اختطفوها المديونون والورثة . والمطران دينطالي عوضاً عن ان يعاون معنا لتثبيت حق الوقف اتفق معهم ... فلو تحضر الدراهم فما تعسّر القوانين ولا المعلمين لان يوجد عندنا من تلاميذ المجمع يقدرون يديرون

المدرسة تقريبـاً كما في المدارس الكاثوليكية المرضية » (Or., SR Caldei 2 f. 1275) (1867-74) .

ومن رسالة اخرى له الى المجمع في ٣١ تموز ١٨٦٨ نفهم ما يلي : « ومن جهة دياربكر الاختلاف الواقع بينهم لعلّة وصيّة بدوش علي كشيش اوغلي فاظن انه غير ممكن الراحة والاتفاق الاّ ان يصير وكلاء آخرون نظاراً على توزيع تلك الوصية وان يوضع حد انه لا يتوزع شيء الاّ من ربحها فقط ولا من رأس المال. وخصوصاً ما دامت نقوداً فصعب هو الامر الا ان تصير املاكاً وتؤخذ سنوياً حواصلها وتتوزع للخيرات بموجب الذمة واطلاع النظار ورعاة القانونين وقد مضا الى دياربكر القس جبرائيل بمقام زاير وفاحص من طرف حضرة القاصد نيقولاوس الخزيل الاحتراء فان كان افاد على هذا المنوال فنعم العمل والاّ على غير صورة لا يصير صلاح وما دام الحكم متعلقاً بقداسة الحبر الاعظم فنؤمل سريعاً يحكم ويقطع علّة الخصومة ... فالان يلزم قطع مادة كشيش اوغلي بموجب حكمنا الذي ذكرناه اعلاه » (Ibid. f. 1600) .

ونحن نلتقي في اعمال مجمع البروباغندا لشؤون الطقوس الشرقية جلسة عامة في الاول من شهر آذار ١٨٦٩ بحث فيها الكرادلة عن قضايا كلدانية ثلاث ؛ كانت اولاها قضية ارث آل مازجي الموقوف. وهذا هو ملخص الجلسة هذه .

ان بطرس مازجي هو تاجر من دياربكر ، اوقف للكنيسة قبل وفاته مبلغاً من المال يبلغ زهاء ٤٠٠ الف قرشاً تركياً ، واوصى بان يكون الشماس اسطيفان مازجي ابن اخيه قيماً مطلقاً على المال يستخدمه بحسب فطنته . بيد ان هذا بعد ان دبّر الاموال مدة سنتين توفي في ٩ آب ١٨٥٨ بعد ان عيّن الاخوين ميخائيل واليا كشيشي اوغلو (كذا) على الارث ، وذلك بحضور مطراني دياربكر الكلداني والارمني . وسارت الامور على هذه الشاكلة حتى يوم عنّ لبعض وجوه كلدان دياربكر الكلدان ان يسألوا البطريرك اودو والمطران دينطالي فيما اذا كان يحق لهم ان يقفوا على وضع الوقف ، فرد عليهم هذان بالايجاب بغية اجتذابهم اليهما . لكن المطران دينطالي عقيب عودته من روما ؛ حيث كان قد رافق البطريرك عام ١٨٦١ ، شرع يصرح بانه ليس من حق الكلدان الادّعاء بالمال . فهدأ الوجوه ولكن فقط الى حين رفض الاخوان ميخائيل واليا قرض بعض المال لاخ القس بطرس عطار . فاشتكى بعضهم على الاخوين لدى المحكمة التركية ، واضطر الوقف ان يتكبد مبلغ خمسة آلاف وخمسمائة غرشاً تركياً بالرغم من ربحه القضية . ولم تنته القضية كون احد المعارضين ، وهو القس لويس شوريز ، كتب الى البطريرك فعينه هذا وكيلاً عنه ، وكتب الى المطران

دينطالي يمنعه من الذهاب الى روما قبل تصفية الامور . فكان جواب دينطالي بان ميخائيل هو المعين الرسمي على الوقف . ولقد استبان بان المطران دينطالي كان مخدوعاً ؛ لان ميخائيل هذا لم يكن اميناً لا تجاه الوقف ولا تجاه الحكومة . واما القس شوريز وكيل البطريرك فاصدر امراً في ٥ ايار ١٨٦٧ معلناً فيه بان كشيشي هذا هو غير مستقل في امر تدبير الوقف، ولذا فسيعين شخصان او ثلاثة بمثابة نظار . وسيقسم المال الى ثلاثة اقسام، قسم يخصص لكنيسة مار بتيون في دياربكر ؛ وقسم آخر للفقراء ؛ والقسم الثالث كحسنات قداديس. واثبت البطريرك هذه التدابير ؛ ووافق عليها المطران دينطالي ايضاً لانه كان في شوق كبير الى المجيء الى روما . فاستشار المجمع بالمطران ملوس الذي كان في روما عام ١٨٦٧ وكان قد عينه البطريرك نائباً عنه لبحث شؤون الكنيسة الكلدانية فاقترح هذا بتعيين زائر رسولي ؛ وعرض المطران خياط لهذه المهمة . غير ان البابا ترك في ٢٧ آب ١٨٦٧ امر اختيار الزائر الى القاصد الرسولي كاستلس . فاختار هذا القس جبرائيل فرسو الذي بعث بتقرير الى المجمع كانت زبدته في ان القضية سببها حب ذاتي وحب منفعة ؛ وان علة الشغب هما الكاهنان لويس شوريز وانطونيوس دلال بنوع خاص . ويبان من الوثائق — يتابع نص الجلسة — بان بطرس مازجي قد اوصى حقاً بقسم من ثروته الى كنيسة مار بثيون ؛ الى فقرائها ؛ وبانه ترك القسم الآخر يستعمله بحرية وكيفما يراه مناسباً ابن اخيه الشماس اسطيفان . كما والمطران دينطالي لم يوافق على قرار القس شوريز الآ عن كره ؛ وبان البطريرك قد اوصى بان لا ينقص شيء من رأس المال بل من الارباح لا غير . ويتساءل الكردينال الباسط القضية عن امر اتخاذ اجراء اذ يبقى على ارادة الموصي يحافظ في الوقت عينه على سلطة الاسقف المباشرة وسلطة البطريرك الغير المباشرة على تدبير الاموال الموقوفة للكنيسة . فيأتي جواب المجمع على هذه الصورة : « ليعط تعليماً خاصاً الى اسقف دياربكر الكلداني بصدد هذا الوقف التقوي لآل مازجي او كاليشوي (كذا) ، وبه يصرح بانه في رأي المجمع ان يبقى اولا تدبير الوقف بحسب الموصي ومن غير ان يتدخل في ذلك الاقليروس او العلمانيون . ولاسقف دياربكر ثانياً الحق والواجب ، كما لسائر اساقفة الابرشيات ، في الشهر كي يتم تدبير الوقف المذكور بحسب القوانين المقدسة . ولا سيما بفحص سنوياً وفي كل مرة يرى ذلك ضرورياً مجرى الامور . بان يبقى رأس المال ثالثاً مخصصاً لما قد اوقف من اجله في الاصل . رابعاً، بان يصرف من الربح فقط في اتمام الوصية الاصيلة (Acta Prop. NR Or. 4 (1868-5) f. 316-30v).

وغريب ان لا تذكر الجلسة هذه كلمة واحدة عن الشماس رافائيل مازجي، وعن مشروع المعهد والمطبعة ؛ وبالرغم من كون الوثائق التي تتحدث عن هذا الشخص وهذه المشاريع ، والتي قد ذكرناها آنفاً ، هي ايضاً محفوظة في تضاعيف مجلدات المجمع . فمن اين نستقي الخبر الصحيح ، وكيف نلتي حلاً لاكثر من مشكلة تثيرها وثائقنا هذه ؟

ثمة مثال حيّه المرحوم المطران سليمان صائغ ؛ ايام كان كاهناً ومديراً لمجلة النجم ، عام ١٩٢٩ ، يدور حول « الشماس رافائيل مازجي » ؛ بوسعنا ان نكمل به وثائقنا ولكننا لن نتوصل حتى بواسطته الى حل شاف لجميع المشاكل[1] . اذ نحن لا نعرف حتماً كيف يمكننا ان نوافق بين ما جاء في

---

١) هاك ملخص مقال سليمان صائغ : ان اسرة مازجي هي من اعرق الاسر المسيحية في ديار بكر . وقد اشتهرت بتقوى رجالها وخيراتهم وثروتهم الطائلة ؛ ومنهم كان الخواجا بدوش مازجي الذي شيد في ديار بكر كنيسة مار يشوع الكاتدرائية بموازرة ابن اخيه الشماس اسطيفان الذي كان قد التحق بخدمة محمد رشيد الصدر الاعظم بصفة كاتب . واما رافائيل مازجي فقد ولد في ١٠ نيسان ١٨١٥ ، ووالده هو القس بطرس مازجي . شعر بالدعوة الرهبانية فالتحق بالرهبنة المارية بالرغم من ممانعة اهله ؛ وسقط يوماً فانكسر ساقه وبقي اعرج طيلة حياته . وبعد وفاة والده رافائيل انتقلت ثروته الى الخواجا بدوش الذي اضاف ثروة على ثروته ، ولكنه مني بمرض عضال ؛ فاستدعى ابن عمه رافائيل ليكون وارثاً لثروة الاسرة . وقضى الخواجا بدوش في ٦ آب ١٨٥٦ ودفن في كنيسة مار يشوع تاركاً تدبير الاموال الى الراهب رافائيل الذي استحصل اذن رئيسه لقيام بذلك . وراح رافائيل يعمل الفكرة في امر تأسيس عمل خيري لطائفته . فقصد روما للتبرك واستئذان الحبر الاعظم ، ثم سافر الى اوربا حيث اشترى مطبعة مجهزة بكل الضروريات ، كما وابتاع ما يحتاج اليه لانشاء وتأثيث مدرسة ليلية ؛ وكثيراً من نفائس الحلل والاقمشة الكنسية ، وعاد الى ديار بكر . وهناك استشار مطرانه مار بطرس (دينطالي) في امر شراء اربعة بيوت ليجعل منها مطبعة طائفية ومدرسة اكليريكية ومدرستين كبيرتين ليلية ونهارية ، فشجعه المطران . غير ان وجوه الجماعة الآمدية خالفوه في مقاصده . واذ تجسمت الصعوبات كتب الاخ رافائيل الى البطريرك يوسف السادس اودو ؛ فاستدعاه البطريرك الى الموصل مقر البطريركية حيث يتسع له المجال لانشاء تلك المشاريع ، فألف الموصل بصحبة اخته ورذوش حاملاً معه النفائس التي كان اشتراها . فرقاه البطريرك الى درجة الشماسية ، ولكنه رفض الكهنوت . وراح الشماس رافائيل يصرف همته الى افتتاح المدرسة الاكليريكية ، فابتاع دوراً وخصص بعضها لمهارة المدرسة وبعضها داراً للطباعة . وسقط ذات يوم فوق الحجارة فترضضت ساقه المكسورة ، ولم تنجح العملية التي اجريت له ، ولكنه لم يكف رغم ذلك عن العمل ، فاقام قساً من المدرسة الاكليريكية التي كانت كائنة في محلة الميلسة والملتصقة بكنيسة شمعون

المقال المذكور وبين ما يكتبه نصري وبين المعطيات الثابتة التي تقدمها لنا الوثائق المسردة . فان الخواجا بدوش : بحسب صائغ : هو غير بطرس مازجي .ولكننا نعرف من الجهة الاخرى بان بدوش هذا قد توفي في ٦ آب ١٨٥٦ . وبان الشماس اسطيفان مازجي توفي في ٩ آب ١٨٥٨ وبعد ان دبر الاموال مدة سنتين وعتيب بطرس مازجي . واذ كان من الثابت بان بطرس مازجي هو والد الشماس رافائيل . وان كلا الخواجا بدوش والخواجا اسطيفان هما ولدا عم رافائيل . فهل قد جرى يا ترى الخلط بين بدوش واسطيفان؟ وكيف نوافق خاصة بين وصية الخواجا اسطيفان . او وصية بدوش . وعهدة تدبير المال الى الاخوين ميخائيل واليا كشيش اوغلي . وبين القول بان بدوش قد عهد امر تدبير الثروة قبل وفاته التي جرت عام ١٨٥٦ الى الراهب رافائيل . مع معرفتنا اكيداً بان النزاع كان لا يزال قائماً على التركة في نهاية العام ١٨٦٦ ومطلع ١٨٦٧ . اي سنة وفاة

الصفا في الموصل : وبيأها بكل معداتها ولوازمها جاعلاً اياها تحت حماية مار بطرس . وطبع ايقونات وضع على الوجه الواحد صورة البتول المحبول بها بلا دنس مع الكتابة بالكلدانية . « ايتها المحبول بها بلا دنس اصلي وحافظة مدرستنا الكلدانية صلي لأجلنا » وعلى الوجه الآخر صورة مار بطرس مع الكتابة « يا مار بطرس ساعد مدرستنا الكلدانية صلي لأجلنا » : واما التاريخ- فهو ١٨٦٣ . واكمل ايضاً بناية دار الطباعة التي هي اليوم مدرسة البنات في الموصل . وكانت وفاة الشماس رافائيل مازجي سنة ١٨٦٦ ودفن في كنيسة شمعون الصفا في الهيكل الأعلى من على يمين المذبح حيث يرى نعشه التاريخي (النجم : السنة ٢ (١٩٢٩-١٩٣٠) ، عدد ١ : ص ٢٩-٣٨) . وأما في النسخة الغير المطبوعة لكتاب القس بطرس نصري ، كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان (الموصل ١٩٠٠-١٩١٣) في الفصل التاسع وتحت عنوان « في الاعمال الخيرية التي اتى بها الشماس رافائيل مازوجي لبني طائفته في الموصل وموته بالهواء الاصفر » ، فنقرأ بان رافائيل هذا كان وحيداً لابيه القس بطرس ؛ وقصد باريس حيث ترهب في دير الفازاريين « تاركاً وراءه تنهات داره وثروة عائلته الوافرة ولا سيما الميراث الذي تركه له عمه المعروف بالخواجا بدوش بعد وفاته . ومع ذلك فاراد ان يستعمل هذه الخيرات نفسها لتكون من أكبر الذرائع الى بنيته ونوى ان يبذلها في خير بني طائفته ونجاحها ديناً وأدباً . فقدم الموصل سنة ١٨٦٣ باذن رئيسه العام ومعه زينات وحلل بيعية ولا سيما المطبعة التي جلبها مع جهاز تشغيلها واقامها في المحل الذي بناه لاداريها ونشرت بها الكتب الكلدانية والعربية والفرنسية الضرورية...وكان يرغب في اقامة مدرسة اقليريسية في الموصل الا انه لم يتوفق الى تكميل مرغوبه . ومن سعى بعد موته في اقامة المدرسة الاقليريسية التي نصبت للكلدان في الموصل مار يوسف اودو البطريرك وعبد يشوع خياط...» (عن مخطوطة لي) .

الشماس رافائيل عينه ؟ فهل هو الشماس رافائيل الذي عهد بتدبير امر الوقف الى الاخوين كشيش اوغلي ؛ بينما كان رافائيل مازجي قد استلم هو فعلاً امر تدبير الوقف بعد وفاة الخواجا بدوش او الخواجا اسطيفان ؟ انها اسئلة نتقدم بها من غير ان نأمل في اعطاء اجوبة شافية عنها ما لم تكتشف وثائق اخرى جديدة ؛ ولا سيما في خزانة البطريركية الكلدانية ؛ مع ميلنا الى اعتبار ما يسرده نصري بأصح مما جاء في مقالة صائغ .

ونأتي الى وثائقنا مرة اخرى فنلقى القاصد كاستلس يعود الى قضية اغراض دير مار كوركيس في رسالته الى المجمع في ٧ آذار ١٨٦٧ فيقول : « لقد اتخذت كل التدابير اللازمة لتنفيذ توصياتكم المحترمة بشأن ادعاءات النائب البطريركي للكلدان المونسنيور خياط بصدد اغراض دير مار كوركيس . انا اعرف بانهم يريدون المال وبان الكلية لن تحصل من ذلك على اية فائدة . لم اذكر بان نيافتكم هي التي امرتني باعطاء الدراهم . بل وعدت البطريرك بانني سوف اتمكن من الحضور لدى افتتاح الكلية ؛ وسأعطيه آنذاك المبلغ المزعوم . وانا قد قمت بذلك لاجعله يستعجل في تحقيق البناية وحتى لا يعمل ايضاً شيئاً من دون معرفتي » (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1243) . فالمعهد لم يكن قد افتتح في هذا التاريخ ، والبناية لم تكن قد اكملت بعد .

واما ناظر الرسالة الدومنيكية الاب ليون فيعرض في تقرير له الى المجمع فكرة المعهد بحسب وجهة نظر المرسلين فيكتب في ٢٦ آذار ١٨٦٧ : « غير ان الشر المسيطر والذي يفوق كل الشرور هو بغير مواربة جهل وعدم اهلية وكفاية الاقليروس المحلي . ومن ثمة فالضرورة الاكثر الحاحاً هي في تأسيس معهد ولن يكون هذا الا للكلدان لان السريان هم قليلون جداً حتى انه ليس من فكرة في اقامة عمارة خاصة بهم ؛ كما وليس في الامكان تشكيل تعليم عام للطائفتين ... فمعهد كلداني هو الامر الوحيد الممكن في هذا البلد . ولكي يقدم الفوائد المرتجاة فاعتقد بانه من الضروري ان لا يكون في الموصل ؛ اذ علاوة على النفقات الباهظة التي ستنتج عن ذلك ؛ فسوف يكون ثمة خطر في رؤية اغلبية الشبان يتذوقون فيه حياة اكثر مرونة واشد رخاء من الحياة في الارياف ... كما وينبغي وضع مدرسة عادية بقرب المعهد لتنشئة معلمين صالحين للمدارس يستطاع وضعهم بعد ذلك في القرى العديدة التي تعتازهم ؛ ويستطيعون بعد حين ، وبعد ان يتزوجوا ؛ ان يأتوا الى المعهد لاتمام دروسهم فيرقون الى

الكهنوت . ولكن لن يتم شيئاً من هذا القبيل طالما للسيد البطريرك ولمساعده السيد عبد يشوع خاصة رأيهما ... والمرسلون الاوربيون هم وحدهم قديرون على القيام بادارة مشروع كهذا . وكذا هو ايضاً رأي السيد بهنام بني» (Prop., SR Mesop. 22 (1864-74) f. 116v).

غير ان المطران خياط النائب البطريركي يكتب الى المجمع في ٧ نيسان ١٨٦٧ فيقول : « واما المعهد فليس بحاجة الاّ الى فعل ارادة حاسم ونافذ المفعول باتفاق نيافتكم المحترمة والسيد البطريرك فيتمّ انشاؤه فوراً وبانتظام . وسوف اتطوع انا به على قدر ما تسمح لي به انشغالاتي الاخرى والظروف» (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1256).

والبطريرك ايضاً في رسالته الى المجمع ، ٤ تشرين الاول ١٨٦٧ يصرح : « واما عن المعهد الذي لن يتأخر موعد افتتاحه : فسوف يستطاع استخدام الكهنة الذين سيتخرجون قريباً عن الكلية الاوربانية : والذين ليس في الامكان اشغالهم في بدء وظيفتهم بمهمة افضل » (Ibid. f. 1359) . وكان المطران خياط قد كتب الى المجمع في ١٨ تموز ١٨٦٤ فقال : « اسمع بانهم (الدومنيكان) يتحيّنون الفرصة لمنع افتتاح المعهد والمطبعة بعد ان دبّرتهما العناية لهذه الطائفة حالياً بواسطة السيد المحترم رافائيل مازجي وبالرضى العام » (Or., SR Caldei 1 (1862-6) f. 548).

ونقرأ تقريراً مطولا عن مشروع المعهد للقاصد كاستلس في رسالة له الى المجمع في ٢٦ شباط ١٨٦٨ ، اذ يكتب تحت عنوان : « انشاء كلية للاقليروس الكلداني » ، ما يلي : « بعد اعتبار العراقيل الكبيرة والكثيرة التي لا ينبغي اغفالها بصدد انشاء المدارس المختلفة في الابرشيات الكلدانية ... تجعلني الامور الاولية والمتعددة التي يذكرها الاسقف ملوّس بشأن الكلية ، ان اذكر العراقيل عينها التي تصادف المدارس الابتدائية ، لانني اظن بان هذا الشخص قد جعل روما تعتقد بما هو ليس بموجود لا في رأسه ولا في رأس الاحبار الكلدان الآخرين... انا اعرف واقرّ بصراحة بان الطائفة الكلدانية لن تقوم ابداً بخطوة الى الامام اذا هي لم تثقّف قبل كل واحد اقليروسها الذي هو عادة على جهل الى حد انه لا يعرف حتى الامور الضرورية لكي يقوم بخدمته كما ينبغي . اعرف واقرّ مع السيد اليا بانه من الضروري تهذيب الاقليروس الكلداني وانشاء كلية لها عين قوانين كلية البروباغندا في روما ، ولكن من سيكون قديراً على ادارتها ،

ومن سيكون المعلمون لاعطاء التعليم الضروري للشبان ؟ اذا ما يترك المجمع امر الكلية الى الكلدان انفسهم ففي رأيي انها لن تفتتح قط ؛ او اذا ما افتتحت فلن تدوم طويلاً . واما في حالة استدعاء البطريرك لشوريز او عطار كمعلم فيها ؛ فلست اعرف في ما اذا كان من الافضل حينذاك ترك الاقليروس جاهلاً او جعله يدرس على معلمين كهؤلاء يشربونه قبل كل شيء روح بغضة ضد البروباغندا والمرسلين . ولقد رأيتم نيافتكم بان الاسقف الينا لا يختلف رأيه في هذا ؛ فهو قد اراد بشأن الاسقف خياط ان تبقى الكلية حين يتمّ انشاؤها تحت تدبير وقيادة السيد عد يشوع خياط . وانا لست موافقاً لنيافتكم بصدد هذا الشخص وحسب ؛ حينما تصرحون بان « المونسنيور خياط لن يقدر ان يعنى كما يجب بادارة المعهد بصورة مباشرة » . بل وانا اعتقد ايضاً بانه سيكون مضراً بالمعهد وضع رئيس له كهذا ؛ لان المونسنيور بالرغم من تمتّعه بالمعارف الضرورية لوظيفة مثل هذه ، فانا اظن مع ذلك بانه غير قدير على رئاسة وتدبير المعهد بصورة مباشرة ، بل بوسعه ان يعنى فقط بما لا يمس الادارة الداخلية ... وانا اعرف ، كما يذكر الاسقف الينا ايضاً ، بانه من الافضل انشاء الكلية في موضع رئيسي في الجبل وليس في الموصل ... والمجمع المقدس يعرف جيداً بان المعهد الكلداني العتيد قد كان له رأس مال من التركة (تركة رافائيل اللعازري سابقاً) كان في الامكان تدبيره بواسطتها . واعرف ايضاً بان هذا رأس المال قد هدر بواسطة تحرشات قام بها ورثاء اللعازري سابقاً لدى المحكمة التركية. ولكنني سمعت بان البطريرك قد حصل على فرمان من القسطنطينية يتمكن به استحصال الارث المهدور... يبقى امر معرفة من سيكون الرؤساء ومعلمو المعهد . ليس من شك في كون الآباء الدومنيكان صالحين لذالك ؛ بيد انه علاوة على قلة افراد هذه الرسالة للغرض ، فانا اعتقد بانه لا ينبغي عهدته اليهم من دواعي الفطنة ، فانه حتى في حالة رضى الاحبار والبطريرك الكلداني فليس ببعيد عن الاحتمال بان مصادفة ما او كلمة واحدة ينطق بها احد الطرفين بنوع غير فطن ، بوسعها ان تحيل المعهد الى هباء» (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1476v-9).

ولكننا في رسالة للمطران خياط سطّرها بالعربية في ١٢ تموز ١٨٦٨ الى المطران اليا ملوس ايام كان هذا في روما نقرأ ما يلي : « ومن جهة المدرسة قد حرر الى بعض الابرشيات غبطته لاجل ارسال الصبيان ونيته المباشرة اول مجيهم عن قريب والدراهم للمصرف حاضرة ؛ واما التدبير والتدريس والمعلم

فكأنه يقتضي ان اكون الفقير وانا ما امسك نفسي لكن ما اعرف ايش اعمل اريد اعمل واين الحرية والقدر الواجب ونوع الادارة وحتى امر المدرسة الكبيرة امر يحيرني لاني من جهة اريد ان اكون المقيّد فيها لتدبيرها وادارتها في كل شيء والاّ فما تمشي مع هولاء الصفعاء الخائنين، لكن من جهة اخرى ليس حرّية وبلا حرّية لا يمكن العمل ويكثر التعب وليس لي لياقة لذلك . وايضاً ان قلبي منقلع عن هذه البلدة ... وانما اريد واطلب من ربي ان تكمل مشيته فقط ... ارادوا بيت يوسف ان يقترضوا من وقفية رافائيل لكن ما رضوا المتولد والشهر ذو العبطة . ثم تحاسبنا مع الوكلاء وأكدوا لنا من الربح يقدرون من الرأسمال الذي عندهم يعطون كل سنة عشرة آلاف للمدرسة . ولا اكثر » (Ibid. f. 1577-6v) . والبطريرك اودو يكتب هو ايضاً الى المجمع في ٣١ تموز ١٨٦٨ : « ومن جهة المدرسة الاكليروسية قد حررنا الى المطارين ليرسلوا الشبان اليها واستعدينا لفتحها بلا تأخير » (Ibid. f. 1600) . حتى نفهم من رسالة المطران عبد يشوع خياط الموجهة الى المجمع في ١٧ ايار ١٨٦٩ بان: « المعهد البطريركي قد افتتح الآن ، وهو يعدّ اليوم ستة تلاميذ ؛ ونحن بانتظار غيرهم . وقد تسلمت انا ادارته متبنياً قانون الكلية الاوربانية ومستخدماً كهنة صالحين ومن الشباب على قدر الامكان . بيد ان الامكانيات التي بيدنا هي ليست بكافية لتأكيد استمراره الذي لا بد منه لنوال الغاية المبتغاة » (Ibid. f. 1741v) . والبطريرك يوسف اودو في رسالته بالعربية الى ناظر المجمع الكردينال برنابو في ٢٤ ايار ١٨٦٩ يذكر الخبر نفسه بقوله : « وقد فتحنا المدرسة الاكليروسية وصار فيها الآن ستة تلاميذ ومستعدون آخرون للاتيان من الابرشيات. وهذه المدرسة تحت ادارة السيد خياط وغيرة كنايسين عمرة بنظام وآداب تامة . ودراهم اغراض مار كوركيس التي وعدنا بها وكانت مقدار عشرة آلاف غرش والاغراض التي تصرّفوا بها الدومنيكانيين فهذه الدراهم ما وصلتنا لا هي ولا غيرها لا من عند القاصد الرسولي كما وعد ولا من غير مكان . فقد خاب الامل من الذين كان لنا بهم امل وبان انهم معارضين ليس معاونين » (Or., SR Caldei 1 (1862-66) f. 634) . ونستدل من وثائق اخرى بان القس يعقوب

نعمو : استقف سعرد فيما بعد، استلم ادارة المعهد بعد المطران خياط : وبعد تعيين هذا الاخير مدبّرًا ثم مطراناً على دياربكر (Cfr. Acta Prop. NR Or. 10 (1877-8) f. 173 etc.).

واذا ما رحنا نريد استنتاج اهم ما جاء في هذه الوثائق العديدة والثمينة وفيما يختص بالمعهد بصورة مباشرة قلنا اولاً : بان فكرة انشاء معهد كهنوتي بطريركي كلداني تعود الى البطريرك نيقولاوس دي جاكوبي . ثم ما لبث ان انضم اليه القاصد لورنس تريويش ، فسعيا كل على حدة . ثم معاً في تحقيق الفكرة بتعمير دير مار كوركيس بقرب الموصل . ثانياً، ويظل المشروع من دون تحقيق ، بل ويتحقق قبله مشروع المعهد في خوسراوا في ايران ، ولكنه لم يكن مناسباً للهدف فلم يلبث ان يفشل . ثالثاً . حتى يأتي القاصد بندكتس بلانشيه فيعمل بكل جهده على تثقيف اقليروس كلداني : حتى يقتنع بضرورة اقامة معهد ضمن الابرشية البطريركية ؛ ويختار دير مار كوركيس للغرض ، ولا ينفك حتى يفتتح المعهد قبل حزيران ١٨٥٩ في دير مار كوركيس ورئيسه الاول الكاهن كوركيس خياط . رابعاً ، غير انه ما يلبث ان يغلق على اعقاب سفر ومقتل بلانشيه ونشوب الخلاف بين البطريرك اودو والكلدان من جهة والمرسلين الدومنيكان والقاصد الجديد هنري امانتون من الجهة الاخرى. وكان الخلاف على عدة امور : منها الحقّ في ملكية الدير والاشراف على المعهد . وسيسبب هذا النزاع هجر فكرة استخدام الدير كمعهد نهائياً . وسيظل النزاع قائماً على العمارة اولاً ثم على الاغراض مدة اكثر من عشر سنوات . خامساً : وسيخلق الخلاف هذا تبايناً ايضاً على مشروع المعهد : بين المرسلين والقاصد والبروباغندا من جهة ؛ وبين البطريرك واساقفته وكهنته من الناحية الاخرى . بيد ان اجتماعاً للبطريرك وبعض اساقفته اسفر عن افتتاح المعهد للمرة الثانية في كنيسة مار اشعيا في الموصل في بداية تشرين الاول ١٨٦٠ وتحت ادارة المطران برتتر . سادساً : وينسدّ المعهد من جديد بسبب النفور الذي نشب بين المطران برتتر والبطريرك اودو بعد عودة هذا الاخير من روما؛ ولعدم رضى المطران خياط بتسلم الادارة بسبب قلة الموارد المخصصة لتدبير المعهد . وكان ذلك قبل شهر آب ١٨٦٢ .

سابعاً . ونصطدم بعد ذلك بمعضلة ارث آل مازجي . والثابت في هذه القضية هو ان الشماس زاقائيل مازجي اللعازري سابقاً بعد ان نصب مطبعة للكلدان راح يسعى بكل طاقاته على تأسيس المعهد البطريركي في الموصل ، وذلك بفضل ارثه الوفير ، ولكنه يقضي قبل تحقيق المشروع ، على ما يبان ، فيكمّله رجل المعهد الاكبر البطريرك يوسف اودو ، وحتى يتمّ افتتاح المعهد نهائياً في عمارته الجديدة بقرب كنيسة مار شمعون الصفا قبل ١٧ ايار ١٨٦٩ ، وكان على ادارته المساعد الرئيسي للبطريرك المطران عبد يشوع خياط .

معجم تحليل أسماء الاعلام الشخصية وتاريخها

للعلاّمة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبيروت والبرازيل
نشره الاستاذ رياض المعلوف

حرف الدال

داجون — إله السمك .
داريوس — فارسي — بمعنى مانع .
داماد — فارسي — بمعنى الصهر أو زوج البنت .
دان — عبراني — بمعنى القاضي أو الديّان .
دانيال — عبراني — معناه (الله حاكمي) أو (قاضي الله ،)بني معروف له سفر في التوراة نقل الى بابل سنة ٦٠٦ وبقي حياً الى سنة ٥٣٤ ق م. وله أخبار مطولة (راجع دانيال بدائرة البستاني) وتقول العامة دانيًا داود — بمعنى المحبوب او العزيز ، واشهر داود النبي والمرتل والملك والد سليمان الحكيم ملك اسرائيل .
دبّورة — عبراني — نحلة أو كلمة .
دختنوس — فارسي — اسم امرأة بمعنى (بنت الميمون أو المبارك) .
درويش — فارسي — سائح . فقير . راهب . زاهد . متعبّد .
دكدكجي — ابرهيم الدكدكجي (١١٠٤ — ١١٣٢ هـ) نسبة تركية الى الدكديك وهو ما يوضع ساترًا على ظهر الحصان المعروف عندنا بالمرشحة وقيل انه دودكجي بعين القصّاب أي الزمّار وربما سمي به لأنه كان زمّارًا أو صانع القصابة .
دليلة — بمعنى المعشوقة ويقال فيها (دلّه) .
دمستق — لاتينية (دوميستكوس) لقب قائد جيش الروم .
ديان — يونانية — معناه (الغالب) وديانة شهيدة قتلت مع اربعين عذراء وديانوس .
دورة — يونانية — دُوْرُون بمعنى الهدية . وعامتنا تسمي المرأة باسم (دورا) .
دوميط — ويقال (ضومط) هو دوميطيوس الشهيد الانطاكي كان وثنياً باسم (ابّار) من بلاد فارس (العجم) فتنصّر . قتل سنة ٣٦٣ م .

دومينيكوس – لاتينية : دومينيك بمعنى سيدي .
ديك الجن – سمي بذلك لأن عينيه كانتا خضراوين واشتهر بهذا الاسم الشاعر الحمصي (ديك الجن) وله منظومات مشهورة .
ديمتري – يونانية – ذيمتريوس بمعنى (العادل) وديمتر Demeter الهة الزراعة والحضارة عند اليونان . شهيد قتل سنة ٣٠٣م وعيده في ٨ ت١ ويقال متري .
ديموستينوس – يونانية – قوة قلب الجمهور .
دينة – اسم بنت يعقوب من زوجته ليئة عبراني بمعنى حوكم ومنتقم له (تك ٣٠ : ٢١) عبراني .
ديوتريفوس – يونانية – ربيب جوبتير أو ابن جوبتير أو زفس .
ديونيسيوس – الاسكندري وديونيسيوس Dionysos إله الكروم والخمر عند اليونان مثل باخوس والرومان استعملوا دونيسيوس استشهد سنة ٢٦٤م (يوناني) بمعنى عطية المشتري (باخوس) الذي اشخصه إله الخمر .
دوميتيوس – يونانية – عربوه دوميط أو ضومط .
ديانا – يونانية – ابنة عطارد .

حرف الذال

ذيوذوريس – يونانية – عطية المشتري (جوبتير) . ويقال ثيوذورس وثاوذورس – والمؤنث (تاودورا) .

حرف الراء

روبين ؛ رأوبين – عبراني – ابن الرؤيا أو هوذا ابن او رأى البنين – أو – انظروا ابناً – أو – الرب نظر مذلتي من – رأ – أي رأى و – بن – ابن أي رأى البنين وبالسريانية (روبيل) أي العظيم لله .
راحاب – متكبرة .
راحيل – عبرانية – بمعنى (غلّة) وهو اسم قديم لابنة لابان الصغرى وزوجة يعقوب ابي الآباء وأمّ يوسف وبنيامين (تك : ٢٩ و ٣٣ و ٣٥) وسميت بهذا الاسم نساء كثيرات بعدها وقيل بمعنى شاة أو نعجة أو رخلة .

رام – عبرانية – مرتفع سام .
راعوث – عبرانية – بمعنى حديقة. وهي امرأة موآبية واحدى النساء اللواتي ذكرهن متى الانجيلي في سلسلة ميلاد المسيح . وقيل بمعنى جمال – صديقة – قنوعة . ربي – معلم .
رحبعام – عبرانية – معناها (معظم الشعب) وهو ابن سليمان من زوجته نعمه العمونية أو بمعنى الذي يوسع الشعب .
رحوب – عبرانية – مكان رحب .
رصين – عبرانية – وطيد .
رعمسيس – مصرية – ابن الشمس .
رعيا – من يرعبه يهوه (الله) .
رعوئيل – عبرانية – صديق الله .
رفقة – عبرانية – معناها (سمينة) أو – حبالة – أو – أمينة – أو – انشوطة – أو – متصالحة .
رميا – عبرانية – يهوه (الله) معظم .
روبرت – جرماني – المشهور بنصه .
روحانا – سريانية – لقب معناه (الروحاني) وهو لقب القديس قرياقوس أو كرياكوس المتوفى سنة ٥٥٦ م ولقب روحانا عند الموارنة (بالمرتل) ومن قال ان اسبريدون استف قبرس هو روحانا توهم ان اسمه من اللاتيني أو اليوناني بمعنى (الروحاني) فخلط بينهما .
روزا – لاتينية – وردة ويقال روز .
روزالي – لاتينية – اكليل ورد .
روفائيل – عبرانية – من يشفيه الله وتقول العامة (رفول) و (روفان) .
روفس – لقب لعيال رومانية كثيرة اشتهر منها رجلان الأول طبيب افسس على عهد الامبراطور طريانوس نحو سنة ١١٠ له قصيدة يونانية في الطب والآخر روفوس فستوس او سكستوس روفس مؤرخ لاتيني من أبناء القرن الثامن ق.م. كتب تاريخاً لرومية (ومعنى روفس Rufus الأشقر .
روكس – (فرنسي) اسم فرنسي توفي سنة ١٣٢٧ م.
رومانوس – اسم لشهيدين أقدمهما قتل نحو سنة ٣١٠ م
ريشرد – سكسوني – السيد القوي المقتدر ويقال ريكردوس وهو اسم ريكردوس الملقب بقلب الأسد الذي حارب صلاح الدين الأيوبي في المواقع الصليبية. ويقال ريشار .

ريّا – سريانية – لقب بمعنى (الرئيس) أو (الأمير). واسمه الكسيوس بن اوفيميانوس من امراء روسية اشتهر في اواسط القرن الخامس الميلادي.

رَيّا – يونانية – Rhea ابنة اورانوس وجيا تزوجت أخاها فولد لها منه (زفس) إله الآخة و (هاديس) إله الهاوية و (بوسيدون) إلـــه البحر و (هيرا) حامية السماء و(هستيا) الهة الأرض والأسرة و (ديمتر) إله الزراعة والحضارة.

حرف الزاي

زاباد – بن ماثان بن عناي بن احلاي ابنة شيشان معنى اسمها الله أعطاه (أيام ١ – ٢ : ٣١ – ٣٦ و ١١ . ٤١).

الزبرقان – لقب بمعنى القمر سمي به الحصين بن بدر التميمي لجماله ودعي لذلك بقمر نجد. وقيل سمي بذلك لخفة لحيته أو لصيغة عمامته بالزعفران.

زَبينا – سريانية – بمعنى المبيع والمملوك وزبينا الشاعر النصراني كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد.

زَخيّا – سريانيـــة – لقب بمعنى (البارّ) ويقال انـــه تعريب اينوقت Innocent وبذا يعربون البابوات بهذا الاسم بكلمة زخيـــا. ورجح الأب شيخو في مقالته (أولياء الله) مشرق ١٣ : ٤٥٠) ان زخيا هو نقولا اليوناني بمعنى الظافر وزخيا بهذا المعنى ايضاً وعيدهما بيوم واحد في ٦ ك١.

زارح – شروق.

زبدئيل – هبة الله.

زبدي – نصيب مضاعف.

زبولون – عبرانية – الآن يساكنني بعلي – مسكن.

زُبَيدة – عبرانية – ممنوح.

زخريا – عبرانية – تذكار الرب ويقال زخيا وزكريـــا وزكور وزكار. وزخّور.

زرّابل – عبرانية – مولود في بابل – غريب من بابل.

زَفْس – يونانية – المشتري (جوبتير).

زكريّا – عبرانية – ذكر الله أو تذكار الرب ويقال زخريا وزخّور.

زكّور – متيه.

زكّا – عبرانية – عفيف . عادل . زكي .
زلفة – عبرانية – تنقيط.
زنّوبيه – يونانية – حياة . يقولون (زنّوبه) وزينب وزنّوب.
زيد – سريانية – الحادّ الطبع .
زينون – يونانية – بمعنى الحي .

حرف السين

سابا – يونانية – بمعنى الناسك سموا به السبت (ساقاتو) وهو قديس مشهور عند الشرقيين توفي سنة ٥٣٢ م وتذكاره في ٥ ك١ وتأتي سريانية بمعنى الشيخ . راجع اوسابيوس .
سارة – عبرانية – بمعنى ملكة أو رئيسة اشتهرت به زوجة ابرهيم الخليل وبمعنى أميرة . وقمر .
ساروفيم – عبرانية – أو مصرية – من أسماء الملائكة ومثلها الشاروبيم والعامة تقول (صرّوف) اسم أسرة اشتهرت بعلمائها في دمشق ولبنان .
سارابامون – مصرية – اسم مصري من ثلاثة آلهة (سار) تحريف اوسار أي أوزيريس آلهة الزراعة و (أب) من حابي معبود النيل و (أمون) الاله الأكبر وسارابامون هو اللفظ اليوناني الباقي بعد دخول المسيحية الى مصر .
ساراي – مولاتي . أميرتي .
ساسين – لاتينية وأصل أسمه سيسين من Sisinnius اللاتينية وهو قديس تذكاره في لبنان في ٢٣ ت٢ .
سام – عبرانية – أحد أولاد نوح الثلاثة سام وحام ويافث . ومنهم تسلسل العالم بعد الطوفان .
سبينا – لاتينية – بمعنى وديعة اسم انثى .
ساويرُوس – يونانية – اسم الامبراطور Severus بمعنى القاسي وسمّي به الشرقيون مثل ساويروس ابن المقنع المؤرخ المشهور .
سُتَالِين – الزعيم الروسي الكبير المارشال في حرب ١٩٤٢ معنى اسمه (فولاذ)
سُحنُون – ابو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الفقيه المالكي قضى بالقيروان وله مؤلفات، توفي سنة ٢٤٠هـ ولقب سحنون باسم طائر حديد الذهن .
سرجون – سريانية – بمعنى النور والسراج و (اون) علامة التصغير بالسريانية وعبرانية بمعنى ثابت هو الملك . وسرجيوس باليونانية (وسركيس) تحريفها.

السرّازين — Sarrasins محرفة عن لفظ الشرقيين وهي قبيلة عربية منهـا اذينة ملك تدمر بحكم الرومان .
سرسان — يونانية — سراكينوس أي الشرقيين اطلقوها على الشراكسة .
سركيس — أو سرجيوس — فسركيس سريانية بمعنى الشبكة وسرجيوس يونانية — اشتهر القديسان سرجيوس وباخوس استشهدا نحو سنة ٣٠٧ م وتذكارهما في ٧ ت١ وهما متلازمان وباسمهما كنائس كثيرة .
سروج — عبرانية — بمعنى غصن .
سقراط — يونانية — سوكراتوس بمعنى (مخلّص المملكة) .
سلجوق — آل سلجوق دولة تركية كانت أشهر دولة في عهد العباسيين انتسبوا الى مقدمهم سلجوق الذي آخرهم في القرن العاشر للسيلاد في بخارى حيث أسلموا ولقّب حفيده طغرلبك سلطاناً واستولى على خراسان وغيرها من الولايات الايرانية ثم على بغداد ١٠٥٦ م فلقّب أمير الأمراء ومـات ١٠٧٢ م وخلفه من بعده .
سلوانس — يونانية — Silwanus — وهو إله الأحراج والحقول والبساتـين وحامي حدود الحقول عند الرومان ويقال سيلانس وسيلا ومعناه (اجمي)
سُلَيْك بن السُّلَكة — أي الفرخ ابن الحَجَلَة .
سليمان — عبرانية — معناه سلامة وهو اسم سليمان ابن داود الملقب بالحكيم ملك اسرائيل باني هيكل اورشليم المشهور باسمه وتأتي بمعنى سليم — وقابل السلام — وتقول العامة (سلمان) وسلّوم وسليم — وسلام — سَلَمُوْن — عبرانية — لباس — لابس — سلام .
سمعان — عبرانية — بمعنى مستمع أو سميع — مطيع — الشهير — وسريانية — بمعنى السمعواني اشتهر به سمعان بطرس الرسول وسمعان العمودي القديس الذي قضى حياتـه على عمود ومات سنة ٤٥٩ م وذكره في أول أيلول ويقال (شمعون) .
سنحاريب — (اشوري) بمعنى قد أرسل أخوة كثيرة أي ليس هو ابن أبيه الأكبر — وهو اسم الملك المشهور — وقيل (القمر يكثر الاخوة) .
سوسان — عبرانية — بمعنى اميرة — وتأتي بمعنى زنبقة وهي المعروفة بين الرياحين .
سيرافيم — عبرانية — بمعنى لهيب أو رفيع ؛ ويقال ساروفيم وشاروبيم وصرّوف .
سيسيلة — لاتينية — بمعنى قصيرة النظر أو حسيرة ويقال فيها سَـوِل .
سيلا — سريانية — بمعنى مطلوب .
سهدون — أرامية — بمعنى الشهيد الصغير .

حرف الشين

شارل – بمعنى الرجل .
شارلوت – بمعنى الشريفة . وكارولينا مثلها .
شاروبيم – راجع ساروفيم – عبرانية – بمعنى الحارسين الحافظين وعند العامة شاروبين .
شالح – عبرانية – بمعنى الدفع أي البعث بالشيء الى الامام
الشاه – لقب لملوك الفرس بمعنى الملك .
الشاهنشاه – لقب فارسي معناه (ملك الملوك) .
شاوول – عبرانية أو سريانية بمعنى الطالب أو المطلوب أو المسؤول .
شدياق – يونانية – أصلها ارشوياكون ومعناها شماس وأصلها رئيس الشمامسة الانجيليين . استعملها السريان (الشدياق) .
شربل – أسقف الرها الشهيد سنة ١٢١ م مع شقيقته (باباي) وتذكارهما في ١٤ ت١ .
شفيرة – سريانية – بمعنى جميلة .
شلبي – تركي – چلبي بمعنى سيدي . وعندنا بمعنى ظريف للشريف الحسب والنسب .
شلمناصر – أي شلمان ذو نعمة .
شلطيا – سريانية بمعنى (الحاكم والمسلّط) يقال انه هو (ارتيموس) Arthéme من أقارب قسطنطين الملك الكبير ولاّه على مصر فلقب بذلك واستشهد سنة ٣٦٣م في الاسكندرية وذكره في ٢٠ ت١ وأنكر بعضهم انه ارتيموس.
شمعلة – شاعر تغلبي لعله من اسمعيل وقيل انه من الثاقة الشمعلة أي النشيطة السريعة .
شمشون – عبراني – بمعنى (الشمس الصغيرة) أو (شبه الشمس) وقيل بمعنى (الخوف والانذهال) لأن أبويه انذهلا من ملاك الرب حين ولادة ابنهما (قض ١٣ : ٣ و ١٨ – ٢٠) .
شمعون – عبرانية – بمعنى سمع لأن الرب سمع لمذلة ليئة فهو ابن يعقوب الثاني من زوجته ليئة .
شمونة – والدة الفتية المكابيين السبعة الذين قتلت معهم ومع العازر الشيخ وعيدها في ١ آب .
شما – عبرانية – دمار – اسم امرأة وتقول (شما) وشمونة .
شمشقيق – أرمنية – بمعنى (قصير القامة) وهو لقب يوحنا الأول ملك الروم.

شنودة — قبطية — بمعنى (ابن الله) اسم كاهن في القرن الخامس للميلاد وله دير باسمه في الوجه القبلي يسمّى (بالدير الأبيض) وهو الذي دافع في مجمع نيقية المسكوني ضد آريوس. وحرّف في اليونانية الى سانوتيوس Sanethius.

شيبان — بمعنى عصا.

شيت — ثالث أبناء آدم من معانيها في العبرانية (الوغى) (عد ٢٤ : ١٧) وفسّرتها الترجوم الأورشليمية بمعنى (المشرق) وفسّرها يوناثان بن عزئيل بمعنى (حيش جرح) الذي سيصطف في قتال اسرائيل. وقيل بمعنى تعويض. وضع. اساس.

شيركوه — فارسي — بمعنى أسد الجبل من (شير) أسد و (كوه) جبل.

شيرين — كلمة فارسية معناها (حلو) سميت بها حظيّة كسرى ابرويز وكانت جميلة فائقة.

شيطان — عبرانية — بمعنى خصم.

شَيْنَا — سريانية — بمعنى السلام والسعد وهو لقب القديس (ابراميوس) من انطاكية وله قصة تدل على لقبه، وظنّ بعضهم ان شينا تحريف شيلا أو سيلا من منشئ الأديار في حرّان.

حرف الصاد

صدقيّا — عبرانية — عدل الله. زكاة الله.

صفرونيوس — يونانية — بمعنى العفيف أو ذي العقل السليم.

صَفُّورة — عبرانية — عصيفيرة تصغير عصفورة.

صفنيا — عبرانية — يستره الله.

صابات — عبرانية — الله قسم. اليصابات. واليزا. وليزا اليصابات واليزا وليزا ولويزا.

صادوق — مبرّر أو صادق.

صقالبة — Slaves — الاسم مشتق من كلمة (سلافا) باللغة الصقلية بمعنى (المجد) أو (سلوفو) بمعنى الكلام وفسّروها انها الدلالة على امم مختلفة تتكلم لغة واحدة ويظهر ان العرب عربوا كلمة الصقالبة من كلمة (سكلاف) تحريف سلاف.

صموئيل — عبرانية — سمع الله أو اسم الله. أو الذي يستمع له الله. أو

المسموع من الله . أو مطلوب . والعرب تقول السموأل .
صوفيّا – يونانية – بمعنى (الحكمة) .

حرف الضاد

ضياء – اسم نسبةً الى الضوء .

حرف الطاء

طابيتة – عبرانية – أو سريانية – بمعنى الغزالة .
طاليس – يونانية – بمعنى شجر لا ينثر ورقه (أعروان) بالفصحى ومنها ارسطوطاليس بمعنى الممتاز وهو اسم الفيلسوف اليوناني الشهير ويقال ارسطو .
طوبيّا – عبرانية – بمعنى (جودة الله) .
طولون – بمعنى (البور الكامل) .

حرف العين

عائدة – حسنة .
عابر – عبرانية – العابر أو المجتاز .
عازر – عبرانية – بمعنى عزاء ، اليعازر – عزُّور ، عازار .
عالي – عبرانية – ارتفاع و (عَلْيَا اسم المرأة) .
عاموس – عبرانية – حِمْل .
عبد نَغُو – عبد الضوء .
العباد – قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة والنسبة اليهم عباديّ ومنهم اسحق بن حنين العبادي وغيره .
عبدون – سريانية – العبد الصغير .
عبدا – اسم شهيد قتل نحو سنة ٣٧٤ م أو ٣٧٥ م وشهيد ثان قتل نحو سنة ٤٢٠ م وما رعبدا المشمَّر عند اللبنانيين نسب الى محل المشمَّر في وادي قديشا (المقدس) فوق طرابلس لبنان .
عُبَيْدْ عِبَيْدْ – تصغير عبد .

عثايا — عبرانية — مَن خلقه الله ، ولعل منها اسم (عطايا) عندنا فلفظوها بالثاء ثم بالطاء .
عثليا — عبرانية — من يبليه الله .
عثنيئيل — هذا ملك .
عجلون — عبرانية — شبيه بعجلة .
العَجْلان — لقب عبد الله بن كعب لتعجيله القِرى لضيوفه ونسب إليه بنو العجلان .
عدلا — أو عدلة من العدل العربية .
عديلة — عربي — من العدل يقابلها بالافرنجية Adèle والعامة تقول (ادال) في تسمية المرأة .
عَزْرا — عبرانية — بمعنى معين وعون ، أي معونة الله .
عزريا — عبرانية — بمعنى عز الله .
عَزُور — عبرانية — معين .
عُزِّيا — عبرانية — عز الله — قدرة الله .
عَثْرون — (ربماحيّة) شبيه بأيّل .
علوان — عبرانية — عال .
عمران — عبرانية — شعبٌ تعالى .
عمري — عبرانية — عبد الله .
عمّانوئيل — عبرانية — معناهُ الله معنا .
عَمّون — عبرانية — ابن شعبي .
عماليق — عبرانية — الساكن في الوادي . الشعب المؤذي .
عَمِّيناداب — عبرانية — شعب الأمير .
عناق — عبرانية — قلادة .
عوبديا — عبرانية — عبد الله .
عوبيد — عبد .
عُوج — عبرانية — طويل العنق أو أعوج العنق — يقال عوج ابن عناق .
عوزيل — قوة الله .
عوصن — عبرانية — مشمر . مشورة .
عيسو — عبرانية — مُشْعِر (كثير الشعر) أو خشين ويقال من شعاع أو يشّع ومنه عِيسَى والعامة تقول عِيسِي .

حرف الغين

غاتا — يونانية — طيبة القلب .
غراندوق — (فرنسية) أمير عظيم . أمير خطير (لقب) .
غريغوريوس — يونانية — يقظان مات نحو سنة ٢٧٠ م ويقال غريغوري. وغرغور .
غطّاس — ترجمة كلمة Baptiste اليونانية بمعنى المعمدان من غطس في الماء اذا سبح . ومنه عيد الغطاس ويسمى عيد الدنح بالسريانية .
غفرئيل — راجع (جبرائيل) ويقال (غبرئيل) .
غمالائيل — عبرانية — جزاء الله .
غود فروا — (جرمانية) سلم الله .
غودنسيو — لاتينية — فرح .

حرف الفاء

فالج — عبرانية — أو فالغ بمعنى القاسم أو المقسم وفلج باللغات السامية بهذا المعنى .
فالنتينوس — لاتينية — بمعنى (شديد) وهي ترجمة هذا الاسم لأن كهنة الموارنة الذين كانوا في ايطالية وفرنسة ترجمت اسماؤهم بلغة تلك البلاد ويقال فالنتين بمعنى المقتدر .
فردوس — فارسي — بمعنى (الجنة) وهو اسم انثى . واحياناً ذكر .
فرتوناتوس — عبرانية — بمعنى المحظوظ (أي ذا الحظ) .
فرجيني — لاتينية — العذراء .
فرزّي — عبرانية — ابن القرية . القروي .
فريسي — عبرانية — منعزل . وسريانية ممتاز .
فردينانند — جرمانية — السلم الصافي.
فرعون — قال يوسيفوس المؤرخ انها مصرية بحتة . ويقال انها من القبطي (اف ا د ر د) أي ملك أخذها الأسرائيليون لما كانوا بمصر وزادوا عليها النون ومعناها المصري القديم الشمس أو الملك وهي اسم علم جنسي لملوك مصر . من (فعور) الملك و (فر) فرع و (أون) الشمس . أو من (ير) و (عوى) اسم قصرية وهما رمز لملكيته . وهو اسم هيروغليفي من

(حنير) و (فير) أو (پير) البيت الكبير . و (آ) عظيم . بمعنى مؤسس السلطان . والكلمة اذا كانت قبطية تفيد معاني الشمس والملك والمنتقم أو التمساح . وتقول عامتنا (مْفَرْعَن) و (تْفَرْعَن) بمعنى كان قوياً .

فرنسيس — لاتينية — حرّ — أو — جرمانية — مرّ ويقال فرنسوا .

فرنسيسكه — لاتينية — حرة مطلقة .

فستوس — فرحان .

فريدريك — جرمانية — أو فريدريخ بمعنى السلم المغني .

فتح — عبرانية — منتوح العين .

فكتور — لاتينية — ناصر أو منصور .

فكتورية — لاتينية — مظفرة أو منصورة .

فلورنس — لاتينية — بمعنى اخة أو زاهرة أو زهرة (فلور) لاتينية (فلوس) بمعنى الزهرة .

فنحاس — عبرانية — فم النحاس .

فنوئيل — وجه الله أو رؤيته .

فوقا — قديس كان في ايام الرسل استشهد في أوائل القرن الثاني للميلاد وعيده في ٢٢ تموز .

فليشي — لاتينية — بمعنى مسعود ترجمة الاسم باللاتينية .

فوستوس — أو فوسطوس — لاتينية — بمعنى (مرجح) ترجمة الاسم اللاتيني .

فوميّة — راجع (أوفيمية) — يونانية — التقديسة اوفيمية (افيمية) حرفت ومعناها الطيب الذكر .

فوطيفار — مصرية — ثور سمين أو مختص بالشمس (لعبادتهم العجل) .

فايولا — بنفسج .

فيلبُّس — يونانية — معناه (محب الخيل) وهو والد اسكندر المقدوني مركبة من (فيلس) أي محب و (هبس) الخيل وهو بالافرنجية Philéppos وباليونانية Φιλιππος ويقولون فيليب وليبّوس . ومن معانيها الحربي .

فيلكس — لاتينية — السعيد — سمّيت بيروت (جوليافيلكس) أي جولية السعيدة .

فيلادلفيا — محبة الاخوة .

فيلوثاوُس — يونانية — من فيلو Philo بمعنى حبيب وثيوس Theos بمعنى الله فمجمل معناه (حبيب الله) أو محب الله ويقال تاوفيليس وفلتس وفلتاوس بمصر .

فيليمون — يونانية — حبيب ، ويسمون عندنا الانثى (فلوميتا) .

حرف القاف

قبط — تحريف لفظة (ايجبتوس) اليونانية المشتقة من اسم (منف) عاصمة مصر القديمة التي عرفت باللغة المصرية (حتكا — وبتاح) فحرّفت الى (هاكوبتاح) ومنها الى (هاكبت) و (آجبت) . وأضيف الى اللفظ الأخير (اوس) اليونانية فصارت (ايجبتوس) ومنها أخذ الأفرنج الاسماء التي اطلقوها على بلاد مصر مثل Egibto و Aigypt واطلقوا اسم (جبط) على سكان مصر فحرّف الى قبط . وقيل غير ذلك في هذه التسمية مما لا ينطبق على الواقع مثل قول المقريزي ان كلمة (قبط) نسبة الى قبطيم بن مصرايم بن حام بن نوح . وقول غيره انها نسبة الى قفط البلدة الواقعة بين قوص وقنا وهي مركز القوافل والرأي الأول أرجح .

قابوس — فارسية — محرفة من (كاوس) وهو اسم ملكهم (كيكاوس) أي الكيّس أو الظافر .

قارول — (صقلبية) بمعنى ملك ويقال كارول .

قايين — عبرانية — بمعنى اقتناء . ملك . ثمرة .

قانصَوْه — شركسية — بمعنى ابن معبود السماء .

قبلان — تركية — بمعنى النمر .

قرقماز — تركية — الذي لا يخاف .

قراقوش — تركية بمعنى (العقاب) الطائر المعروف وهو اكبر من النسر لقب به بهاء الدين خادم صلاح الدين الأيوبي راجع ابن خلكان ١ : ٣١٥ و ٤٣٠ وابن مماتي مؤلف (الفاشوش في احكام قراقوش) ابن خلكان ١ : ٦٨ ويقال معنى قراقوش العصفور الأسود أو الشحرور .

قرياقوس — ويقال (كرياكوس) وهم اسم القديس الملقب بروحانا (فراجعه) يونانية بمعنى شريف أو من الأشراف وهذا قديس آخر صغير Cirycus Quiricus قتل مع أمه يوليطا في طرسوس من كيليكية وعيدهما في ١٥ تموز وفي مروج الأخبار اسمه (كيروس) ومؤنثه (قرياقي) أو (كرياكي) .

قزما — ورفيقه (دميانوس) عربيان طبيبان للفقراء مجاناً قتلا نحو سنة ٢٩٧ وعيدهما مختلف عليه . وقزما — يونانية — كُزْميدُس بمعنى محتشم وأصلها (كُزْماس) بالمعنى المذكور أو بمعنى المزيّن و — دميانوس — راجعه بحرف الدال .

قسطنطين – لاتينية – بمعنى الحازم ؛ ويقال قسطاكي وقسطا والبعض يقولون (إسطا) وهي تركية بمعنى استاذ وماهر وقسطندي .

القُسطاميّ – لقب عمير بن شيم من بني ثعلب بالقُسطامي من أسماء الصقر ومعناه اتحدّد البصر الى الصيد وذلك لقوله :

يصكهنّ جانباً فجانباً صكّ القطاميّ القطا القواريا

ولقّب أيضاً (بصريع الغواني) لقوله :

صريع غوانٍ راقهنّ ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

والقطامي من (الأراقم) والأراقم احياء من تغلب هم ستة جُشَم وماذن وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث . واسمهم هذا امـا من الرّقم أي الكثير لعددهم وأما لشبههم بالأراقم أي الحيات لشبه عيونهم بها وقال القطامي مفتخراً بنسبته إليهم :

ويرفدني الأراقم خير رفدٍ وشيبانَ بن ثعلبة القرومُ

قورح – اقرع الرأس أو جامد .

قيافا – عبرانية – انخفاض .

قَيْس – قوس .

قيصر – لاتينية – المشقوق عنه لأنهم شقوا بطن امه لاستخراجه عند الولادة ويسمى بالعربية (الخشعة) وقيل معناه (المزيّن بالشعر) .

قينان – عبرانية – اقتناء أو حداد أو خليقة .

(له تابع)

رواية العمرين

تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم الخوري حنا طنوس † — غرزا

عمرو بن هند	
عمرو بن كلثوم	شاعر تغلب
زهير	ابنه
الحرث بن حلزة	شاعر بكر
ظليم	ابنه
عبد المدان	ربيب زهير
خالد	
نكير (المتلمس)	
ابن سنمار	
السجان	
المغني	
مرّه	
اعمى	
جنود	

بين أعلام اللبنانيين الذين طوافم الربع الثاني من هذا القرن ، كان تفوق في العديد من ميادين المعرفة واسهم في انشاء جيل وقيام نهضة . ان الكثيرين منا لا يزالون يذكرون الخوري حنا طنوس وما امتاز به من فكر خلاق وخيال خصب وشاعرية مبدعة .

لقد جمع في شخصه بين فنون الأقدمين وعلوم عصره . لكنه اشتهر على الأخص بالفن المسرحي حيث حقق في أعمال الأجواء تاركاً روائع تفتحت عنها عبقريته ونبوغه . وحسبه أنه أول من ألف بلغة البلاد الرواية المسرحية في وقت اقتصر فيه التمثيل على التراجم الاجنبية . وقد أصغى عليها مسحة وفعت المسرح العربي الى المرتبة الخليقة به .

واليوم ، مع إطلال عام ١٩٦٦ ، تنقضي مئة سنة على ميلاد من اوحد صحوة لبنانية حقة في التأليف المسرحي . لذلك يفكر فريق من الأدباء في احياء ذكراه باقامة اسبوع تذكاري له وتنذر كل الجمعية اللبنانية أعربت عن عزمها على إحصاء رواياته ونشرها .

أما عدد الروايات التي عددها بريز على الثلاثين ، فشيء ما هو تأليف وشيء ما هو تعريب . إلا ان القسم الأوفر منها ما زال مخطوطاً . ويتناول معظمها مواضيع شرقية بعضها مستمد من صميم تاريخ لبنان والعرب : مثل البطل المجهول والحرير لك حملوا وأمير الأرز . والسجناء الخمس ، والمحررين ، وشهداء نجران ... و«داحس والغبراء» و«سيدة قصرين» و«يوسف بك كرم» و«المقتل اللبناني والدهاء العثماني» .

ورواية «المحررين» التي ننشرها فيما يلي انما هي برهان ساطع على مقدرة المؤلف الفنية على خلق الثقة والحوار والمناخ والزمن التي تتلاءم وموضوعه . فكأنك ، وأنت تطالع «المحررين» ، تعيش في جو عربي أصيل يدور فيه الخلاف بين ملك الحيرة وشاعر تغلب . وما ذلك سوى إحدى الميزات التي اتسم بها الطابع المسرحي لمن كان يحق مربي جيل وباعث فن ورائد نهضة .

(الشرق)

الفصل الاول

المشهد الاول

(احدى قاعات الخورنق)

(عبد المدان في طرف المسرح) (زهير في الطرف الآخر)

عبد المدان : (واقف ــ باسط يديه الى السماء) آمنت بالذي رفع السماء، وبسط الفضاء، وفصل بين الماء والماء . له يسبح لساني في الصباح وفي المساء ــ (ثم يخر ساجداً ويقبل) سجد وجهي للذي خلقه وهو جاشم، وما جشمني من امر فاني جاشم .

(وينشد) ان تغفر اللهم تغفر جمّا واي عبد لك ما المّا

(يبقى واكماً باسطاً يديه)

زهير : صلي حبل الوصال ومتعينا بروئيـة آلنـا أو ودعينا
حياة الذل يحسبها حيـاة اساقلنـا واحسبها منونا
اعد العز في سقر سماء وذلي في السما سقرا وهونا
دعونا آل تغلب من بعيد وعلينـا اختاف ليسمعونـا
ايا عمرو العلاء اعن وليدا فسعيك للعلى في ان تعينا
فما من سامع منهم نداء ومـا احد يجيب اخاتفينـا
فان سكت الاراقم ليت شعري فيـا ارض الجزيرة كلمينا
فيـا رب الخمائم بلغيهم دعـانا ثم عودي جاوبينا
وقولي لابن كلثوم المندى فتاك فتاك يـا ابن الاعجدينا
فتاك وعزك الاسنى زهير غدا في السجن مأسورًا رهينا
فهل ترضى بذل يا ابن ليلى ونفس الشهم تأبى ان تهونا

عبد المدان : (ينهض عند آخر الشعر ويقوم اليه)

زهير الخير لا تجزع تجلد فان الله يجزي الصابرينا
وان الشمس تطلع بعد ليل مشعشعـة تنير العالمينـا
وان الصحو يعقب في سمانا غيوماً لبدت في الجو حينا
كذاك اليسر يأتي بعد عسر فينعش قلب قوم يائسينا
فـان اباك طلاع الثنايا وان اباك ملجا اللائذينـا
وليس السجن عارا في البرايا اذا لم تقترف ذنباً مشينا
اذا سكن الغضنفر بيت ضبّ يصير البيت مسكنـه عرينا
وما انت السجين ايا ابن عمرو رهيناً كنت ما كنت السجينا

زهير : اي عبد المدان ، قل لي بحقك ، ما حمل ابي على ان يبعث بي رهناً الى انخورنق ؟

عبد المدان : لما طالت حرب البسوس التي اثارها جاس بن مرة بين بكر وتغلب ، بقتله كليباً ، اعز العرب ، وكان المهلهل ، جد ابيك ، قد اسرف في القتل ، وكادت القبيلتان تتفانيان . نهض عمرو بن هند ، وهو جبار ، عظيم الشأن والملك ، وجمع بكراً وتغلب ، ابني وائل ، واصلح بينهم ، واخذ من الحيين رهناً ، من كل حي مائة غلام ، من اشرافهم واعلامهم ، ليكف بعضهم عن بعض ، وشرط بعضهم على بعض ، وتواثقوا

على ان لا يبقى واحد منهم لصاحبه غائلة ، ولا يطالبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء .

زهير : ذلك اعرفه . وقد كان اولئك رهنا يصحبون عمراً في مسيره ؛ ويغزون معه . فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه ؛ افاد حق الرهن .

عبد المدان : فسرّح عمرو بن هند ركباً من بني تغلب وبني بكر الى جبل طي ؛ في امر من اموره . فنزلوا بالطرفة ؛ وهي لبني شيبان وتيم احلاف بني بكر . فاجلى البكريون التغلبيين عن الماء وحملوهم على المعازة فماتوا عطشاً .

زهير : اما بكر فتزعم انه قد اصابتهم حموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . هذا ما اعرفه . ولكني انما أسألك عن سبب ارتهاني في هذا القصر .

عبد المدان : فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا ديات ابنائهم من بكر . فأبت بكر بن وائل اداءها .

زهير : فاجتمع بنو تغلب لحرب بكر بن وائل واستعدت لهم بكر . اني اعرف القصة الى هنا . ثم رأيت نفسي في قصر الخورنق صحبة ربيبي عبد المدان . وهذا ما احب الوقوف على سببه .

عبد المدان : فلما انتفت جموع بني وائل ، كره كل صاحبه ؛ وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت . فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح وتحاكموا الى الملك عمرو .

زهير : ولمن حكم الملك اليس لتغلب ؟

عبد المدان : فقال عمرو : ما كنت لاحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل ؛ فاجعلهم في وثاق عندي ؛ فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم ؛ وان لم يكن لهم حق ؛ خليت سبيلهم .

زهير : وحق ربيعة ، او انا من اشراف بكر الست زهيرا بن عمرو بن كلثوم التغلبي ؟

عبد المدان : فقبلت بكر بما طلب اليهم ، ولكنهم طلبوا ان يؤخذ من تغلب ابن سيدهم ؛ ومن بكر ابن سيدهم ؛ ليكونا رهناً عند عمرو بن هند الى ان يتم الصلح .

زهير : ورضي ابن عمرو بهذا الذل ؟ !

عبد المدان : ان اباك اعز الناس نفساً، واكثرهم امتناعاً؛ وما هذا شين. انما العز في ان يضحي العزيز بولده في سبيل عشيرته .

زهير : اتقول صدقاً يا عبد المدان ام تعزّيني ؟

عبد المدان : ما قلت الا الصدق .

زهير : ومتى يكون الحكم بين العشيرتين ؟

عبد المدان : هذا اليوم .

زهير : كيف يكون الحكم اليوم ولم يحضر احد من الخصوم ؟

عبد المدان : لا يلبث ان يحضروا: فقد رأيت الساعي نكيراً المقنع داخلاً على عمرو بن هند .

زهير : من هذا الساعي نكير ؟

عبد المدان : رجل ينتسب لقوم، فتقدم لخدمة عمرو من شهر. وهو مقنع لعاهة في وجهه على ما يقول .

زهير : لعله عدو ماكر يغتال الملك على حين غفلة .

عبد المدان : لا يدخل على الملك الا اعزل والحرس تسهر ليلاً نهاراً على رأس عمرو .

زهير : اني ارى رجلاً متنعاً مقبلاً علينا .

عبد المدان : لعله نكير يحمل الينا البشائر. (يدخل نكير)

المشهد الثاني

(عبد المدان ، زهير ، نكير)

نكير : نكير حامل اليكم بشائر خير .

زهير : وما وراءك يا نكير ؟

نكير : ورائي عمرو بن كلثوم سيد تغلب في اشراف قومه .

زهير : أبي آت بساداب تغلب، فواطربي فواطربي. ومتى سيبلغون القصر ؟

نكير : قد بلغوا اليه بوقت واحد هم والبكريون يقودهم الحرث بن حلّزة .

زهير : أبي في القصر، فيا لسروري، يا لفرحي، يا لغبطتي ؛ يا لهنائي. فاني اسرع اليه، بل اطير على جناح الشوق والحب، هلمّ يا عبد المدان، ثم ابشر صديقي ابن الحرث بقدوم ابيه .

المشهد الثالث

(نكير وابن سنمار)

نكير : (يرفع عن وجهه البرقع) يا يوم ثأري طال احتجابك عني ؛ يا حسام انتقامي . متى يصبغك غضبي بدم خصمي . يا ابن هند ؛ انكرت نديمك المتلمس . غيرته غير الزمان وخطوب الحدثان فخفيت عليك معرفته .

ابن سنمار : (يدخل مسرعاً اليه) : أو انت المتلمس يا نكير .

المتلمس : (يرجع البرقع باسرع من لمح البصر) . أمسّك جنّ ام عراك جنون ؟ مضى المتلمس بصحيفته .

ابن سنمار : سمعتك ؛ فلا تحاول الانكار ، على ابن سنمار ؛ فقد كان يردد على اني قوله :

بنيّ ان آخيت فكن كالمتلمس وان عاديت فكن كالمتلمس.

المتلمس : انت ابن سنمار ؛ رحم الله سنمارا . كان ابوك اوفى الناس ذمة ، واصدقهم عهداً ، واخلصهم مودة ، وجوزي شرّ جزاء .

ابن سنمار : الست المتلمس نديم عمرو بن هند وشاعره صاحب اني ؟

المتلمس : اذا كنت انت ابن سنمار ، فانا جرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس .

ابن سنمار : يا عزائي ورجائي من الناس كلهم . عليك وضعت اعتمادي لاخذ ثأري . قتل ابن هند ابي من غير ذنب .

المتلمس : ان ثأري اعظم واكبر .

ابن سنمار : وما ثأرك ؟

المتلمس : كنت في منادمته مع ابن اختي طرفة بن العبد البكري ؛ فساءنا يوماً ؛ فهجاد طرفة ، وهجا عبد عمرو ؛ فوشى به العبد الخائن .

ابن سنمار : وشى به وهو ابن عمّه ؟ واين حرمة النسب ؟

المتلمس : اللئيم لا يراعي حرمة القرابة ولا يحفظ حق الصداقة .

ابن سنمار : وما فعل عمرو ؟

المتلمس : دعانا وقال لنا : لعلكما اشتقتما الى اهلكما ، واحببتما الانصراف من عندي . قلنا له : نعم ! فصرفنا من عنده وناولنا

كتابين الى المكير عامله على البحرين . ففتحت الكتاب واذا به : « باسمك اللهم : من عمرو بن هند الى المكير ، اذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيّا .

ابن سنمار : يا للامر الفظيع !

المتلمس : فالقيت عند ذلك الصحيفة في النهر وقلت لابن اختي : يا طرفة . معك والله مثلها : فقال : كلا... ثم جاء الى المكير فقطع يديه ورجليه ودفنه حيّاً .

ابن سنمار : يا لقساوة تقصر عنها الأبالسة ! وما اتيت تصنع هنا ؟

المتلمس : جئت متنكراً باسم نكير ، وجعلت نفسي ساعياً عند عمرو ، لاسعى الى حتفه العاجل . واروي غليلي بموته وادرك ثأري .

ابن سنمار . وانّى لك السبيل الى ادراك ثأرك وعمرو امنع من عقاب الجو ؟

المتلمس : هذه ساعة المحاكمة بين تغلب وبكر . وعمرو بن هند يميل الى بكر ، فيحكم لهم على تغلب فانتهز انا غضب سيد تغلب ما استطعت . مطلعاً اياه على جميع فظائع ابن هند ، وقد جمعت رجالا ممن اساء اليهم ابن هند استعين بهم على بلوغ مأربي .

ابن سنمار : وهكذا تثأر لي ولك .

المتلمس : ولامة العرب جمعاء اثأر .

بهذا اليوم ادرك كل ثأري ... وثأر العرب طرّا اجمعينا
اثير عليك تغلب يا ابن هند ... وسيدهم ملاذ اللائذينا
واستدعي لثأري كل جنّ ... واستدعي ابالس ماكرينا
حسبت الناس كلهم عبيدا ... وما استثنيت يا ابن الخائنينا
فنحن العرب سادات البرايا ... وحاشا أن نكون محترينا

(بعد الاشعار يسمع غناء) .

ابن سنمار : اسمع غناء فان الملك آت . (يخرجان) .

المشهد الرابع

(الملك وحاشيته – تنشد عند دخول الملك)
(عمرو بن هند – خالد – مرّه)

عمرو بن هند : (لجلسائه) من ترون تأتي به تغلب لمقامنا هذا ؟
خالد : شاعرهم وسيدهم ، عمرو بن كلثوم اعز الناس .
عمرو بن هند : فبكر بن وائل ؟
خالد : لا تفرج بكر بن وائل الا عن الشيخ الاصم يعتز في ربطته تيهاً ، فيضعها على عاتقه ، اعني الحارث بن حلزة .
عمرو بن هند : من افضل السيدين ؟
خالد : الحرث افخر العرب ، وعمرو بن كلثوم ، اعز العرب نفساً واكثرهم امتناعاً وانفاهم حسباً .
عمرو بن هند : هل تعلمون احداً من العرب تأنف أمه من خدمة امي ؟
خالد : نعم ، ام عمرو بن كلثوم .
عمرو بن هند : ولِمَ ؟
خالد : لان اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها بن وائل اعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه .
عمرو : وهل تعرفون احداً من العرب يأنف من ان يخضع الي متذللاً ؟
خالد : عمرو بن كثوم .
عمرو بن هند : سوف تعرف عزة آل كلثوم بعمرو وابنه زهير .

المشهد الخامس

(يدخل عمرو بن كلثوم مع قومه) (والحرث بن حلزة مع قومه)

عمرو بن كلثوم: (داخل) الا هبوا وحيوا الملك عمرا .
الحرث : (وهو داخل) ملك اخضع البرية لا يوجد فيها الا ما يسديه الثناء ؛ ملك عادل وافضل من يمشي ، ومن دون ما لديه الثناء.
الجميع : حيا الله الملك .
عمرو بن هند : حيا الله وجوه تغلب وبكر بن وائل ؛ نزلتم على الرحب والسعة ، والدار لكرام القوم موسعة ، لصالح العشيرتين دعيتم

وليتم ، وعرفت لكم حسن الصنيع . واقتمونا حكماً ورضينا ، فاسمعونا ما يرضينا .

عمرو بن كلثوم : (للحرث) يا اخا الوضح ، جاءت بك اولاد بكر تفاضل عنهم وهم يفخرون عليك .

الحرث : وعلى من اظلّت السماء كلها يفخرون ، ثم لا ينكر ذلك .

عمرو بن كلثوم : اما والله لو لطمتك لطمة لما اخذوا لك بها .

الحرث : والله لو فعلت لما افلت بها انت ومن فضلك .

عمرو بن كلثوم : ان لنا عليكم لحقاً .

الحرث : انكم على باطل .

عمرو بن كلثوم : غدرتم يا بني بكر . ونكثتم العهد ، وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء واجليتم ....

الحرث : انتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعضيهة ، وأسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا .

عمرو بن كلثوم : تحاكمنا اليك يا ابا هند ، فانصف بيننا ، ابيت اللعن ، ولا عراك ذم .

عمرو بن هند : حمل الي سبعون رجلاً من اشراف بكر ، فجعلتهم في وثاق عندي . فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم وان لم يكن لهم حق ، أخليت سبيلهم — وان ولديكما ، يا عمرو ، ويا حارث ، رهن عندي الى ان يتم الصلح . وبما انه ليس لفريق بينة على الفريق الآخر ، فلقد اقمت الشعر بينكم حكماً وفاصلاً . قم يا عمرو ، وانشدنا في قومك مرتجلاً .

عمرو بن ابا هند فلا تعجل علينا ... وامهلنا نخبرك اليقينا

كلثوم : بان نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

متى ننقل الى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا

اليكم يا بني بكر اليكم ... الما تعرفوا منا اليقينا

الما تعلموا منا ومنكم ... كتائب يطعنّ ويرتمينا

نزلتم منزل الاضياف منا ... فعجلنا القرى ان لا تشتمونا

غدرتم يا بني بكر غدرتم ... نقضتم عهدنا يا غادرينا

اذا عدّوا المفاخر بين قوم ... سراة الناس كنا الأولينا

ونوجد نحن امنعهم ذمارا ... واوفاهم اذا عقدوا يمينا

وكنا الايمنين اذا التقينا ... وكان الايسرين بنو بنينا
فصالوا صولة في من يليهم ... وصلنا صولة في من يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا
ترانا بارزين وكل حيّ ... قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كانا والسيوف مسلسلات ... ولدنا الناس طرًا اجمعينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
ملانا البرّ حتى ضاق عنا ... وظهر البحر نملأه سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنا صبيّ ... تخرّ له الجبابر ساجدينا

عمرو بن هند : قم يا ابن حلزّة وذد عن حوض قومك

الحارث: ايها الناطق المرقش عنا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا مذللين فانا ... طالما قد وتى بنا الاعداء
فبقينا رغم الوشاة تعلينا ... حصون وعزّة قعساء
تخلطون البري منا بذي الذنب ... ولا ينفع الخلي الخلاء
فاتركوا الزور والتعدي ولا ... تتعاموا ففي التعامي الداء
واذكروا عهدكم قديمًا ... وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذار الجور والتعدي وهل ... ينقض ما في التحالف الاهواء
ايها الفاخر المبالغ مهلا ... عند عمرو وهل لذاك انتهاء
انسيتم لما دعاكم وقلتم ... لا ولا هل نحن قوم رعاء
فغزاكم مليكنا شر غزو ... كان لا رأفة ولا ابقاء
هل نسيتم ايام ينتهب الناس ... انتهابا لكل حيّ عواء
حين ملنا على تميم فاسرفنا ... وفينا بنات قوم اماء
كم قتلنا منكم رجال وغى ... ايام كان الوغى لنا واللقاء
فكفانا كهيا وكبرا فمن حدثتموه ... له علينا العلاء
وفعلنا بكم كما علم الله ... وما ان للهالكين دماء
يا بني تغلب كفانا فانا ... تعلن الارض فضلنا والسماء
وكفانا فخرا بان لنا العقل ... شهيد وانتم الادعاء
اين فضل الشعوب من فضل بكر ... عند عمرو بل اين منا استواء
من لنا عنده من الخير آيات ... ثلاث في كلهن القضاء
حين وافى قصد القتال جموع ... من معدّ لكل حيّ لواء

فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء
وفككنا غلّ امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وفعالا للمجد مني فعلنا ليس يحصي حجمها الاحصاء

عمرو بن هند : لك درّ ابن حلزة مدح عمرو قومه بالاقوال ؛ وعظم الحرث ذويه بالفعال. انقاد ابن كلثوم الى عواطف القلب ؛ والعواطف ترمي الى المغالاة والاغواء . واستنار ابن حلزة بمصباح العقل والعقل يهدي الى الحق والهدى . التغلبي اصرل واقول ؛ والبكري اعقل وافعل . عمرو في الكلام ابلغ وفي النظم أشعر . والحرث في اداء الادلة احذق . وفي ترجيح الحجة امهر . رصع التغلبي معلقته بضروب البيان من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه . ودعم البشكري خطبته باصناف البرهان والتبيان من تبرئة وتأثيم وتذليل وتعظيم . ذكر التغلبي مآثر تغلب ومآثرهم ترفعهم . ولم يذكر لبكر معايب فيضعهم . وذكر البكري مناقب بكر ومثالب تغلب فرفع بكرًا ووضع تغلب . ادنُ مني يا حرث وصافح يدي يا اشعر الشعراء (يدنو الحرث يصافح الملك) قد وهبت لك السبعين بكريا الذين كانوا رهناً عندي ووهبت لك ولدك النجيب .

واما انت يا زهير فتبقى رهناً عندي وفقاً للعهود والمواثيق . (يتطاير الغضب في عيني عمرو ولكنه يضبط نفسه) .

زهير : ركبت الشطط في حكمك ايها الملك وما انصفت .

عمرو بن كلثوم : تعديت طورك يا بني فالزم حدود الأدب .

عمرو بن هند : لو لم يكن لك معذرة في حداثة سنك وشفاعة في مكانة ابيك، وحرمة الجوار ؛ لاقتصصت منك اقتصاصاً لم يقتصه ملك عادل من سفيه جاهل . وانت ما يدريك الشعر اي شيء هو ؟

زهير : نحن بني تغلب نولد جميعنا شعراء ولا يسوغ ان يحكم بين الشاعرين الا الشاعر . ان شاعر تغلب جواد يجري في مضمار الشعر فلا ينقطع نفسه حتى يبلغ الغاية سابقاً . وشاعر بكر منقطع الانفاس يلهث عياء في الحلبة ولا

يصل الى الغاية الا جاهداً سكيناً .

ظليم : شاعر تغلب يقرع الاسماع ببهرجة الالفاظ والمباني . وشاعر بكر يملأ العقول بسديد الافكار والمعاني. شاعركم نسمع له جعجعة ولا نرى له طحناً . وشاعرنا نرى له طحناً ولا نسمع له جعجعة .

زهير : شاعرنا رجل بأس وحماسة : اذا استعرت في صدره نار الحمية اثار اشرارها في صدور سامعيه ، فتفكروا كما يفكر . وشعروا كما يشعر . فكأنهم والشاعر كثيرون في واحد . بل واحد في كثيرين . فان طرب يطرب ، وان غضب يغضب . وان فاخر يعجب . وان غالب يغلب . وشاعركم شيخ بردت همته ، وخمدت حميته ، فعمد الى الدهاء ، والدهاء سلاح العاجز . فذكر احاديث مر عليها الدهر وانطلت حيلته على الملك عمرو .

ظليم : الى الحيلة والدهاء لا يعمد من كذب وفند . ذكر ابيك لقومه مفاخر ومآثر زاعماً واهماً قائلاً لا داعماً ، ففند ابي تلك المزاعم بايراد الحوادث والشواهد . ابي لم تخمد حميته . ولم تبرد همته ، لكنه رأى نار الحمية الفارغة استعرت في صدر ابيك فصب عليها ماء التبكيم البارد ليطفئها .

زهير : ابي نفسه ابية تأبى التمليق . فلم يتصاغر امام الملك متذللاً مادحاً مملقاً ذاكراً مخدم قومه ، كما فعل الحرث . فلم تفضل الحارث ايها الملك الا لانه مدحك وذكر نجدات قومه لقومك . وذكر اني ايضاً خذلان تغلب للملك .

ظليم : قوم ابيك يخذلون الملك في جميع احواله ، وقوم ابي ينصرونه في جميع اعماله . فأي القومين افضل عند الملك في رأيك ؟

زهير : لكن اين نفس الشيخ البطيء المتثاقل من نفس الفتى المتحمس . اين وقفة المؤرخ الجامد من وقفة الشاعر المتهوس . الحرث متحير مسهب . وابي منشد مطرب .

ظليم : ليس المقام مقام انشاد وطرب واعجاب ، بل مقام اثبات وحجة وبرهان وهل الحمية في مقامنا افضل ام الروية .

زهير : من جمع في شعره الفخامة والجزالة الى السهولة والسلاسة . الا تعلم ان الشعر صورة الشاعر . الا ترى نفس ابي مصورة في

كل بيت من قصيدته فقوة شعره شدة وقوة ومتانة التراكيب هي متانة عزمه .

ظليم : من جمع في شعره تفنين الشاعر وتروي الحكيم . الم ترَ في كل بيت من قصيدة ابي خبرة الشيخ المحنك وفطانة الحكيم المتروي ؟

زهير : من جمع في موضوع واحد شتات المعاني المشتتة وضمها الى معنى واحد ؟ اي مزية يفتخر بها الاقوام لم تدخل في قصيدة ابي؟

ظليم : واي فضيحة تسب بها القبائل وتعير بها العشائر لم يلمح اليها ابي الحرث ؟

زهير : فقد حوت معظومة ابي القوة والجمال والفضل والكمال والحسب والنسب والنفوذ والاباء والكرم والخصال الشماء والشجاعة والاقدام وكل ما يعظم الاقوام بابدع الكلام .

ظليم : وخطبة ابي حوَت عقلاً راجحاً وسهماً جارحاً وفخراً مادحاً وهجاء قادحاً .

عمرو بن هند : كل فتاة بأبيها معجبة . لقد اتيت يا فتى عن حسن بيان وبلاغة منطق . لكنك تطاولت الى ما فوق قامتك ، وارتفعت الى اعلى من هامتك . على ان حكمنا باق . تبقى رهيناً عندنا حتى يتبين لنا عز ابيك وفضل ذويك . اتبعني يا زهير .

زهير : ان رضي عمرو بذلك رضيت .

عمرو بن كلثوم : اتبع الملك يا بني والله يفعل ما يشاء ويريد .

المتلمس : (وهم خارجون) هـذا رجل ثأري فعلي بحضور مظلومي ابن هند لديه (يخرج الجميع) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم — مرّة — ثم نكير — والاعمى — وابن سنمار)

عمرو بن الا لا يعلم الاقوام انا تضعضعنا وانا قد وزينا
كلثوم: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تعامل بالجفا فخر البنينا

مرّد: عجبت لك يا عمرو ، ما قلت حرفاً في وجه ابن هند ولا فُهت بكلمة في سبيل زهير ، أأرهبتك سطوته ام افحمتك صولته ؟

عمرو بن كلثوم : لست رجلاً تفحمه صولة او ترهبه دولة . لكني لا اتذلل لابن هند في ولدي. ولسوف اظهر عليه بالحق الناصر او بالسيف الباتر .

بكير : (وهو داخل) مظلومون ظلمهم الظلام اتوا يتظلمون الى رجل المروءة والحمية .

عمرو بن كلثوم : من الظالم وما الظلامة ؟

بكير : الظالم عمرو بن هند. والظلامات ما ها هنا. تكبر عمرو وتجبر . وبغى وطغى . فلم يحفظ للعرب كرامة ولا رعى للعباد حرمة. حطّ من قدرك يا ابن كلثوم يا سيد العرب وخفض من شأن بنيك وهضم حق عشيرتك اذ آثر خطبة اخرث على منظومتك حسداً وبغضاً .

عمرو بن كلثوم : اوّ هذه كل ظلامته ما ظلم من حكم كما علم .

بكير : سمعت عمرو بن هند يقول : آليت على نفسي ألية ان اجدع كل انف شامخ واخفض كل رأس عال واذلل كل عزيز واقوم كل خد مصعّر . لقد انفت نفسي من انفة العرب وسئمت من إبائهم .

عمرو بن كلثوم : ان قامته اصغر وقوته احقر ويده اقصر من ان تنال عزة العرب او تلين قناتهم .

فان قناتنـــا يا عمرو اعيت على الاعـــداء قبلك ان تلينا
تهددنا وتوعـــدنا ، رويدا متى كنـــا لأمك خادمينـــا
اذا مـــا الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقرّ الخسف فينـــا

بكير : طالما سامنا عمرو بن هند خطة الخسف والهوان . وأقمنا على الذل والضيم وما قام منا سيد عزيز يذود عن حوضنا المغارم ويبعد عن فنائنا المظالم وينصر المظلوم على الظالم . مـــا ذنب طرفة بن العبد حتى بعث بكتاب الى المكير فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً . وما جريرة المتلمس حتى حمله حقده على كفه وكاد يكون نصيبه نصيب طرفة لو لم يُلق

الصحيفة في الماء وينجو بنفسه ؛ وهو الآن هائم على وجهه لا تثقف الناس له على اثر .

ابن سنمار : وما جناية ابي سنمار حتى القى به من اعلى القصر فترضض لحمه وتحطم عظمه وتهشم جسمه اذ بنى له هذا الخورنق الشاهق فكان جزاؤه ان قذف به من حالق حتى لا يبني مثله لغيره من الخلائق .

اعمى : (يدخل اعمى) وانا الكنيف المسكين . ما ذنبي حتى فقأ عيني وحرمني نور الشمس وخلف صبية وراءي لا سند لهم ولا معين . نظرت اليه محدقاً فصرخ بطاهيه : الي بنصل محمي . وما شعرت الا واحر من الجمر بعيني فصرخت وصحت وولولت وهو يقول لا بأس عليك هذا يعلمك الاحتشام واحترام السلطان .

عبد المدان : ما جريرة ولدك يا سيد تغلب ؛ فقد قضى عليه ابن هند بالسجن لانه دافع عن ابيه بحضرة الملك ولما هممت بالاحتجاج عنه طردني من امامه فجئت اليك اناشدك الله ان تخلص ولدك . زهير في السجن يا عمرو خلص زهيراً يا عمرو .

عمرو بن كلثوم: لقد طفح الكيل وفاض الاناء ونفدت جعبة الاصطبار . احرجتنا يا ابن هند حتى اخرجتنا . امض يا مرّه الى نهر الابلة واجمع فرسان تغلب وكن هنا بعد يومين .

حذار حذار يا عمرو بن هند فحاذر بطشاً اذ تبتلينا .
فنحن معاشر الاعراب قوم نعاف الذل لا نرضى المهينا
اذا ثارت حميتنا وفارت دمانا من ينجي المعتدينا
اما العرب الاباة ونحن منهم ومن منا يرى ان يستكينا
يغيث وما دريت هداك رشد بان البغي وجه السافلينا
تدين الاسد في الغابات قسراً وكبر العرب يأبى ان يدينا
فلا تطلب محالا او حراما حرام او محال ان تدينا
فما من ظالم في الارض يبقى وفيها فرع عرب امجدينا
فصبراً يا بني الاعراب صبرا فهذا اليوم يوم الظالمينا

(ستار .)

الفصل الثاني

(في سجن الخورنق)

المشهد الاول

زهير وحده – السجان يمشي

زهير : علامَ علامَ يا ملك الليالي ... ابيت اليوم ان تسبي العيونا
هتاف الناس يصعد في الاعالي ... يحبيي قبلك محبا العالمينا
كم لك طلعة بين الدياجي ... تنير العين تحيي الناظرينا
فلولا النور تبعثه مضيئا ... لبات الليل مكتئباً حزينا
فما لك لا تضيء فدتك نفسي ... تعزي القلب اذ تنفي الشجونا
فهل وضعت لك الدنيا قيودا ... وهل شادت لك العليا سجونا
تمثل عمرنا في كل طور ... فتكبر ناشئاً كالاصغرينا
وتهرم ثم تفنى في محاقٍ ... كذاك المرء تفنيه السنونا
كأنك عاشق اذ انت بدر ... وما اشقى حياة العاشقينا
اذا غابت غزالته بغرب ... بدا في الشرق مصفراً جبينا
وبث باثر غادية عيوناً ... نجوم الليل ما ابهى العيونا
ويصعد من تلهفه زفيراً ... نعيماً او انيناً او حنينا
وعند الوصل بعد الجد يمشي ... هلال الشك يوشك ان يبينا
فيدنو ساعة في كل شهر ... ويخجل بعد ذاك ان يبينا
كذا الدنيا فراق والتقاء ... وهجر بعد وصل المغرمينا
اذا عشق الفتى دنياه يشقى ... ويضعف ضوءه حيناً فحينا
ويسعد اذ تناءى المرء عنها ... ويعظم فضله في الاعظمينا

المشهد الثاني

السجان : مالك تحيي الليل وانت سهران نامت عيون الملا وطرفك يقظان.

زهير : من فقد الحرية فقد النوم وهل ينام الاسد وهو سجين وأنّى للنسر ان ينام في قفص (يدل على هزار في قفص) اما ترى هذا الهزار كيف يتململ في سجنه يقضي الليل ولا تغمض له عين .

السجان : هذا المزار بعث به اليك ظليم بن الحرث ليكون لك سلوى على البلوى وعزاء في الشقاء تعال وخذه .

زهير : (يتقدم) ظلمت صفاء ودك يا ظليم . فما اصفى سريرتك وانقى طويتك واصدق نيتك واثمن هديتك .

السجان : (يناوله القفص) تناول العصفور ولاعبه لعله يسلي همومك ويبدد غيومك .

زهير : (يتناوله) هلم يا سجيناً نظيري وكن الليلة سميري (يذهب السجان الى طرف المرسح)

السجان : (يخاطب نفسه) ما بال نكير ابطأ عليَّ فقد وعدني بليلة شرب وطرب .

زهير : (في السجن — في الطابق الاعلى ؛ يطلع البدر) اهلاً بطلعتك يا قمر فقد انعشت قرني وخففت عني شجني .

السجان : متى اقول اهلاً بك يا نكير فقد بردت غليلي وريت عطشي .

زهير : (يفتح القفص ويرى رقعة) رقعة ، ما عسى ان يكون فيها (يفتح الرقعة ويقرأ) :

يا زهرة الدنيا يا زهير ،عارضتك محافظة على شرف ابي وشرف دين العرب. على اني ما حنثت بيميني ولا نكثت عهدي ولا خفرت في ودادك ذمتي وانا الليلة اخلصك أو اموت فداك (الامضاء) ظليم . (يطوي الرقعة ويقول) لله درك يا ظليم مثلك تكون الاصدقاء .

السجان : قبحاً لك يا نكير ما اقل صدقك ووفاءك واكثر كذبك وغدرك لقد جفّ والله ريقي والتهب حلقي .

زهير : (يخاطب المزار) .

اعصفور السماء خلقت حرًّا تحلق في الفضاء مدى السنينا .
لقد ظلموك ظلماً يا نظيري وان الظلم طبع الغادرينا

(يطلق سراحه) .

هزار الايك كن حرًّا وغرّدْ ولا تعلق يفخّ الناصبينا
فما اشهى الحياة اذا استقلت واشقاها اذا ما قيّدونا

وما ادنى الانام وهم عبيد واعلانا اذا ما حررونا
برانا الله احراراً جميعاً فيا قوم الطغاة ظلمتمونا
يرى الاسماك تسبح في بحار وفي الافلاك رهطاً سابحينا
نجوم طالعات ساطعات على الدنيا يرُحن ويغتدينا
تطوف الشمس في الافلاك دهراً تحيّينا صباحاً ما حيينا
وتطلع نجمة الاسحار صبحاً تصبحنا بوجه يستبينا
وفي الدنيا طيور نازحات فتسبح في الفضا عصباً تبينا
تعي الطير في الاشجار لحناً بتعريد يلذّ السامعينا...
تهبّ الريح حيث تشاء تمضي ولا تلقى الرياح معارضينا
فكل في السما والارض حرّ سوى الانسان عبد السائدينا

(يسمع صوت نكير من خارج) سعيد . سعيد .

السجان : هذا صوت نكير .
نكير : هل خلا لنا الجو لنشرب ؟

المشهد الثالث

السجان : خلا لنا الجو لنشرب ونسكر ونطرب .
نكير : (وهو داخل) وانا خلا لي الجو لآتي بالعجب المستغرب (يدخل المغنّي مع نكير وبيده اللازم من اكل وشرب).
السجان : اهلاً بالوافد علينا . من اين القيان وبنت الحان لقد بلغت نفسي التراقي قبل ان تبلغ الينا
نكير : احببت ان يبلغ بك الطرب مبلغه لان السرور لا يتم حتى يستجمع خُلقاً رضياً وخَلقاً وضيئاً واكلاً مرياً وشراباً هنياً وصوتاً شجياً (يضع ما معه على الطاولة) هيا بنا يا صاح؛ نملأ الاقداح. ونرشف الراح. ونسبح ببحار الافكار والافراح. (يجلسان) (ويصب في القدح ويقول) : غنّنا يا افنون. فالجنون فنون . والسكر جنون ــ غنّنا صوتاً من شعر ابن كلثوم .

الا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن النجم فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

صرفت الكأس عنّا امّ عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثــة امّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
وكأس قــد شربت ببعلبك واخرى في دمشق وقاصرينا
وانّا سوف تدركنــا المنايا مقدرة لنــا ومقدرينــا
وانا غدًا وانا اليوم رهن وبعد غد بمــا لا تعلمينا

(يغني المغني هذه الابيات بعد ان يقولها نكير والسجــان يشرب ونكير يتظاهر بالشرب وبعد البيتين الاولين الى حنينا) .

نكير : ما اصفى الصوت !
السجان : ما احلى النغم ! (وبعد البيتين الثانيين الى « تصبحينا »)
نكير : لله درك يا بلبل السرور .
السجان : ما اشجى تغريدك يا شحرور الحبور ! (وبعد الاربعة الابيات بما لا تعلمينا) .
نكير : أطربت حتى اغربت يا مغني !
السجان : (بلهجة السكرن) سلبت العقل ثم الفكر مني .
نكير : غننا يا مغني صوتاً من شعر المنخل اليشكري (متظاهرًا بلهجة السكران) .

ولقد شربت من المدامــة بالكبير وبالصغير
فــاذا سكرت فانني ربّ الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربّ المشوبــة والبعير

(ويغني المغني هذه الابيات والسجان يضيع الرشد شيئــاً فشيئاً ويسقط في سبات عميق ونكير ينظر اليه ويتوم ويدور حوله حتى اذا تحقق انه فقد الرشد بالكلية قال للمغني) :

نكير : كفى يا صاح خذ الكؤوس وانصرف .

المشهد الرابع

(نكير ثم زهير)

نكير : عليَّ الآن ان اثبت بن عمرو في عزمه. فيثير عناده غضب ابن هند. وتزيد الضغائن بين العمرين (ينادي) : زهير : زهير !

زهير : (يطل) من يدعوني ؟

نكير : خل وفي لامر اتاك .

زهير : الساعي نكير. لعل قدومه خير (ينزل اليه) . ابخير تبشرني ام بشر تنذرني ؟

نكير : الخير والشر بيد الانسان وليس بيد القدر كما تزعمون والعاقل من يجني من الرزايا مزايا ويقطف من شجرة الشر ثمار الخير. والجاهل من يستغل من حقول الخير غلال الشر .

زهير : من انت ايها المقنع ؟

نكير : خل من اصحاب ابيك .

زهير : اكشف القناع ان كنت صادقاً. فان الله لا يحب المتسترين ولو كانوا من ذوي العاهات .

نكير : (يكشف القناع) لست من ذوي العاهات. انما انا رجل احجب وجهي عن الاشرار لئلا ارى فظائع الليل مطبوعة على جباههم في النهار .

زهير : من انت ولم تحجب نفسك عن الناس ؟

نكير : سوف تعرف غداً من انا وحجبت نفسي عن الناس لانهم لا يستحقون ان يروني ولا ان يعرفوني. الناس اذلاء: وليس فيهم عزيز ، ادنياء وليس فيهم شريف. لئام وليس فيهم كريم ؛ اشقياء وليس فيهم صالح .

زهير : استثن يا رجل .

نكير : عبيد وليس فيهم حر ، غادرون ، ماكرون ، كافرون ، جاحدون ؛ وليس فيهم وفيّ . كاذبون ، مخادعون ، نمامون ثلابون وليس فيهم صادق . حاقدون ناقمون ثائرون مبغضون وليس فيهم محب. ان صنعوا قبيحاً فلغير سبب حسن .

زهير : استثن يا رجل .

نكير : لا استثني احداً . فمن لم يكن فيه طبع من طباع الناس ، فليس هو من الناس ، ليس هو بشراً . ان هو الا ملاك رجيم . وكم من ملاك في صورة انسان وكم من شيطان في صورة ملاك . وما الناس في هذا الزمان الا ذئاب في جلود الحملان شيوخ تفسد الرجال والنساء . ونساء تفسد الرجال والشبان . وشبان يفسدون حرائر الجواري وكرام الفتيان . وفتيان تفسد البنات والصبيان . السنة احد من السنان تنفذ في طي الجنان . تمزق لحمان الانسان . كل عن عيوبه اعمى اصم ابكم . وله من الغير الف وجه والف اذن والف عين . والف لسان . وهاك مبدأ الناس اليوم : ان شئت ان تنجح وتنجح . فاسرح في فضاء الخداع والنفاق وامرح — واطعن في اعراض الناس واقدح .

زهير : من انت يا هذا ابشر ام ملاك ؟

نكير : انا صوت الحرية الصارخ في البلاد العراقية — انا هتاف النفوس الابية — انا صراخ الشهامة والمروءة والعزة والحمية . انا شبح الاريحية العدنانية — انا ظل النخوة العربية — انا روح الانسانية الحقيقية — انا صوت البشرية الحالية — انا درياق لسم الحية الادمية — انا نفس جدودنا النبوية — انا دواء الامراض الوبائية — انا طاعون العبودية — انا ممثل الارواح السموية — انا لسان الصدق والعدل والحرية — انا صورة الابدية .

زهير : وما تبغي مني ؟

نكير : ان اظهرك من عيوب الناس واعرو عنك صورة البشر .

زهير : وكيف ذلك ؟

نكير : بان ابث في ضلوعك روح الحر العزيز ، والشهم الكريم الذي لغير الله لا يذلل .

كن كبير النفس يا زهير ولا تتصاغر . كن ثابت العزم ولا ترجع عن كلام قلته فتصبح اعز العرب . فان عمرو ابن هند ابى الآ ان يذلك وقد سمعت انه سيأتي الساعة يرهبك بالوعيد والتهديد لتنحط على قدميه .

زهير : لا ينحط زهير على قدم حتى يغيبه اللحد ويلاشيه العدم (يسمع صوت من خارج) زهير زهير .

نكير : هذا صوت ظليم يدعوك فها اني ادعكما واذهب الى ابيك واطلعه على طويـــة امرك وثبات عزمك (يتقنع ويخرج ويدخل ظليم بن الحارث) .

المشهد الخامس

(زهير وظليم)

ظليم : (وهو داخل) ما وطئت قدمي مكاناً الا عثرت فيه على نكير (يرى زهيراً يسرع اليه) ناشدتك الله الا حفظت علي .

زهير : لا بأس عليك . ذدت عن حوض ابيك كما ذدت عـــن حوض اني .

ظليم : ولو لم افعل لما كنت اهلاً لان اكون لك اخاً .

زهير : ما احلى شمائلك يا ظليم، وما اكمل خلقك واجمل خلقك .

ظليم : لامر مهم جئتك .

زهير : لا شيء اهم عنـــدي من شعرك . بالله عليك ان تنشدني منظومتك في محاسن الطبيعة ثم تخاطبني في امرك الهام .

ظليم : واذا انشدتك واطأتني على ما اريد .

زهير : انشدني اواطئك على ما تريد . ولو كان غيرك لاستثنيت عليه ما ينافي العز والشرف واما انت فكل ما بك يحدث عن المعالي ويرمي الى مكارم الاخلاق فلا استثني .

ظليم : اذن انشدك :

ثلاث بدائع في الكون تسمو على اسمى بهاء العـــالمينا
نجوم الليل تسطع في الدياجي تمثـــل صورة المتنورينـــا
طيور الجو تصعد في الاعالي تصور صورة المتحررينـــا
بهاء الكون صورة كل حسن ورسم الطهر عين الاصغرينا
واحسن من محاسن كل حسن عيون الام تنظر في البنينا ...
ذكاء الفهم نجم في سماء ومـــا اسنى ذكاء الناهضينا
نقاء العرض في الدنيا بهي ومـــا ابهى نقاء الاطهرينا

وحر القول حر العقل حسن يزين الخلق يندر ان يكونا
ترى في الحب جناً لا يضاهى وابهى الحب حب الوالدينا
يرينا الحب ما معنى التفاني وحب الام اجمل ما يرينا
كنور الشمس ينقسم فيبقى بكامله بنور يستبينا

زهير : هكذا يكون الشعر والا فلا. اذا كان هذا نظمك صغيرا فكيف يكون نظمك كبيرا .

ظليم : كدت تنسيني باشعاري ما لاجله جئت اليك .

زهير : ولمَ جئت الي ؟

ظليم : جئت اخرجك من السجن .

زهير : تخرجني من السجن وكيف ذلك ؟

ظليم : ان البث مكانك .

زهير : تبث مكاني وما جريرتك ؟

ظليم : وانت بما جريرتك ؟

زهير : انا اغظت عمرًا واغضبته .

ظليم : وانا اغظت زهيرًا واحنقته .

زهير : ان كنت اسأت الى زهير فزهير يصفح واما عمرو فلم يعف عن مسيء قط .

ظليم : وهذا ما حملني ان آتي اليك. فقد سمعت عمرًا يقول: ان لم يرجع الليلة عن كلامه ويخضع مرغماً لحكمي . قتلته شر قتلة وان غضبت علي تغلب .

زهير : اما الخضوع ، فان خضعت السماء للارض يخضع ابن عمرو لابن هند. واما القتل فموت البري عز له وفخر. ولا يأسف على الحياة الا عبد الشهوات .

ظليم : بأبي انت وامي: تخضع ولا تموت. دعني مكانك وانصرف!

زهير : ان اعرضك لغضب عمرو وانتقامه .

ظليم : لا بأس عليّ من غضب عمرو. فهو يهاب ابي الحارث وقومه فلا يلحق بي اذى .

زهير : وابي عمرو ألا يرهب غيظه ابن هند ولا يهاب اغضاب تغلب .

ظليم : (ينظر الى السجان) لا حاجة الى المهاجنة فالسجان غريق

في سبات عميق وهو سكران لا يصحو حتى السحر. فهلم بنا ننصرف كلانا .

زهير : وأدع حياة السجان في خطر بسببي . المروءة والحمية العربية لا ترضى بهذا العار وعزة تغلب تأبى هذا الشنار .

ظليم : انا اخلّص السجان. اخبر عمرا اني وجدته سكران وان السجن فارغ .

زهير : ذلك لا يخلصه بل يزيد عليه حنق الملك فيضاعف عقابه.

ظليم : انا اضمن لك حياة السجان. انجُ بنفسك وما عليك من الغير .

زهير : ارخص متاع عندي حياتي ازاء حياة الاخرين .

ظليم : قلت لك لا بأس على السجان . افلا تثق بكلامي وشرفي وحلفي : حياتك يا زهير على شرف الهلاك .

زهير : وماذا تنفعني الحياة حين ترميني الناس بالسنة حداد مشيرين الي بالاصابع قائلين : هذا ابن عمرو فرّ من السجن مخافة ان يموت .

ظليم : بل تقول العرب : بريء وجد حيلة للنجاة من ظلم الطغاة فاعتصم بها ونجا ينشه لكن ما لنا وهذه. هلم بنا الى ابيك في سرادقه فهو منصوب قريباً من الخورنق. فان رأى قبيحاً ان تخرج من سجنك عدت اليه .

زهير : (يفكر قليلاً) صدقت . هلم بنا نشاور اني . (يخرجان وهما في الكواليس يسمع صوت من خارج كالرعد) .

عمرو بن كلثوم: (في الكواليس) عد الى سجنك يا اجبن الجبناء . (يرجع زهير وظليم ركضاً الى المرسح) .

(يدخل عمرو بن كلثوم ومرّه وعبد المدان) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم – مرة – عبد المدان – زهير – ظليم)

عمرو بن كلثوم : (رافعاً سلاحه على ولده) ورب ربيعة، لاجعلنك جزرًا لمهندي ولا تركت آل كلثوم مثلة بين العرب.

ظليم : (بين زهير وعمرو) براء زهير من كل شائبة يا عمرو – انا المذنب فاقتلني .

زهير : بل انا الاثيم فحز حلقي .
ظليم : انا اغريته بالخروج .
زهير : بل انا خرجت راضياً لا مكرهاً .
عمرو بن كلثوم : رضيت بالدنية ام أكرهت عليها فلا بد لي من تطهير دم كلثوم بدمك .
عبد المدان : تأنَّ في الحكم ولا تعجل لئلا يسبق السيف العذل .

عمرو بن احب الي ان تفنى وتبلى ... ولا تحيا حياة المجرمينا
كلثوم : فذلي ان ارى ببني نقصاً ... فيخفض من فخار الاولينا
واهوال المنون تبيد نسلي ... وأعقاب الجدود السالفينا
وتمحو ذكر كلثوم وتفنى ... من الدنيا مفاخر ما ولينا
لاطيب من كؤوس الراح عندي ... واشهى من حيا الشاربينا
باهوال المنون تطيب نفسي ... اذا لاشت دنايا السافلينا
اذا منعت منايانا الدنايا ... فما احرى الدنايا ان تجينا
واني ان اراك اليوم ميتاً ... ومطعوناً برمح الطاعنينا
لافضل من حياتك في هوان ... لئيم الخلق محتوراً مشينا
اذا دنست حياة النفس يوماً ... فخير للفتى ان لا يكونا

زهير : احب الي ان افنى وابلى ... وتمسي كل اضلاعي طحينا
وادفن في بطون الارض حياً ... ويبقى عز كلثوم مكينا
وتهصرني سباع البر هصراً ... ولا اسعى كسعي الخائنينا
وتلهم السن النيران جسمي ... واسلم من لسان الخائنينا
وتفتاش السهام وجيب قلبي ... ولا ارمى بسهم الشامتينا
وتنقض الصواعق من سماها ... وتسحقني مخافة ان اخونا
انا ابن الافضلين فدتك نفسي ... ولا حرج على ابن الافضلينا

ظليم : ظلمت ولدك بالتهمة ورميته بالتبرية يا عمرو .
عمرو بن كلثوم : وكيف ذلك .
ظليم : لم يخرج من سجنه الا بعد الالحاح . ولم يغادره الا قصد مشاورتك. حتى اذا رأيت في ذلك شيئاً رجع الى مقره راضياً مسروراً .

عمرو بن كلثوم : هذا دمي طاهرًا لا عيب فيه . الى صدري يا اعز ابيك وفخر ذويك (عمرو وزهير يتعانقان) .

زهير : رضي ابي عني ، فما اسعدني !

عمرو : ما كان اشقاني لو بدرت مني ضربة ولم اتأن .

زهير : انت وهبت لي الحياة واذا شئت اخذتها فهي لك ومني عز لي وفخر وما سروري اذا لم يكن في حياتي مجد ابي وشرفه وعظمته .

عمرو : انت عزائي وهنائي .

عبد المدان : سمعا يا زهير ان عمرو بن هند يحاول ان يرهبك متوعدًا متهددًا لترجع عن كلامك متذللاً .

زهير : عزة بني كلثوم تأبى التذلل ، وانفتهم تأنف من الخضوع .

عبد المدان : وان تهددك بالقتل ؟

زهير : ان اموت عزيزًا ولا اعيش ذليلاً .

عمرو : أتثبت على عزمك هذا امام الموت.

زهير : تتزعزع الدنيا وتتضعضع الجبال ، وعزمي لا يتزعزع ، وحزمي لا يتضعضع .

ظليم : (يتطلع) ارى ابي الحارث وعمرًا وخالدًا آتين الى هنا .

عبد المدان : لقد هلكنا جميعاً .

عمرو : (يستل سيفه) ومن يهلكنا والسيف بيدي ؟

عبد المدان : ليس الوقت وقت تهور واقدام ، بل وقت حكمة وتروٍ . هل من مخبأ في السجن يا زهير .

عمرو : وعمرو بن كلثوم يختبئ من وجه عمرو بن هند خوف الموت؟ ذلك جبن وعار .

عبد المدان : ليس في ذلك جبن بل حيلة ودهاء . نختبئ لنقف على افكار عمرو ونكون على بصيرة من امره .

عمرو : صدقت (يدخلون الى السجن) .

المشهد السابع

(يدخل الحارث وعمرو بن هند وخالد – زهير – ظليم – جنود)

عمرو بن هند : (وهو داخل) ما بال ابواب السجن مفتوحة، اين السجان ؟

خالد : هوذا السجان نائم نوم السكران، يغط في نومه غطيط الثور. (يذهب اليه) عامر، عامر، مسكين عامر. (يوقظه).

السجان : (يصحو نصف صحو):

اذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربّ الشويهة والبعير

خالد : اضاعت رشده حميا الخمر.

عمرو بن هند : اخرجوا العبد خارجاً ثم اقطعوا رأسه وعلقوه على جدار السجن ليكون عبرة للسكيرين (يخرج مع السجان احد الجنود).

الحارث : (الى ظليم) ما جاء بك الى هذا الموضع يا ظليم ؟

ظليم : عهد الوداد، ويمين الاخلاص، ومثل ابن الحارث من يفي بعهده ويبر بيمينه. ربطتني اواصر الصداقة بزهير من حول ورأيت سمجاً ان يجفو اخاه في الضراء ويصله في السراء اتنكر علي ذلك يا ابي ؟

الحارث : سلمت لا تنكر يا بني – حسناً صنعت – (الى زهير) يا ابن تغلب فرطت منك هفوة امام الملك والملك حكيم عادل فاستغفر عن هفوتك يصفح عنك.

زهير : ما زلّ من ذاد عن حوض ابيه.

خالد : تطاولت في حضرته، وابوك عمرو نفسه انكر عليك ذلك. فاجثُ على قدميه واطلب الغفران.

زهير : لم ينصف بحكمه وقلت: ايها الملك ما انصفت. وانا مصر على قولي ولو قطعت ارباً ارباً. ولا جثوت ولا تذللت ولا صفحاً طلبت.

عمرو بن هند : من اعزّ العرب يا فتى ؟

زهير : عمرو بن كلثوم.

عمرو بن هند : من اشعر العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : من اشرف العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم اشرف العرب ؛ واعز الناس ، واشعر الانس والجن ؛ واكمل من اظلت السماء وحملت الارض .

عمرو بن هند : جئنا اليك تحملنا عاطفة الحلم فاذا انت تثير في ضلوعنا نار الغضب فان لم تكفكف تندم .

الحارث : فتى فيه نزق الشباب وحلم الملك اعظم .

عمرو بن هند : لا سبيل الى المدافعة عنه . دعونا وحدنا واخرجوا عنا .

المشهد الثامن

(عمرو بن هند — زهير)

عمرو بن هند : انت ، يا ابن عمرو ، بحضرة جبار العرب وملكها . فلقد اخطلتني بسوء تصرفك وقلة ادبك ؛ وما كان ابن هند ليصبر على ذلك لولا ان لابيك عندنا حرمة وعلينا عهداً وميثاقاً . امرت بسجنك لتأديبك فما زادك السجن الا قحة . فان اصررت على عنادك لقيت هواناً وحتفاً .

زهير : اما الهوان والذل فنفسي تأباهما ؛ وليس بيد الناس اذلال العزيز . ومن لا يذلل نفسه لا يذلل . واما حتفي فلك فيه ما شئت ان استطعت واردت احتاظ سيد تغلب واغضاب قومه .

عمرو بن هند : املك العرب وجبارها ، سيد معد وغطريفها ؛ يحجم عن الامر رهبة . والله لو تجمعت امة الثعلبين وتألبت علي جحافل المغربين والمشرقين لما صدتني عن ورود موردي واتمام قصدي . انا قاهر الانس والجن . انا مرغم انف الدهر . انا رب الزمان والعصر . وانا معدن الشرف والفخر . من رضيت عنه عز وعاش . ومن سخطت عليه ذل ومات . بيدي الحياة والموت . ولي العز والجبروت .

زهير : بيد الله حياتنا . وموتنا بيد الله . لله خالقنا العز والجلال ولله ربنا الجبروت والسلطان .

عمرو : كل العرب عبيدي ومن يجسر ان يقف في وجهي ويتناوم كلمتي .

زهير : العرب عبيدك وانت عبد الله.يطيعك العرب ما اطعت الله وتبعت سنن العدل والشرف. والا قلبوا لك ظهر المجن فالعربي لا يقيم على الذل طويلاً .

عمرو بن هند : فتى سفيه يخاطبني بهذه القحة واتحمل.لقد فرغ صبري . ان لم تكفر عن جريرتك نالك هوان شنيع ومويت فظيع . عفر جبينك بالتراب اجلالا لمهابتي. وخر ساجداً لعظمتي.

زهير : ربينا على النزاهة يا ابن هند ونحن مدى الدهور كما ربينا
الـه الخلق نعبده جميعـاً ولسنـا للخلائق عابدينـا

عمرو بن هند : تطأطئ رأسك طوعاً ام قهراً .

زهير : لا يسجد وجهي لمخلوق حتى يزاح رأسي عن بدني .

عمرو بن هند : عفر جبينك يا متغرطس واسجد والا .....

زهير : (يرفع رأسه بكبر) بل ارفع رأسي الى السماء ولرب السماء اسجد .

عمرو بن هند : عفروا جبينه ايها الجنود (تتقدم الجنود) .

زهير : اليكم عني لا تذللوني رغماً .

عمرو بن هند : ان لم يعفر طوعاً عفروه قسراً وذلا (تقترب الجنود) .

زهير : ابي! ابي! ذد عن شرف ولدك .

(يظهر عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه يرجع الجنود الى الوراء)

عمرو بن كلثوم : وراءكم يا بني الانذال (شعرين) ....؟

عمرو بن هند : تنصب لي حبائل في سجني اخرجوا بنا . فلنخرج .

زهير : لله در ابي!

(تم الفصل الثاني)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الحارث بن حلزة وظليم ونكير)

ظليم : لله در عمرو . ما اعز نفسه واشد اباءه وآنف انفته لم يأذن لابنه بالفرار من السجن وقد سنحت له الفرصة .

الحارث : لو كان بامكانك الاختيار وخيروك اما تود انه ابوك ؟

ظليم : افتراء افتريت علي . لو خيرت لما وددت ان يكون احد من الناس ابي ان لم يكن الحارث .

الحارث : وما فضل الحارث على سائر الناس ؟

ظليم : فضله انه أبي .

الحارث : وما فضلك وقد فضلك ابن عمرو اذ ابى ان يكون لك عليه جميل .

ظليم : اليوم يظهر فضلي ويشهر بين العرب ذكري .

الحارث : وما انت صانع ؟

ظليم : اني اخلص زهيراً من نقمة عمرو .

الحارث : ذلك اصعب عليك من رد امس الدابر وترجيع السهم الطائر وتوقيف القدر النافذ .

ظليم : اذا اجتمع في الفتى قوة الفهم وشدة العزم والحزم امسى لديه المستحيل ممكناً والمستصعب مستسهلاً .

الحارث : يسرني ان ارى فيك حمية الشباب وغيرة الاصحاب لكني لا ارى احداً بامكانه تخليص زهير سوى ابيه عمرو ولقد كان اصدر ابن هند امراً بقتله لو لم احذره وخيم العاقبة واعده بتكفير عمرو عن جريرة ابنه .

ظليم : وهل من جريرة على ولد ذاد عن حوض ابيه ودافع عن شرف قبيلته ؟ اذاً كنت انا مجرماً في عين الملك .

الحارث : كل ما لا يسر الملك جريرة في اعينهم . ثم ان زهيراً تطاول في الكلام .

ظليم : ان كان تطاول زهير وتحاول عن غير روية فلقد لامه ابوه وعفا عنه الملك وهل ترجع الملوك عن عفوها .

الحارث : ما الملوك والعظماء يا بني ، الا آلات بيد ذوي الاغراض تحركها وتثيرها كما تثير العواصف رمال الصحراء .

ظليم : اذن ما الحيلة لانقاذ زهير . حلفت بحياة اني الحارث لاخلصه او اموت فداءه .

الحارث : لا حيلة الا بالتكفير .

ظليم : الا يرضي الملك بحياتي ويعفو عنه .

الحارث : لا يرضى الا بالكفارة .

ظليم : اذن يموت زهير فالسلام على الحياة .

الحارث : وما يدفعك الى هذا التفاني .

ظليم : خلوص حبي ،وصدق ودادي،افلا يكون بين جميع الناس رجل واحد وفيّ ، وصديق واحد صادق .

الحارث : سكن بالك يا بني ،اننا نعمل ما استطعنا على خلاص زهير . (يخاطب نكير) تذهب يا نكير الى عمرو وتقول له : يا سيد تغلب ان للحرث معك كلاماً ولا يستطيع الوصول اليك فان رايت ان تعجل بالحضور فان المقام حرج وزهير على قاب قوسين من الموت .

نكير : اني ذاهب اليه وابلغه كلام الحارث .

الحارث : وانا ابقى انتظر قدومه محدثاً نديم الملك خالداً ريثما يحضر فقد ضربت له وقت موعد .

نكير : لا اخرج من عندك حتى يدخل عليك النديم خالد فها انه داخل (يخرج نكير ويدخل خالد) .

المشهد الثاني

(الحارث وخالد وظليم)

خالد : سلام على سيد بكر .

الحارث : وعلى نديم الملك افضل السلام .

خالد : ضربت لي وقت موعد فلم ابطئ عليك فما الامر .

الحارث : عندك الامر وعند عمرو .

خالد : لا ينفك الملك مصراً على عزمه ولقد زاد حنقه ما رآه من زهير واستخفافه . عبد يستخف بمولاه ويصبر ، فما اعظم حلم الملك .

الحارث : يغضب الملك على ابن سيد العرب لكلمة فلتت منه فيهدده بالقتل ويرهبه بالحكم ؟

خالد : عجباً لك يا حارث ؛ تدافع عن ابن خصمك وقد اقر الملك لك بالاسبقية ولقومك بالافضلية .

الحارث : حكم الملك لي بالاسبقية ولآلي بالافضلية وانا متذر له حكمه حق قدره وعارف له جزيل فضله. لكن اما كفاكم انقساماً يا بني عدنان: اكل يوم ضغينة ، وكل يوم عدوان ، اما ترى ان قتل ابن عمرو يثير الخواطر ويهيج العواصف .

خالد : اترى ان يصفح الملك عن كل اساءة فاين تذهب بهيبته ؟ والعربي ان ابنت له عن سن ضحوك استخف بك وازدراك ، وان كشرت عن انيابك . استعظمك وهابك .

الحارث : كانك لا تدري ما هي عزة العرب. اتجهل ما نال المنذر جد عمرو لشدة وطأته على رعيته . فما بغى سيد على قومه ، ولا طغى ملك على عباد الله ؛ الا كان البغي وبالا عليه ، والطغيان اذلالاً له . بغى نمرود فدخلت في انفه بعوضة وادمته واذاقته مر النكال حتى مات . طغى جالوت الطاغوت فسقط صريعاً بحجر من مقلاع داود . عز كليب فارداه جساس قتيلاً فوحقك يعز علي ان يحل بابن هند ما حل باولئك الطغاة اللئام وتحل عقدة الوفاق وينعق غراب الشقاق بين القبائل فلا يصبر عمرو بن كلثوم على قتل ولده وهو بري وليضرمن ناراً يدوم سعيرها مدى الدوران .

خالد : وما العمل وما التدبير ؟

الحارث : انت تقنع عمرو بن هند بالاقلاع عن قصده مبيناً له سوء المغبة وانا احاول اقناع عمرو بن كلثوم بتلافي الشر .

خالد : لا سبيل الى اقناع ابن هند الا بتذلل عمرو بن كلثوم .

المشهد الثالث

(عمرو بن كلثوم – الحارث – خالد – ظليم – نكير – مرة)

(يدخل عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه ويقول عند دخوله) :

مرو بن كلثوم : لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر ؛ ولا يخضع الا لله خالقه (وعند لفظة خالقه ينكس سيفه ويخفي رأسه اجلالاً واذا صفقوا له عند دخوله يقف عند قوله لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر وبعد ذلك يكمل باجلال وعظمة قائلاً) : ولا يخضع الاّ لله خالقه .

لغير الله لا نخفي رؤوساً ولا نخشى ملام اللائمينا
برانا الله احراراً كراما ولسنا لغيره متذللينا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا
وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي الملجئينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

خالد : خفض بعض حيتك يا عمرو ولا تحاذر . فانك بين الاصحاب .

الحارث : بعثت اليك في امر زهير . لست الآن في موقف الخصم قد حسمت مسألة ولدك كل خصام فما انا اليوم الا صديقك القديم وجدت ولدك في ضيق فتقدمت اليك لتخلصه .

عمرو بن كلثوم : لا بأس على زهير وفي الاحياء ابوه عمرو .

بهيبتنا نرد الشر عنا وسطوتنا نصد الموعدينا
اذا ذكرت مآثرنا لقوم حملناهم على ان يتقونا

الحارث : لا يتقي ابن هند رجلاً حين يغضب ، كاتئاً من كان . وقد حنق على زهير حنقاً اشد من حنق الكنة على حماتها حين تثأر . وحنق رجل على امرأته حين يغار . ومن استشاطة البخيل على الخليقة حين يفقد الدينار . ومن اغتياظ المقامر على ربه حين يخسر ماله في القمار . ومن سخط العاشق على مزاحمه اذا فاز بالانتصار .

عمرو بن كلثوم : وما الداعي لهيجان بركانه وانفجار ثورته ؟
خالد : لانه لم يذعن لحكم الملك في تفضيل الحرث على عمرو وتقديم بكر على تغلب .
عمرو بن كلثوم : اذا بلغ البغي بابن هند الى حد الهذيان او نزع به طبعه الى نزع نزعات الطبيعة من قلب الانسان .
خالد : ان في الملوك عزة فوق السوقة وسلطاناً يرفعهم عن الناس ومقاماً يسمو بهم الى ما فوق البشر .
عمرو بن كلثوم : اليس الملوك من جبلة آدم ليس الشرف في سمو المقام انما الشرف في علو الهمة وسمو الفعال وحسن الخصال وكم من صعلوك اعز نفساً من بعض الملوك وكم من ملك لا يحترم سنة الله وحقوق البشرية ليس له الحق على احترام الرعية وطاعة العباد .
الحارث : انما التقادير تقضي احياناً على الحكم ان يراعي احوال المكان والزمان .
عمرو بن كلثوم : وما علي ان اراعي .
الحارث : خاطر ابن هند .
عمرو بن كلثوم : كيف اراعي خاطره ولم يرعَ له حرمة ولا حفظ لي عهداً .
الحارث : من ضانع وجامل سلم ولم يندم .
خالد : اترى حيفاً في ان تتصاغر متذللاً للملك متضرعاً فتنجي ولدك .
عمرو بن كلثوم : ان يسلم عرضي ويعطب ولدي اسلم لي ولا خير في خير نبذل له ماء وجهنا وما نجى شرف الاباء وحياة البنين غير الصارم البتار .
الحارث : هل من حاجة ان يتذلل من استرعى الملك واستعطف جانبه واستغفره عن ولده .
عمرو بن كلثوم : لا استرعي ولا استعطف ولا استغفر عن الحسنات .
خالد : لا تصعر خدك يا ابن عتاب لئلا يقوم .
عمرو بن كلثوم : تتهدد يا ابن الـ (يضع يده على قبضة سيفه) لولا حرمة الحرث لازحت رأسك عن بدنك .
خالد : شعرة مني برأس زهير .
عمرو بن كلثوم : شعرة من زهير برأس مولاك .

خالد : يقول لك الملك تقصر من غلوائك. وتخفض بعض خيلائك. وتنزع عنك بهتك الفارغ وكبرك الباطل. وتعفر جبينك بالتراب اجلالا لعظمته . والا صغرك وذلك انت وعقبك وكل عشيرتك .

عمرو بن كلثوم : امض وقل لمن ارسلك. قصرت يد بن هند عن اذلال ابن ليلى. ورب ربيعة ، البحر اذا هاج وماج. اسهل على ابن هند اسكان امواجه من اذلالنا. وايسر له ان يهمد البركان اذا فار فائره وثار ثائره من خفض شأننا وكسر شوكتنا . هل يستطيع ان يمنع الفلك الدوار من دورانه ويوقف الشمس عن مسيرها ويرجع المياه المنحدرة على الجبال على اعقابها. هل يستطيع ان يجعل النهار موضع الليل والليل موضع النهار ؟ اذن يستطيع ان يسومني خطة الخسف واخوان ويجلبني بجلباب المذلة والعار .

خالد : اني لمبلغه كلامك في الحال فائبت له ان كنت شجاعاً .

الحارث : (على حده) اني خارج في اثره امنع عقاربه ان تدب على عمرو (عند خروجه) اتبعني يا ظليم .

ظليم : (على حده) نفسي تحدثني بحدوث امر جلل .

المشهد الرابع

(عمرو بن كلثوم – عبد المدان – التغلبي (نكير)

عمرو بن كلثوم : تخرج يا عبد المدان مع نكير الى تغلب وتهيّ قومنا للحرب.

عبد المدان : وانت ماذا تصنع مكانك .

عمرو بن كلثوم : البث موضعي لئلا يقال فر عمرو بن ليلى من وجه عمرو بن هند .

عبد المدان : ليس هذا الرأي بل تذهب انت بنفسك تعد رجالك للقتال.

نكير : الرأي يا عمر والصواب يجانبه ابن هند غدار ان بقيت هنا غدر بك واوردك موارد الهلاك باغتيالك .

عمرو بن كلثوم : لا تشمت بالملك بحضرتي وان كان خصمي .

نكير : ابن هند غدار يا ابن ليلى .

عمرو بن كلثوم : صه يا رجل !

نكير : خائن ماكر مخادع باغ طاغ .
عمرو بن كلثوم : كفاك يا رجل فكف عن السباب .
نكير : لا اكف عن شتمه حتى اراه مضرجاً بدمه فقد غدر بي ولولا القدر لبعثني الى حيث القت رحلها ام قشعم .
عمرو بن كلثوم : من انت يا رجل .
نكير : (يكشف القناع) انظر فترى من انا .
عمرو بن كلثوم : جرير بن عبد المسيح المتلمس ؟ ...
نكير : جرير بن عبد المسيح المتلمس . الوقت حرج والزمان ثمين يا عمرو ولا يبلغ كلامك الى مسامع ابن هند حتى يعقد مجلساً يقضي فيه بالموت على زهير . فاني خبير بامره . عالم بطويته . ولقد سمعته يقول لخالد : ان لم يكفر الآب عن اثم ابنه اعظم تكفير ذللت الابن والاب ، وقتلت الواحد بعد الآخر . تعجل يا عمرو الى رجالك وتغدَّ ابن هند قبل ان يتعشاك . حبل حياة زهير موصول بدقيقة .
عبد المدان : هيا بنا يا عمرو فان الرجل صادق .
نكير : بالعجل الندامة وبالتأني السلامة .
عمرو بن كلثوم : لبيك لبيك يا زهير ، حياتي فداك . ورجالي لك . (يسحب سيفه) ومهندي في رقاب عداك . بل حياتي ورجالي ومالي وولدي لكم ايها العرب :
انزعي عنك برقع الحداد يا امة الاعراب . واخلعي عن عنقك نير الاستبداد يا امة الاحرار . لقد حان تحرير العباد . وباد زمان الاستبداد . تصلح الحرية للعرب . والعرب للحرية يصلحون . حرام على الطغاة يستعبدون ملوك الصحراء وابناء السماء ونسور الفلاء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء — ما ابهى البدوي حراً على ظهر جواده . بشماله العقال وبيمينه البتار . يطير على سابح في بحار من رمال احر من جمر النار . يباري في جريه الرياح ويسبق النسور والعقبان يطارد سباع البر ويداعب غزلان الغابات . حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء . ما اسمى البدوي حراً في الليل . يمتد جسمه فوق الثرى وترتفع همته فوق الثريا ، يناجي البدر . ويسامر الكواكب الطوالع . فراشه على رمال

الصحراء وغطاؤه قبة السماء . يتلاعب بشعره النسيم ويبلل جسمه ندى الاسحار . ويطرب مسمعه حفيف الشجر وفحيح الحيات يهزه صليل السلاح وصهيل الخيل زئير الأسد وعواء الذئاب كما يعجبه شوارد الافكار في سكون الليل وتراكم الاحلام في سبات النوم . حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلّوا الفضاء لفارس الزرقاء . (يخرج) .

المشهد الخامس

(نكير وحده)

نكير : هذا هو العربي الحر الذي تأنف نفسه من الضيم وتستنكف من الذل . هذا معيد الحرية الى البلاد العربية .

المشهد السادس

(ظليم ونكير)

ظليم : (وهو داخل مسرعاً) قضي الامر لقد هلك زهير !

نكير : ماذا تقول يا فتى ؟

ظليم : ابن عمرو ابن عمرو .

نكير : لقد اذهلتني يا ظليم فهل مس دماغك الجن .

ظليم : عجل يا نكير وراء عمرو واخبره ان الملك يعقد في هذه الساعة مجلساً .

يحكم فيه على زهير ليشجبه . ها ان الملك آت مع حاشيته فعجل (يخرج نكير يدخل الملك مع حاشيته) .

المشهد السابع

(مشهد الملاكة وحاشيته)

عمرو بن هند : بلغتكم سفاهة ابن عمرو . جاملنا الجاهل فما زاد الا جهلاً وحمقاً وجرأة . فما رأيكم فيه ؟

خالد : نظر الملك في العواقب ابعد ورأيه في الامور اصدق . الآ اني ارى ان يعاقب السفيه معاقبة تنبي الجهال وتروع السفهاء .

الحارث : بئس رأيا رأيك فما عقلت وما عدلت. تغري الملك بابن سيد العرب . الحلم في كل المواطن ارفع وانفع ايها الملك؛ والعفو عند المقدرة اكرم واعظم .

خالد : الحلم يجرئ العبيد على مواليهم .

الحارث : الظلم ينفر الشعب من الحكم .

خالد : ان عنا الملك ذهبت سطوته .

الحارث : اذا جار الحاكم تقلقلت حكومته .

عمرو بن هند : تحمي ابن خصمك يا حارث .

الحارث : بل احمي دولة الملك وامة العرب .

عمرو بن هند : ما على دولتي او امة العرب في قتل فتى احمق ؟ اليست لي الرقاب اختلبها بمخلب انتقامي

الحارث : لله ولاصحابها وليست للملوك الرقاب. اتق الله في عباده ابيت اللعن ولا تثر ثائر العامة. فالشعب رهيب في غضبه. ما الرياح العاصفات اذا ثارت تهدم وتخرب ما تلاقي على مهبها لا تبقي ولا تذر تنقض البيوت وتقلع الشجر. وما البراكين اذا فار فائرها والتهت بحممها على المدن والقرى تدمرها وتلاشيها . وما البحار اذا هاجت وماجت بامواجها تغرّق السفن في لجها اشد ضررًا من الشعب عند تغيظه وحنقه — الشعب رهيب في حنقه .

عمرو بن هند : مثلي لا يتخوف الشعب ولا يرهب العامة . العامة جماعات عميان معقودين الى حبل يقودهم بصير يسيرون خلفه حيثما سار.

الحارث : ولعلّ ابن كلثوم ذلك البصير .

عمرو بن هند : الشعب غابة تردد صوت مغن يتغنّى في الليل وكهف يراجع هتاف هاتف وصراخ صارخ .

الحارث : وربما كان ابن ليلى الصارخ بهتاف الحرية .

عمرو بن هند : الشعب مطية يركبها فارس يشدّ بزمامها ويرخيه حسب هواه ويركضها على رضاه ...

الحارث : واذا جمحت المطية جنحت براكبها الى المهواة واردته صريعاً قتيلاً ....

عمرو بن هند : الشعب قطيع غنم لا عقل لها، يسوقها رجل واحد الى المسلخ فتساق . يصفر لها الراعي فتسمع. ويمشي امامها فتمشي وراءه لا تدري الى اين المسير .

الحارث : وما ادراك ان لا يكون الراعي كلثوم .

عمرو بن هند : العامة صبيان لا يعقلون تزمر لهم فيرقصون وترقص لهم فيصفقون

الحارث : افلا يكون الراقص عمراً ؟

عمرو بن هند : الشعب ظل الغالب وخيال المنتصر يحملون الحق بحساب التوفيق كيفما مال السعد مالوا يخذلون اليوم من نصروا امس وينصرون غداً من خذلوا اليوم الشعب مع القوي الواقف على الضعيف الساقط .

الحارث : وربما قوي عمرو. وضعف. عمرو ووقف عمرو. وقام عمرو.

عمرو بن هند : كفى يا حارث تخوفني وتتشائم فلا بد من ارهاب القوم باشد العقاب. لا يبلغ عمرو بن كلثوم مهما تطال الى اعلى من قدمي. فوالله لخنصري اغلظ من متنه وشمالي اجود من يمينه ولا خصي اشرف من رأسه وخطأي اصدق من صوابه وصمتي ابلغ من كلامه وامي افضل من امه وخدمي خير من سراة قومه فوالله لو هززت بيدي عصاي مات من عصاني ولقد عرف الدهر بطشي فما عاداني . فما انا الا مقطب جبيني فترجف الجن في القطبين ولسوف تعلم الاقوام من افضل العمرين علي بزهير (يذهب جندي) .

الحارث : وما انت صانع .

عمرو بن هند : والله لاجعلنه عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين . الست انا السيد والعرب العبيد اصنع بهم ما اشاء واريد . ان حسن عندي امت. وان راق بعيني احييت. والله لاطأن بسنابك خيلي كل من لا يرى رأيي ويقول بقولي .

الحارث : على رسلك ايها الملك ، ان للعز سكرات ، كما ان للموت نكرات. وتلك السكرات يعقبها حسرات. اني عاهدت الله ونفسي ان لا اداهن في مشوره ولا اخادع في نصيحة . لا تبغ ايها الملك ، فان البغي وخيم المرتع ولا تظلم فان الظلم سيء المنقلب

لا تثر الضغائن بقتل البري. ولا تنفر القلوب باذلال الرعية فان في صدور العرب حمية تغلي مراجلها تأنف من كل مستقبح وان تحت الرمضاء لجمراً اخف تنفخ يضرمها واق نسيم يسعرها وان في طيات الصدور عقارب وحيات. فبنو غسان واقفون لك بالمرصاد. يترقبون الفرص للوثوب ويترقبون الساعة لادراك الثأر. وبنو تغلب لا يعبرون على قتل ابن سيدهم وهتك حرمتهم . لا تفرق كلمة العرب ايها الملك ولا تضعضع امرهم ارضاء لهواك. فان الهوى مطية من ركب متنها ينعطب. ولا تزعزع اركان الملك لخفرة صدرت عن فتى ديمه الشرف وربه العز. فحلم الملك اوسع وعدله اعظم. وان كان لا بد من التكفير للمهابة الملوكانية فدونك الشيخ العاجز فقد جاوزت التسعين ولم يبقَ مني خير ينتظر. فاهدر دم الشيخ الفاني . واصفح عن الفتى الهمام . فيسلم عرضك من سهام ملام . وتصون امة العرب من الشقاق والهلاك . وان كنت غير كفوء لابن عمرو فهاك ابني العزيز فاطعن صدره واتق شر البغي وعاقبة الظلم .

ظليم : هاك صدري ايها الملك فاطعن نحري واسفك دمي واصفح عن زهير .

المشهد الثامن

(يدخل زهير بعظمة رافعاً رأسه وجندي)

خالد : طأطئ الرأس اجلالا لمهابة مليكك يا ابن عمرو ، ولا تشمخ بانفك بحضرة العظماء .

زهير : اني اجلّ الملك العادل وازدري المملق السافل . ابجل عظماء الفعال والخصال . واستخف باذلاء الطباع وادنياء النفوس. طلبتني ايها الملك لتنصفني حتى ام ليشتمني العبد

عمرو بن هند : طلبتك للتكفير عن جريرتك .

زهير : ان كنت اسأت فاطلب الصفح .

عمرو بن هند : قل اني اسأت .

زهير : لم يسئ من حافظ على شرف ابيه ، وحبّني اسأت فما التكفير .

عمرو بن هند : ان تعفر جبينك على اقدام العبيد ثم تقتل قتل الانذال.
زهير : لا عفرت ولا كفرت ولا شرف كلثوم حقّرت .
عمرو بن هند : اني والله لأذلّلنّ عزك وعز ابيك واجعلنك مثلة في العرب انت وذويك .
زهير : اقتلني شر قتل ولا تمثل بي .
عمرو بن هند : تذلل اذلال العبيد وتموت موت الكلاب .
الحارث : رفقاً به ايها الملك .
عمرو بن هند : لا رأفة ولا رحمة . والله لاجعلن عزّ آل كلثوم موطئاً لاقدام العبيد .
زهير : قصرت عن ذلك كلّ ملوك الانس والجن .
عمرو بن هند : ايها الجنود — ذللوا السفيه واقتلوه .
ظليم : لا تذللوه ولا تقتلوه — مر ايها الملك انا اكفر .
عمرو بن هند : صه ايها الغرّ الجاهل .
ظليم : ذللني اقتلني ولا تمس عز زهير . ما اسمى الموت في سبيل اعز الناس .
عمرو بن هند : يذلل زهير ويقتل ثم تذلل بعده وتموت .
الحارث : ايها الملك .
عمرو بن هند : لا كلام بحضرتي ، والله لا تركت عربياً رافع الرأس شامخ الانف . ذللوا زهيرًا ايها الجنود واقتلوه (يدخل عبد المدان)
عبد المدان : لا تذلل زهيراً ايها الملك فان اباه عمراً قادم في فرسان تغلب.
عمرو بن هند : ساق القدر اليّ عمرًا ليشهد مقتل ولده وتذليل نسله وتحقير آله . ايها الجنود عفروا جبينه اشنع تعفير ثم اقتلوه شر قتل.
عبد المدان : (يتقدم بينهم وبين زهير ويشهر سيفه) لا يذلل ابن سيد العرب وفي رمق .
ظليم : لا يذلل صديقي وفيّ حياة .
عمرو بن هند : ابعدوا السفيهين واقتلوا الاحمق (تحيط الجنود بزهير) .
زهير : يا لتغلب! يا لعمرو ! !
عمرو بن هند : هتافك يذهب في الهواء فأبوك بعيد.ادعُ اباك وارفع صوتك جهرًا ، والله لاقتلن الوالد على جثة الولد .
نكير : لا تجزع يا زهير فان اباك داخل .
عمرو بن هند : (الى جهة الشمال) ايهـــا الحرس العجل العجل ... (يردد

(الصوت صداه خارجاً) ايها الجنود اقتلوا زهيراً قبل دخول عمرو (تتقدم الجنود شاهرة سلاحها).

زهير : اليكم عني . يا لتغلب ! يا لعمرو !

عمرو بن كلثوم : (من خارج) يا لتغلب يا لزهير !

عمرو بن هند : (يستل سيفه) لا يقتل عمرو بن كلثوم الآ عمرو بن هند.

عمرو بن كلثوم : (يدخل شاهراً سيفه وماسكا ترسه) يا لزهير يا لثارات العرب ! (يتقدم نحو عمرو بن هند).

عمرو بن هند : (يستعد) اهكذا يتجرأ العبد على ربه — على الخائن !

عمرو بن كلثوم : على الظالم (يتعاركان لحظة بالقرب من الكوليس ثم عندما يصير عمرو بن هند داخل الكوليس يقول عمرو بن كلثوم كصوت الرعد) خذها جزاء بغيتك ايها الطاغي .

نكير : قُتل الباغي فافرحوا ايها الاحرار .

ابن سنمار : طب نفساً في لحدك يا ابي سنمار .

نكير : طب نفساً يا متلمس فقد اخذ لك بالثأر .

عمرو بن كلثوم : (يدخل عمرو بن كلثوم) .

الا لا يجهلن احد علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
الا لا يظلمن الناس ملك فبئس اليوم يوم الظالمينـــا

« تمت »

كتاب التجليات الالهية

تصنيف الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عضو المركز القومي للابحاث العلمية في باريز
شعبة الحضارة الاسلامية

وقد اضيف الى نص « التجليات الالهية » :

١) « تعليقات ابن سودكين على كتاب التجليات »

٢) « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات »

٣) « ملحق تاريخي » يشتمل على نصوص متعلقة بنظرية التوحيد عند الاسلاميين من القرن الاول الهجري حتى القرن الثامن .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

(مبداة الى قربان النور وسلطان الغرب الطهور : د. ك.)

السلام عليك يا فاطمة الزهراء
يا ذات الطهر والنور والصفاء
السلام عليك يا أم الشهداء
يا ذات الحزن والصمت والبلاء

السلام عليك يا أم ابيها
وكهف بنيها
وسلوى ذويها
وسر الكعبة لطائفيها
وروح الروضة لزائريها
وبركة النار ومن فيها

السلام عليك يا شجرة الولاية
وركن الامامة والوصاية
ونهج الكرامة والرعاية
وعلم الساعة ورمز القيامة

السلام عليك يا تربة الجنان
ومادة رقائق الجنان
لذوي الايمان والعرفان
وروحانية القرآن
لاهل الذوق والبيان
وقرة العين وانس العيان

ألهمي يا أماه يا حبيبة
فتاة العروبة في بعثها
وفتاة الاسلام في تحريرها
وفتاة البشرية في تكاملها
وكوني لهن جميعاً كما انت في نفسك
بسمة الرجاء في ملكوت السماء
ونجم الاهتداء للنور والمجد والعلاء
ومثال الاقتداء في الطهر والصبر والولاء

ألهمي يا اماه يا صدّيقة
فتى العروبة محو الظلم والظلمات
ألهميه اشاعة الحق والعدل والواجبات
ألهمي فتى الاسلام تحطيم القيود والاغلال
ألهميه الانطلاق الى عالم الخلد والمثال
ألهمي فتى البشرية معنى الود والسلام
ألهميه روح الاخاء والحب والوئام
وكوني لهم جميعاً كما انت في نفسك
مثل التضحية والفداء
ورمز العزم والمضاء
في الليلة الظلماء
تجاه العتبة الكأداء

سلام عليك يا فاطمة في الاولين
سلام عليك يا زهراء في الآخرين
سلام عليك يا صديقة في كل حين
سلام عليك ابد الآبدين . — آمين !

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

الآثار الصوفية التي نعدّها اليوم بقصد النشر ، كلها من مخلفات الشيخ محي الدين[١] ابن عربي (العربي)[٢] واتباعه الاقربين . انها تنتظم كتاب « التجليات الالهية » للشيخ[٣] الاكبر نفسه ، و « تعليقات ابن سودكين[٤] »

---

١) اسمه الكامل : ابو عبدالله ، محمد بن علي بن محمد بن العربي ، الحاتمي الطائي ولد في ١٧ من رمضان ، سنة ٥٦٠ (= ٢٨/٧/١١٦٥ م.) في مرسية ، وتوفي في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٦٣٨ (=١٦/١١/١٢٤٠ م.) بدمشق . — ترجمته والمصدر عنه في «معجم» المستشرق الكبير بروكلمان (*G.A.L.* I, 571, n° 23) وفي « الملحق » (*Supp.* I, 790-791) ؛ — وفي مقدمة « فهرس مصنفات ابن عربي » نشر الاستاذ كوركيس عواد ، « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » (مجلد : ٢٩ ، عدد : ٣ ، سنة ١٩٥٤) ؛ — وفي
« *Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabî* » par Osman YAHYA, Tome I, pp. 113-135 (Institut Français de Damas, 1964) (en abrégé: *l'œuvre d'Ibn 'Arabî*).

٢) « ابن العربي » هي التسمية الواردة عن المؤلف نفسه وعن اتباعه ومؤرخيه القدامى . « ولكن بدأ يعرف بابن عربي لدى اهل المشرق » لتفرقة بينه وبين الفقيه المالكي ، القاضي أبي بكر ، محمد بن عبدالله الاشبيلي ، المعافري ، المتوفى عام ٥٤٣ . انظر « نفح الطيب » للمقري (I, 567/82) (نقلاً عن : *GAL.* I, 571) ، في صدر ترجمته الشيخ الاكبر ؛ — وانظر ايضاً « ترجمة المؤلف » الملحقة بآخر كتاب « الفتوحات المكية » ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هجرية ؛ وايضاً : « ملحق بروكلمان » (*Supp.* I, 790) ، تعليق رقم ١ .

٣) بدأ انصار ابن عربي منذ عصر متأخر (ابتداء من اواسط القرن العاشر الهجري ؛ على ما يظهر) يطلقون على شيخهم لقب « الشيخ الأكبر » . وهذا لم يكن اعتباطاً : انه القرن الذي شيد فيه ضريحه العظيم — وبجواره المسجد الذي يحمل اسمه ايضاً — في صالحية دمشق ، بأمر السلطان العثماني سليم الأول ، بعد فتحه المدينة (سنة ٩٢٢ هجرية) ، انظر : « *Islamologie* » par F. M. Paria, p. 214 (Beyrouth, 1957-1963). ولعل هذا كان في نظر اتباعه بمثابة « رد اعتبار » لمقام الشيخ ، الذي درس قبره : بل اصبح مرمى للشاذورات .

٤) هو الشيخ الزاهد ، ابو الطاهر ، شمس الدين اسماعيل بن سوْدَكين (أو سودكين) بن عبدالله النوري . ولد بمصر سنة ٥٧٩ (او ٥٧٨) وتوفي بحلب سنة ٦٤٦ . — انظر ترجمته في « تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والألقاب » لجمال الدين ابي حامد ، محمد بن علي الحمودي ، المعروف بابن الصابوني ، المتوفى سنة ٦٨٠ ، ص : ٧٣—٧٤ ، نشر الدكتور مصطفى جواد ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٧/١٩٥٧ . وانظر ايضاً : « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » لعبد القادر بن محمد القرشي ، المتوفى سنة ٧٧٥ ، الجزء الأول ، ص : ١٥١ ، طبع « حيدرباد » سنة ١٣٣٢ ؛ — « شذرات الذهب من اخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي ، المتوفى سنة ١٠٨٩ ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٥٠ ؛ — (وانظر اخيراً الملاحظة الخاصة بابن سودكين في « كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل » لابن خلدون الشهير ، المتوفى سنة ٨٠٨ ، نشر الاستاذ الفاضل محمد بن تاويت الطنجي ، من مطبوعات جامعة انقرة ، رقم ٢٢ : سنة ١٩٥٨ ، ص : ٥٩ ، تعليق : ٣ .

عليها ، و « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليـــه التجليات » لمؤلف مجهول . فهي اذن — أعني هذه النصوص — تدور جميعاً حول كتاب « التجليات الالهية » متناً وشرحاً وتعليقاً .

« التجليات الالهية » و « التعليقات » عليها .

لا ادري حتى الآن تاريخ تأليف كتاب «التجليات»[1] على وجه التحديد : ولا المكان الذي حرر فيه ؛ ولا الظروف التي دعت الى انشائه . وكل ما لدينا من وثائق في هذا الصدد هي ثلاثة «سماعات»[2] على الكتاب السالف الذكر « السماع » الأول بمدينة حلب سنة ٦٠٦ للهجرة[3] . و« السماعـــان » الآخران

---

١) بخصوص كتاب «التجليات الالهية» انظر : « *L'œuvre d'Ibn 'Arabî* », II, pp. 488-491.

٢) « السماعات » — مفردها « سماع » — أو « إجازات السماع » هي ، كما يرى الاستاذ المحقق صلاح الدين المنجد : « صورة من الصور التي عرفها (علماؤنا) القدامى عن « الشهادات العلمية » التي تمنح اليوم (في المعاهد والجامعات) » . انها في غاية الاهمية من ناحية تاريخ العلوم والآداب عند المسلمين الاوائل . — والفرق بين « السماعات » قديماً و« الشهادات العلمية » اليوم ، « ان الأولى شهادات فردية تثبت عند سماع كتاب واحد ، وان الثانية تمنح بمجموع من الدروس يقرأها الطالب » . — هذا ، ويجب « تمييز اجازة السماع من اجازة الاقراء . فبهذه ينص فيها على ان شيخاً قد أقرأ طالباً كتاباً ما فقط ، او ان طالباً قرأ على شيخ هذا الكتاب . اما في اجازة السماع فلا بد من سامعين غير القارئ » . — انظر هذا كله في : « اجازات السماع في المخطوطات القديمة » للدكتور صلاح الدين المنجد ، مجلة « معهد المخطوطات العربية » ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص : ٢٣٢—٢٥١ (الصادرة سنة ١٩٥٥) . ويصرح الاستاذ المنجد في مقالته بقوله : « ولم ار فيما طالعت من مخطوطات اجازة سماع من القرن الثالث او الرابع ؛ ولكني رأيت اجازة قراءة من القرن الرابع» (المقال المتقدم، ص : ٢٣٢—٢٣٣) . — هذا، ويحسن الرجوع الى المصادر الآتية للالمام بهذا الموضوع الهام في الثقافة الاسلامية :

— H. Ritter, *Autographs in Turkish Libraries*, dans *Oriens* VI, 1953, 63-90.

— G. Vajda, *Quelques certificats de lecture dans les Manuscrits arabes de la B. N. de Paris*, dans *Arabica*, I, 3, 1954, 337-342.

— S. M. Stern, *Some manuscripts of Abul-'Alā' al-Ma'arri*, dans *Oriens* VII, 1954, 322-347.

— G. Vajda, *Les certificats de lecture et de transmission dans les Mss. arabes dans la B. N. de Paris*, éd. *C.N.R.S.* 1957.

٣) نص السماع : « قرأ عليّ كتاب التجليات صاحبنا البرهان ابو محمد عبدالله بن علي بن احمد الخولاني . وكتبه المصنف سنة ست وستماية بمدينة حلب » . — وهذا « السماع » مسجل على هذا الكتاب ، المحفوظ في مكتبة الاوقاف ببغداد ، رقم : ٤٨٢٧ (نقلاً عن « المتروك » للأستاذ كوركيس عواد ، المنشور في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » ، سنة ١٩٥٥ ، مجلد : ٣٠ عدد : ٢ ، كتاب رقم : ٣٥ ، تعليق رقم : ٩) .

بدمشق سنة ٦١٧ و٦٢٧ ـ[1] هذا ، وقد صرح ابن عربي نفسه بذكر كتاب « التجليات الالهية »[2] في « فهرس المصنفات » الذي وضعه بمدينة دمشق عام٦٢٧ للهجرة ، استجابة لرغبة تلميذه وربيبه صدر الدين القونوي[3] ؛ كما صرح بذكر الكتاب ايضاً في « اجازته للملك المظفر[4] .... » عام ٦٣٢ في نفس المدينة .

اما « تعليقات ابن سودكين النوري على التجليات »[5] فنحن على علم

---

١) سيأتي ذكر هذين الباحثين فيما بعد (الفقرة الخاصة بالاصول الخطية ، آخر هذه المقدمة).

٢) رقم كتاب « التجليات الالهية » في « فهرس المصنفات » ١٨٢ . — وقد نشر هذا « الفهرس » الاستاذ الدكتور ابو العلا عفيفي في « مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية » (عدد ديسمبر ، مجلد : ٨ ، عام ١٩٥٠) ؛ كما نشره ايضاً الاستاذ كوركيس عواد في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » (مجلد : ٢٩ ، عدد . ٤ ، عام ١٩٥٤ : — مجلد ٣٠ ، عدد : ١ ، عام ١٩٥٥) . انظر — تحليل « فهرس المصنفات » في « *L'œuvre d'Ibn 'Arabî* », I, pp. 39-47.

٣) صدر الدين ، ابو المعالي محمد بن اسحق بن محمد القونوي . من المع الشخصيات في عالم الفكر الاسلامي ، في الميدان الصوفي وفي الميدان الفلسفي على السواء . له تصانيف عديدة وهامة ، بالعربية والفارسية . لم يدرس حتى الآن ، ولم ينشر من تواليفه سوى تفسير الفاتحة . — ولادته في قونية عام ٦٠٧ ووفاته فيها ايضاً عام ٦٧٢ . ومكتبته الخاصة ، بما فيها مصنفاته ، لا يزال القسم الكبير منها محفوظاً في المكتبة الوطنية بمدينة قونية (مكتبة يوسف آغا ، بجوار الزاوية المولوية الكبرى) . وقد اتيح لنا زيارة هذه المكتبة والاستفادة من ذخائرها ، مراراً . — وترجمة صدر الدين القونوي والمراجع عنه وذكر تآليفه ، في معجم بروكلمان « وفي « الملحق على المعجم » : *G.A.L.* I, p. 588; *Supp.* I, p. 807.

٤) العنوان الكامل هذه الاجازة : « اجازة الشيخ محي الدين بن العربي ... لملك المظفر : بهاء الدين غازي بن الملك العادل ابي بكر ايوب » ؛ ورقم كتاب التجليات في هذه « الاجازة » : ٢٢٣ . — وقد نشرت هذه الاجازة : بعناية الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي ، في مجلة « الاندلس » ، التي تصدر بمدريد : عام ١٩٥٥ ، العدد الأول ، وصدرت بمقدمة باللغة الاسبانية بقلم الباحث الكبير الدكتور بدوي ، وعنوان الاجازة : « *Autobibliografia d'Ibn 'Arabî* », vol. XX, Fasc. I, pp. 107-128. هذا والملك المظفر هو المعروف بالملك الاشرف ، المتوفى بدمشق ، عام ٦٣٥ هـ. انظر وفيات الاعيان ... رقم ٧٢٠ ؛ وشذرات الذهب ... ٥/ ١٧٥—٧٦ .

وانظر ايضاً تحليل هذه « الاجازة » في : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabî* », I, pp. 48-55.

٥) عنوان هذا الكتاب كما ورد في معظم النسخ : « شرح التجليات لشيخ اسماعيل بن سودكين النوري » . — والواقع : ان هذه « التعليقات » ليست من وضع ابن سودكين نفسه ، اعني ليست تأليفا له بالمعنى الصحيح . بل هي تلخيص لشرح ابن عربي على كتاب « التجليات » ، الذي اضطلع به بناء على طلب اتباعه ذلك ، اثناء وجوده في مدينة حلب عام ٦١٠ او ٦١١ (انظر آخر صدر « التعليقات » لابن سودكين) . — والنسخ الموجودة حالياً لهذا الكتاب هي : مخطوط مكتبة الفاتح (اسطنبول) رقم : ٥٣٢٢/١—٣٧ ؛ — مخطوطا فيينا : رقم : ٣٨٩ ؛ ورقم : ١٩١١ ؛ — مخطوط مغنيسا (تركيا) ، رقم : ١١٩١/١٦٦—١٩٨ ؛ — مخطوط فيض الله (اسطنبول) ، رقم : ٢١١٩/١٢٥—١٧٣ ؛ — مخطوط برلين ، رقم : ١٢٣٠ ؛ — مخطوط

تام بها من حيث الزمان والمكان والمناسبة التاريخية . كما نحن على علم ايضاً بالشخصية الحقيقية لصاحب هذه « التعليقات » . فابن سودكين يذكر جميع ذلك في صدر كتابه . بل يضيف الى هذا كله فينص على اشياء من طبيعتها ان توضح لنا جوانب من تفكير الشيخ الاكبر . وتلقي الضوء على بعض المشاكل التي يثيرها كتاب « التجليات الالهية » . فلنترك المجال هنا لابن سودكين يقص علينا نبأ هذا كله بأسلوبه الخاص :

« ... ولما وقف بعض من كنت اظنه خليلاً ... على هذا الكتاب المسمى بـ « التجليات » ... قال : اكاد اقسم بالله ان هذا ظلم وعدوان[1] ... وكان ذلك سنة عشرة وستماية بحلب . وكان شيخنا — رضى الله عنه ! — غائباً . ولما قدم بعد مدة اعلمته بما ذكر ذلك الخائب[2] . ولاعتنائي بالقضية قصدت تحقيق المسألة مع (سيدي) الشيخ ، مع ما عندي فيها من علم اليقين ...

جاراللّه (اسطنبول) ، رقم : ١٠٩٢ /١٦١—٢٠٥ (والكتاب منسوب هنا خطأ الى صدر الدين القونوي) ؛ — وانظر ايضاً « معجم بروكلمان (*G.A.L.*, I, 578/83-86) و« ملحق بروكلمان » (*Supp.* I, 788, 86) وانظر كذلك : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabî* », II, pp. 490-491 . — أما المراجع عن ابن سودكين فقد ذكر بعضها في التعليق المتقدم رقم : ٤ . — اما مؤلفاته المعروفة الآن فهي : ١) « شرح الفص الادريسي » ، مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم : ٥٣٢٢ /٢١٧—٢٢٦ ؛ ٢) « شرح المشاهد القدسية » : مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم : ٥٣٢٢ /٢٠١—٢١٤ ؛ ٣) « كتاب النجاة من حجب الاشتباه » : مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٥٣٢٢ /١٦٩—٢٠١ ، ومخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٣١٨٤ / ٢٩٢ ... ؛ ٤) « كتاب المسائل » ، مخطوط مكتبة ازمير لي اسماعيل حقي (اسطنبول) : رقم : ٣٣٩٠ ؛ ٥) « لواقح الانوار ولوامع الاسرار » ، جاء ذكره في « شرح صلاة ابن مشيش » لمصطفى البكري ، المسمى بـ « الروضات المرشية في الكلام على الصلاة المشيشية » ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٥٥٢ /٩١ .—

١) يريد بذلك موقف ابن عربي الخاص في كتاب « التجليات » في مسألة « التوحيد » ومخالفته بذلك معظم الصوفية المتقدمين — وهذا العالم الحلبي لم يكن الوحيد في رده على « كتاب التجليات » . فابن تيمية لا يتحاشى عن وصمه بكتاب « التخيلات الشيطانية » (انظر كتاب : « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » : محمد بن عبد الرحمن ... السخاوي ، المتوفى عام ٩٠٢ للهجرة ؛ نسخة برلين : رقم : ٩٨٤٩ /٥٩) . — هذا ، ويرى استاذنا المستشرق الكبير ، المأسوف عليه ، لويز ماسينيون ، ان نظرية التوحيد التي عرضها ابن عربي في « تجلياته » مبنية في اساسها على عدم التمييز بين الوحدة العددية (Unité arithmétique) والوحدة الذاتية (Unité ontologique) ، انظر : « *Recueil de textes inédits*, Paris 1929, p. 189, note nº 2. » .

٢) في مثل هذا الزمان تقريباً ، ولمثل هذه المناسبة ، اعني لاعتراض بعض علماء مدينة حلب على ديوانه « ترجمان الاشواق » ، — بدأ الشيخ الاكبر في وضع شرح لديوانه المذكور : بناء على طلب ابن سودكين وبدر بن عبدالله الحبشي . وسمّي ذلك الشرح : « ذخائر الأعلاق » . بدأ فيه بحلب واتمه بعد ذلك بمكة . انظر تفصيل هذا في آخر الديوان ، نشر الاستاذ نيكلسون « لندن ، الجمعية الملكية الاسيوية ، عام ١٩١١ ، ص : ٤٦—٤٧ .

« فقلت : يا سيدي ! قد ثبت عند العارفين ان الانسان انموذج صغير من العالم الكبير[١] . وان لكل موجود من الممكنات : في نسخة وجود العبد . رقيقة[٢] منبعثة عن اصل هو لها حقيقة[٣] . فاذا اخذ صاحب الجمعية[٤]

---

١) الانسان «صغير» او «انموذج صغير» : وهو صورة مصغرة من الكون بأسره الذي هو «عالم كبير» . هذه فكرة ذات أصل يوناني : نفذت الى الأوساط الاسلامية بوساطة «اخوان الصفا» (انظر رسائل اخوان الصفا . الجزء الثالث : الصفحة ٣١) . والواقع ، ان هاتين التفتين . «عالم صغير» و «عالم كبير» . هما اثر جسان الخريشان لكلمتي μικρός κόσμος (= كبير) κόσμος (= عام) وكلمتي μικρός κόσμος (= صغير) κόσμος (= عالم) . — ويرى بعض المؤرخين ان الفكرة اول ما ظهرت في التراث الاغريقي عند علماء الفلك والطب . كفكرة علمية ، ثم انتقلت الى اوساط الفلسفة الافلاطونية الحديثة (لا سيما المتأخرين منهم كـ Proclus : حيث حتلت ايضاً دوراً كبيراً شبيهاً بنفس الدور الذي حتلته في التصوف الاسلامي والفلسفة الاشراقية — بخصوص تسرب الفكرة الى الاوساط المسيحية الاسلامية عن طريق «رسائل اخوان الصفاء» ، انظر : «تاريخ الاصطلاحات الفلسفية» لاسيون (مخطوط) ص ٣٣-٣٥ ؛ وبخصوص انتشارها في مسيحية العصور الوسطى المسيحية ، انظر :

« *Vocabulaire technique et critique de la philosophie* », par A. LALANDE, Presses Universitaires, Paris, 1956, article: *Macrocosme*.

٢) «الرقيقة» في اصطلاح الصوفية المتأخرين : «هي الواسطة اللطيفة الرابطة بين شيئين» . ويميز الصوفية بين انواع من «الرقائق» : فهناك ما يسمى برقيقة الامداد ، ورقيقة النزول ، ورقيقة العروج ، ورقيقة الارتقاء ، ورقيقة المناسبة ... الخ . انظر «كتاب لطائف الاعلام» ، مخطوط جامعة اسطنبول : رقم : ٢٣٥٥ /٨٥ . — اما «الرقائق» (حال استعمالها بالجمع) فهي «علوم السلوك» . وتسمى ايضاً بالطريقة . وسميت الطريقة بالرقائق من جهة انها ترقق كثافة العبد فيرتقي بذلك الى مرتبة أهل الصفاء» (نفس المصدر المتقدم ، ورقة : ٨٥) .

٣) هذا «الاصل» ، الذي «هو حقيقة كل رقيقة» ، هو «الوحدة» ، اذ لا تعين قبلها ؛ ويسمى هذا الاصل عندئذ : «اصل الحقايق» . وهناك ايضاً ما يسمى : «اصل انتشاء الخلائق» ؛ وهو : «حقيقة الوحدة بباطنها : الذي هو عين «حقيقة الحقايق» ، في المرتبة الأولى بظاهرها ، الذي هو «البرزخية الثانية في المرتبة الثانية» ، التي هي «مرتبة الالوهية» ... (انظر : «لطائف الاعلام» ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ /٢١ا — ٢١ب) .

٤) «صاحب الجمعية» هنا هو «صاحب الهمة» . و«الهمة» ، كما يرى مؤلف «لطائف الاعلام» : «هي المنزل العاشر من «منازل الادوية» ... وهي التي تبعث السر على السير في «منازل المحبة» ... وتطلق الهمة بازاء جمع القلب لصفاء الالهام . وتطلق : بازاء تجريد القلب للحق . وقد تطلق : بازاء اول صدق المريد . وتطلق : بازاء تعلق القلب بطلب الحق تعلقاً صرفاً ...» (مخطوط جامعة اسطنبول : رقم : ٢٣٥٥ /١٧٣ب — ١٧٤ا) . انظر تحليل هذه الفكرة عند ابن عربي :

« *L'Imagination créatrice dans le Soufisme d'Ibn 'Arabî* », par H. CORBIN, pp. 165 ss. (éd. Flammarion, Paris 1958); — « *Terre céleste et Corps de résurrection* », par H. CORBIN, pp. 248, 360 (éd. Buchet/Chastel, Paris 1961.

وانظر : «فصوص الحكم» لابن عربي وتعليقات الاستاذ الكبير الدكتور ابو العلا عفيفي عليها (راجع : فهرس الموضوعات والمصطلحات ، مادة : مقام الجمعية ؛ الهمة ، جمعية الهمة) مطبعة : عيسى البابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٩٤٦ (في جزئين بمجلد واحد) .

يقبل على رقيقة ما من رقائق نفسه ، فانها تتترَوْحَن بذلك التوجه الخاص ، حتى تكون مدركة لحسه .

« فاذا اخذ المحيي لتلك الرقيقة يناظرها في حقيقة الاحية او مسألة علمية ، كما جرى لسيدي (الشيخ) مع من اجتمع بهم في كشفه[1] ...؛ أو ليس من المقطوع به ان الذي قامت به تلك الرقائق هو لها الاصل الكلي ، وهي له الفرع الجزئي ؟ ... فليس لها . مما تجيبه به . مدد إلاّ من إلقائه اليها ، ولا حياة إلاّ من اقباله الخاص عليها . فهي ، لهذا الارتباط ، فيما تجيب به ، مقهورة ... فكيف يقتضي الانصاف ان يحكم بما ظهر من هذه الرقيقة الجزئية المرتقة على من هوفا حقيقة كلية مطلقة ؟ وكيف يقطع على حقائقهم بما حكمنا به على ما قام في نسخة وجودنا من رقائقهم ؟

« ومعلوم ايضاً ، ان لنا في وجود كل انسان منهم ومن غيرهم رقائق روحانية[2] ، وان لها عليهم سلطنة وربانية . وحكمهم على ما قام بهم من رقائقنا كما هو الامر عند (نا) فيما حكمنا به عليهم بحقائقنا . فهم يناقضوننا في الأحكام . ويبقى الامر موقوفاً على نظر المحقق العلاّم . وقد اقر المنصفون من اهل هذا الطريق ان سيدي الامام ... عمدة لاهل التحقيق ...

« فلما سمع شيخنا — قدس الله روحه ! — مني هذا الخطاب أعجبه وقال : والله ما قصرت ولقد اتيت بالصواب[3] . لكن يا ولدي انما الشأن كله في معرفة

---

١) يقول الشيخ صدر الدين القونوي : « كان شيخنا ابن العربي متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الانبياء والأولياء الماضين على ثلاثة انحاء : ان شاء الله استنزل روحانية من في هذا العالم وادركه متجسداً في صورة مثالية ... وان شاء الله احضره في نومه ، وان شاء انسلخ عن هيكله »، « شذرات الذهب » ، نشر نيكلسون ، الجمعية الملكية الاسيوية ، مجلد : ٢٥ ، عدد اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، ص : ٨١٦ .

٢) هذا الرأي العرفي الخاص بـ « الرقائق الروحانية » شبيه جداً بقول الشيعة في « النور المحمدي » انه في مستوى الوجود ، اصل كل كائن سماوي او ارضي ؛ وفي مستوى العلم هو اصل المعارف الغيبية التي يستمدها عنه جميع الانبياء والرسل . انظر تفصيل ذلك في مقالة الاستاذ الكبير لوزاساسينون في « موسوعة الاسلام » ، النص الفرنسي ، المجلد الثالث ، ص : ١٠٢٧—١٠٢٨ ، مقالة : « نور محمدي : *Nūr Muhammadī* » .

٣) يذكر ابن عربي في «الفتوحات المكية» ، انه استفاد من ابن سوداكين بعض المسائل الالهية (الفتوحات ٢ المجلد الثاني ص : ٦٨١—٦٨٢ ، ط . القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.) . — كما انه استجاب لسؤاله، وضع رسالته المسماة : « اعلى المراتب والاحوال التي تنتهي اليها هم الرجال »، انظر : « مجموعة رسائل ابن العربي » ، المجلد الأول ، الرسالة رقم : ١٤ . ط. حيدرياد سنة ١٣٦٧ هـ.

أحكام المواطن والحضرات : وفي التحقيق بذلك تتفاوت مراتب اهل الولايات . والذي حررته : يا ولدي : في امر الرقائق الجزئية ، القائمة بالحقائق الانسانية ، وكون الحكم (فيها) انما هو للكلي على الجزئي ، — فهذا حق في موطنه الخاص به وهو الحضرة النفسية[1] وما يعطيه حكم النشأة الجامعة الانسانية .

« والذي ذكرناه في « كتاب التجليات » مما جرى بيننا وبين اسرار القوم : انما كان في حضرة[2] حقية ومشاهدة[3] قدسية ، تجرد[4] فيها سري وسرّ من كوشفت به في حضرة الحق ، التي لا تقبل إلا مجرد التحقيق والصدق . ولو قدرنا اجتماعنا معهم في عالم الحس بالاجساد لما نقص الامر عما اخبرت به عنهم ولا زاد . والمعاملة . يا ولدي . مع ﷲ القائم على كل نفس بما كسبت[5] فيما يعمل او يقال . وهو — سبحانه ! — « عند لسان كل قائل »[6] عدلٌ او مال .

« وقد اوضحنا السر في ذلك في « الفتح المكي والالقاء القدسي »[7] :

---

١) « الحضرة النفسية » استعملت هنا في مقابل « الحضرة الحقية » و « المشاهدة القدسية ». وهي حالة الانسان الذي لا يزال في مستوى نفسه البشرية من حيث انفعالاتها وقيودها . فالانسان في هذه الحالة لم يرق بعد الى « مستوى القلب » ، الذي هو « عرش الرحمن » و « مجلي انواره » ولا الى « مستوى السرّ » الذي هو « مركز الاتحاد » الفائق بين الخالق والمخلوق .

٢) « الحضرة الحقية » هي حضرة القلب الذي هو عرش الرب ومجلي انواره ومستودع اسراره . فهي حضرة لا تدنسها حظوظ النفس البشرية ولا تناالها وساوس الشيطان ، ومن ثم كانت محفوظة من الخطأ او الشك .

٣) « المشاهدة القدسية » هي المشاهدة المقدسة عن حظوظ النفس وخوالج الشيطان : انها مشاهدة صافية ، منزهة ، سامية .

٤) التجرّد او التجريد هو في عرف الصوفية ، « اماطة السوى والكون عن السر والقلب » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٥٥٥٣ /١٤٣) . فـ « تجريد السر » من جانب العبد ، يقابل « لطف التجلي » من جانب الرب : اي انه مجهود يقوم به المرء ، عند تجلي انوار الحق عليه ، ليبعد عن طبيعة هذا التجلي كل ضرب من التحديد او اللبس او الاشتباه : فيبقى التجلي على صفائه بقدر تجرد القلب عن شوائبه .

٥) اشارة الى الآية الكريمة ، رقم : ٣٣ من سورة الرعد (رقم : ١٣) . —

٦) جزء من حديث تتمته : « ان الله عند لسان كل قائل : فليتق امرء علم ما يقول » . وهو مروي في كتاب آفات اللسان ، (الكتاب الرابع من ربع المهلكات ، من كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي : فصل : « بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت » . — ولم يخرّج هذا الحديث الشيخ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى عام ٨٠٦ هـ.) في كتابه « المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار » .

٧) هذا عنوان جديد لكتاب « الفتوحات المكية » الشهير : — بخصوص العناوين المتعددة لهذا الكتاب ، انظر : *L'Œuvre d'Ibn 'Arabî*, I, p. 201. ولم يذكر هذا العنوان الجديد هناك .

في (باب) « معرفة منزل القطب والامامين »[1] بغير شك ولا مين . وذلك ان السنة الالهية جرت في القطب[2] اذا ولى المقام ، ان يقام في مجلس من مجالس القربة[3] والتمكين ؛ وينصب له تخت عظيم لو نظر الخلق الى بهائه لطاشت عقولهم ، — فيقعد عليه . ويقف الامامان[4] ، اللذان قد جعلهما الله له ؛ بين

---

١) انظر « الفتوحات المكية ... » الباب : ٢٧٠ (المجلد الثاني ، ص : ٥٧٠—٥٧٤ ؛ من طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.)

٢) « القطب هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم ، في كل زمان . وهو على قلب اسرافيل » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ ١٤١ا ؛ وانظر ايضاً « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني وابن عربي (المادة نفسها) و« رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال » مخطوط مكتبة باريز الوطنية ، رقم ٤٨٠١ / ١٠١ب . —

٣) يقول ابن عربي في آخر كتابه : « كتاب القربة » (ط. حيدرباد ، الجزء الاول ، الرسالة السادسة ، ص : ٩) : « ... وكنت ما رأيت احداً من اصحابنا نبه عليه (= على « مقام القربة ») ولا ندب اليه . بل سمع ذلك اكثرهم لعدم الذوق . فبقيت به وحيداً ... لا استطيع أنوه به من أجل منكريه . إلى ان وقفت لابن عبد الرحمن السلمي في بعض كتبه عليه نصاً وسماه : « مقام القربة » ... » . — ويقول ايضاً ، في آخر الباب ١٦١ من ابواب « الفتوحات المكية » ، الذي عنوانه : « في المقام الذي بين الصديقية والنبوة وهو مقام القربة » : « ... وقد انكر ابو حامد الغزالي هذا المقام ، وقال : ليس بين الصديقية والنبوة مقام . ومن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة : والنبوة باب مغلق ». إلاّ ان الشيخ الأكبر يدفع هذا الاعتراض بقوله : « ومع هذا ، لا يبعد ان يخص الله المفضول بعلم ليس عند الفاضل . ولا يدل تميزه عنه انه بذلك العلم افضل منه ... » . — وقبل ذلك . في هذا الباب نفسه ، يروي لنا ابن عربي قصته في هذا المقام : « هذا المقام (= مقام القربة) دخلته في شهر محرم ، سنة سبع وتسعين وخمسماية ، وانا مسافر ، بمنزل ايجيل (الصواب : أيجيل) ، ببلاد المغرب . فتحت فيه فرحاً . ولم اجد فيه احداً ، فاستوحشت من الوحدة ... ولما دخلت هذا المقام وانفردت به علمت (الاصل : وعلمت) انه ان ظهر على فيه احد انكرني . فبقيت اتتبع زواياه وتخادعه ولا ادري ما اسمه ... فرحلت وانا على تلك الحال من الاستيحاش بالانفراد ... فلقيت رجلاً من الرجال بمنزل يسمى آنحال . فصليت العصر في جامعه . فجاء الأمير ابو يحيى بن واجتن (او يجاتن) . وكان صديقي . وفرح بي . وسألني ان انزل عنده فابيت . ونزلت عند كاتبه . وكانت بيني وبينه مؤانسة . فشكوت اليه ما انا فيه من انفرادي بمقام انا مسرور به فيما هو يؤانسني اذ لاح لي ظل شخص . فنهضت من فراشي اليه ... فتأملته : فاذا به ابو عبد الرحمن السلمي ... » (الفتوحات ، مجلدة ٢ / ٢٦١ ، ط. القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.) .

٤) هما شخصان : احدهما عن يمين القطب ، وناظره في (عالم) الملكوت ، واسمه « عبدالرب » ؛ والآخر عن يساره ، وناظره في (عالم) الملك ، واسمه « عبد الملك » ؛ وهو أعلى من صاحبه ؛ وهو الذي يخلف القطب » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ /٢١ب ؛ وانظر ايضاً : « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني وابن عربي : نفس المادة ؛ و« رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال » ، مخطوط مكتبة باريز الوطنية ، رقم : ٤٨٠١— / ١٠١ب) .

يديه . ويمد القطب يده للمبايعة الالهيه والاستخلاف . وتؤمر الارواح ، من الملائكة والجن والبشر ، بمبايعته واحداً بعد واحد : « فانه جل جناب الحق ان يكون مصدراً لكل وارد ، وان يرد عليه إلا واحد بعد واحد »[1] .

« وكل روح يبايعه في ذلك المقام يسأل القطب عن مسألة من المسائل . فيجيبه (القطب) امام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم . فيعرفون في ذلك الوقت أيّ اسم الهي يختص به . ولا يبايعه إلا الارواح المطهرة المقربة ؛ ولا يسأله من الارواح المبايعة ، من الملائكة والجن والبشر ، إلا ارواح الاقطاب الذين درجوا خاصة . — وهكذا حال كل قطب مُبايَع[2] ... » .

الى هنا ينتهي جواب ابن عربي عن سؤال تلميذه له بخصوص الحقيقة التاريخية للقائه بمن تقدمه من كبار الصوفيـــة في المشرق ، وحواره معهم . ثم يستطرد الشيخ اسماعيل بن سودكين النوري فيذكر ما يأتي في نهاية مقدمته :

« ... ولما تحققت في ذلك باليقين ، وشرح الله صدري بنوره المبين ، حسّن الله عندي سؤالي في شرح هذا الكتاب ... فرغبت الى شيخنا ... في شرح هذا العلم الذي هو « كهيئة المكنون »[3] . فمنّ عليّ بشرحه ، وقلدني

---

١) النص لابن سينا في كتاب « الاشارات والتنبيهات » ، الجملة الاخيرة من « مقامات العارفين » (ص : ٢٠٧ ، نشر (Forget) . — والفكرة التي يحتويها نص « الاشارات ... » ويقول بها ابن عربي ايضاً ، هي من اسس نظرية الشيعة في ضرورة بعثة الانبياء ووجود الأئمة . انظـر تفصيل ذلك في : « *De la philosophie prophétique en Islam shi'ite* », par Henry Corbin, in *Eranos Jahrbuch*, XXXI/1962, pp. 57-66. — « *Histoire de la philosophie islamique* », par Idib, Tome I pp. 62-109; 132-136; 142-149; in Gallimard, Paris 1964.

أما من وجهة النظر الصوفية في الموضوع فيراجع : « مقدمة شرح التائية الكبرى » لداود القيصـري ، فصل « طريق الوصول الى اصل الاصول » . —

٢) مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٣٣٢٢ د / ١ب — ٢ب . — وابن عربي في كتابه « الفتوحات المكية » (المجلد الثاني : ص : ٥٧٢ ، ٥٧٣ د ؛ ط. القاهرة سنة ١٣٢٩) يذكر ، ما يحكيه عنه ابن سودكين في هذا الموطن بعينه . وينص هناك على انه قد خصص لهذه المسألة كتابين : الأول بعنوان : « مبايعة القطب في حضرة القرب » (ص ٥٧١—٥٧٢ د) ؛ والثاني بعنوان : « كتاب معرفة القطب والامامين » (ص ٥٧٣) . — بخصوص الكتاب الأول ، يراجع : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabi* », R.g. nº 487. وبخصوص الكتاب الثـاني ، نفس المرجع : R. g. nº 585 وهذا الكتاب ، على ما يظهر ، هو عنوان جديد لكتاب « القطب والامامين » وهو لم يذكر في المرجع السابق ...

٣) اشارة الى حديث : « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا اهل المعرفة بالله تعالى ! — فاذا نطقوا به لم يجهله إلا اهل الاغترار بالله — تعالى ! — ... » وهذا الحديث عند الصوفية من المصادر السمية في اثبات « علم المكاشفات » . — انظر تفصيل ذلك في « احياء علوم الدين » للامام الغزالي ، المجلد الأول : ص : ١٩—٢١ ، نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ، من غير تاريخ . —

جواهر فتحه . فلما حصلت في حرزي ، وكانت من اعز ما في كنزي ، احببت ان تكمل بالانفاق ، عملاً على وصية الخلاق[1] ... »

فبناءً على هذا النص ، لا تكون في الحقيقة «تعليقات ابن سودكين على التجليات » سوى « تقييدات » لشرح الشيخ الاكبر نفسه على كتابه بالذات. من اجل هذا كانت هذه « التعليقات » بمثابة جزء متمم « للتجليات الالهية » . نابعة من عين مصدرها الاول .

كتاب كشف الغايات .

اذا كانت ساعدتنا الظروف بمعرفة صاحب « التجليات » و « التعليقات » عليها . فأنا على جهل تام بمؤلف « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » ، وبزمان انشائه ومكانه والظروف التي دعت اليه ... ان النسخة الوحيدة التي نملكها في الوقت الحاضر ، وهي محفوظة في القسم الشرقي بدار الكتب الوطنية في باريز[2] ، غفل عن اسم مؤلفها ؛ كما انه لا يوجد في ثنايا الكتاب نفسه أية دلالة تكشف عن شخصية المصنف او تومئ اليه .

بيد ان المستشرق المعروف ، المأسوف عليه بروكلمان : في «ذيل معجمه»[3] الشهير للآداب العربية ، يذكر عنوان مخطوط موجود في خزانة «رامبور»[4] ، يقرب جداً من نظيره في خزانة باريز : « كشف الغايات شرح التجليات » ، ويعزوه الى الصوفي الشيخ عبد الكريم الجيلي ، المتوفى عام ٨٢٠ او ٨٣٢ للهجرة . ويتساءل بروكلمان[5] فيما اذا كانت نسخة « رامبور » بمثابة شرح لكتاب « التجليات الالهية » لابن عربي أم لا ؟ ونحن لم يتيسر لنا الاطلاع على هذا المخطوط لمقابله على نسخة خزانة باريز فنكون على بينة من الأمر .

ومهما يكن من شيء ، فان مخطوط « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » ، المحفوظ في « دار الكتب الوطنية بباريز » ، يوجد ضمن مجموعة تحتوي على اثني عشر كتاباً ورسالة . وهي كلها على ما يبدو . بالرغم من اختلاف موضوعاتها ، ذات نسق واحد في التفكير والنزعة والاسلوب . وهذه

---

١) مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٣٣٢٥ /٢ب .
٢) تحت رقم : ٤٠٨٠ / ١١-١٩٦ .
٣) *G.A.L., Suppl.* II, 284, 26.
٤) Rāmpur I, 362, 281 b.
٥) *G.A.L., Suppl.* II, 284, 26.

الخصائص اذا تحققت في مجموعة ما من شأنها ان تدل على وحدة التأليف . وجميع هذه المخطوطات لم يذكر فيها اسم مصنفها او مصنفيها ... ونظرًا لاهمية هذه المجموعة الخطية النادرة في التراث الصوفي ، ولكونها لم تذكر في « معجم بروكلمان » ، — فقد آثرنا سرد عناوينها في هذا المقام . مع ذكر بداية كل كتاب ونهايته .

مجموعة باريز الخطية رقم ٤٨٠١

١) « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات »[١] . — البداية : « الحمد الذي رفع طلاسم الغيوب بتجلياته ... » . — النهاية : « ... ولا تحرمنا من ذلك لسوء ما عندنا ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . »

٢) «رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال[٢] .» البداية : « الحمد لله الذي اجرى على السنة اهله لغة يخاطبون بها الأهل . وارسل على ارض استعدادهم مدرار الحكم تترى فأزال عنها بذلك أثر المحل .. » — النهاية : « هذا آخر الكلام فيما قصدنا ايراده ... ولا منع عن العبد الجاني على نفسه خير ما عنده بهفواته ... وصلى الله على سيدنا محمد الظاهر بالسيادة العظمى في العالم ونشآته ، وعلى آله وصحبه وورثته ... » .

٣) « نخبة الرغايب للمذاهب والايب»[٣] . — البداية : « الحمد لله الذي كشف على بصاير القلوب ما أضمر في بطاين الغيوب . واودع لها في أنفاس الدهور رواتب المنح ورغايب الستور ... » . — النهاية : « نجز ما سأله السائل

---

١) عنوان الكتاب الاول ، ورقم المجموعة ، كما تقدم : ٤٨٠١ /١ا—١٩٦ا .

٢) عنوان الكتاب الثاني ، ورقم المجموعة ، كما تقدم : ٤٨٠١—/١٩٩ا—١٢٥ب . — وهو شرح مطول لاصطلاحات الصوفية لابن عربي ، المطبوع في « مجموع رسائل ابن العربي » ، المجلد الثاني ، الرسالة الأخيرة (حيدرباد سنة ١٣٦٧) .

٣) عنوان الكتاب الثالث من المجموعة ، ورقاته : ١٢٦ب—١٢٨ب . — في هذه الرسالة (ورقة ١٢٦ب ، في آخرها) يذكر المؤلف كتاباً له بعنوان : « كتاب رونق الاذهان في كشف ما حوت عليه فواتح سور القرآن » . وهو كتاب نفيس في اسرار الحروف القرآنية ، الموجودة في « فواتح السور » . وله نسخة يتيمة ، محفوظة في خزانة جار الله (مكتبة ملت ، اسطنبول) تحت رقم : ١٠١٥ /١ا—١٠٦ا . وهذه النسخة هي غفل عن اسم مؤلفها ايضاً ، وتوجد ضمن مجموعة كاملة كلها غفل عن اسماء مؤلفيها (او مؤلفها) . وهي مكتوبة بنفس الخط المكتوبة فيه مجموعة باريز ، على مثل الورق ، بمثل التجليد ...

ان اضعه في الحقائق الالهية ، واقيده له بخط يدي . والحمد لله على التيسير . — وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير ، وعلى آله وعترته وصحبه ... » .

٤) « اللوامع المشرقة لكشف ما في العدد من الأسرار المونقة »[1] . — البداية : « تفرد الواحد . لا من طريق العدد ، بكمال لا يماثله فيه احد .... » النهاية : « وبالتالي لم يجعله حرفاً اذ ليست له صورة في النطق . فافهم ! والحمد لله على ما فتح . وصلى الله على سيدنا محمد ... وآله وصحبه ... » .

٥) « طراز الحرر البارزة من خدور رحمة الجمهور »[2] . — البداية : « الحمد لله الذي اخرج من كتم العدم من حمل امانة اسمه الاعظم . فأقامه على وتيرة العدل المستبين ... » . — النهاية : « والاعيان الامكانية على اصلها من حيث قابليتها الأولى رتبة الاحاطة .... وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى عترته وصحبه وورثته ... » .

٦) « رشف المعين من رشح بحر اليقين »[3] . — البداية : « الحمد لله الذي حطلت ديم عنايته ... فسالت أودية منها ... » . — النهاية : « وهو في منصب عزه المنيع على منهج العبودية المحضة ، مشيراً الى مرصده الاعلى ومرقبه الاسنى باشارة : « ليس وراء عبادان قرية » . — وصلى الله على سيدنا محمد صاحب هذا القدر الجليل بلا مرية . »

---

١) عنوان الكتاب الرابع من المجموعة ، ورقاته : ١٢٩ا—١٤٨ب .

٢) عنوان الكتاب الخامس من المجموعة ، ورقاته : ١٤٩ا—١٥٩ا . — هنا يذكر المصنف اسم كتاب له (ورقة ١٥٣ب) بعنوان : « معارج الألباب في كشف مداولة الانراد والاقطاب » . وهذا الكتاب في الوقت ، على ما نعلم ، نسختان : الأولى ، محفوظة في خزانة جار الله (مكتبة ملت ، اسطنبول) تحت رقم : ١٠١٥ /١٨٧ا—٢٢٣ب ؛ — الثانية ، في خزانة السليمانية (مكتبة السليمانية : اسطنبول) تحت رقم : ١٠٢٨ /٣٠٠ا—٣٠٩ب . وكلتا النسختين لا تحتويان على ذكر اسم المؤلف ... هذا ، وصاحب «ذيل كشف الظنون» (الجزء الثاني/٥٠٣) ينسب الكتاب المتقدم الى السهروردي الفيلسوف . وهذه النسبة خطأ ، لأن المصنف يقتبس من كلام ابن عربي (انظر نسخة جارالله ، ورقة : ٢٠٣ب—٢٠٤ا) . كما ان الاستاذ جميل العظم ، في كتابه : «عقيد الجواهر» (ص : ٣٧ ، ط. بيروت ، سنة ١٣٢٦ هـ.) ينسب نفس الكتاب الى ابن عربي : وهذا ايضاً خطأ ، لنسبة المتقدم .

٣) عنوان الكتاب السادس من المجموعة ، ورقاته : ١٥٩ا—١٦٨ب . — وهنا يذكر المصنف ايضاً عنوان كتابه المتقدم : « معارج الالباب ... » (ورقة ١٦٧ا) وينقل نصوصاً من كتاب « التجليات الالهية » التي ينسبها الى ابن عربي (ورقة ١٦٨ا) .

٧) «غنية الطالب فيما اشتمل عليه علم الوهم والسروده من المطالب»[١]. البداية : « الحمد لله الذي جعل الانفاس اوعية أسراره . واظهر بها ما أودع منها آيتي ليله ونهاره ... » . — النهاية : « أنجح الله مقاصدنا في الخير . وعوقنا عن طرق تنتهي بنا الى ما لا طائل فيه . — وله الفضل والمنة ! وصلى الله على سيدنا محمد الظاهر بلسان صدق في العالمين : وعلى آله وعترته وصحبه وورثته . »

٨) « منتهى البيان في كشف نتايج الامتنان وشرح مقارنة الاسماء والاعيان»[٢]. — البداية : « الحمد لله الذي قدر الاعيان في قرار. وجعل الانسان موقع نجوم الاسرار ... » . — النهاية : « رزقنا الله واياه ما طالت اعناق رومنا اليه . وجعلنا من الفائزين برعايت المراهب لديه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ... » .

٩) « لوازم التعريف للمقام الشريف »[٣] . — البداية : « الحمد لله الذي رفع المقدار بالحركة والقرار ... » . — النهاية : « ودار بين الجذب والتسديد مع الخلق الجديد ... وصلى الله على هادي العباد الى سبل الرشاد ؛ وعلى آله وصحبه وورثته الاقطاب ... » .

---

١) عنوان الكتاب السابع من المجموعة ، وورقاته : ١٦٩ا—١٧٦ب . — يعرف المصنف نفسه « علم الوهم » بأنه «ما يحصل به للنفس الاقتدار على جمع قواد الراهة على مقصود بعينه » (ورقة ١٧٠ب) . اما علم «السروده» : « فهو العلم بأحوال النفس الانساني في كينه وكه » (ورقة ١٧١ا) . — هذا ؛ و « السروده » كلمة سنسكريتية مركبة من *Sa* و *Rudh* ، ومعنى هذه اللفظة : « كل ما من شأنه ان يميز » ، أنظر : *Dictionnaire Bohtlingk et Roth, Sanscrit Worterbuch*, art. *Rudh* وهذه النسخة اليتيمة في غاية الاهمية بالنظر الى موضوعها الخاص . فهي ، كما يقول المصنف ، من اصل هندي (سنسكريتي) ترجمت أولاً الى الفارسية ثم الى العربية. فهي اذن من جملة الوثائق التاريخية التي تصور نفوذ التراث الهندي في الثقافة العربية عن طريق اللغة الفارسية. ان هذا الكتاب ، من هذه الناحية شبيه برسالة « حوض الحياة » و « مرآة المعاني » وان كان متأخراً عنهما من الوجهة التاريخية . بخصوص رسالة « حوض الحياة » انظر (يوسف حسين) : « *La version arabe de l'Amrat-Kund* », in *J.A.*, T. CCXIII, nº 2, Oct.-Dec. 1928, pp. 291-344. وانظر ايضاً (ماسينون) : « *Textes inédits*, p. 119, note 2 » و برو كلمان : « *Pour une* *G.A.L.*, I, 379/97-100 et *Suppl.*, I, 786/19 وانظر ايضاً (هنري كوربين) : *morphologie de la spiritualité shi'ite* », in *Eranos*, XXIX, p. 102, nº 34 واخيراً : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabî* », I, pp. 287-288

٢) عنوان الكتاب الثامن من المجموعة ، اوراقه : ١٧٩ا—٢٠٢ا .

٣) عنوان الكتاب التاسع من المجموعة ، اوراقه : ٢٠٣ا—٢١٥ا .

١٠) « اعلام الشهود في كشف مبهمات الوجود »[١] . — البداية : « اللهم يا من تجلت ذاته في احديته عليه . واتتضت ان لا يعود ذلك منه إلا اليه ... » — النهاية : « ... النافذة الى انفس الذخاير في اقدس الحظاير . — نجز بحمد الله. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ... » .

١١) « معالم رشح اليقين عن مخايل الظن والتخمين »[٢] . — البداية : «الحمد لله الذي جعل العقل سراج الظلم ومعراج الحكم . وعلم به الانسان ما لم يعلم ... » . — النهاية : « وقد تيسر انجاز الغرض بالاسعاد الالهي ... فله الحمد اولاً وآخرًا ... والصلاة على محمد وعلى آله وصحبه ... » .

١٢) « تفسير وتوضيح ﴿ شهد الله انه لا آله إلا هو[٣] ﴾ . — البداية: «الحمد لله الذي منّ على الانسان بمرسلات الاحسان ...» . — النهاية: «... على وقوع الفعل الثاني واعتراض ما بينهما . — والله اعلم بحقائق الامور ... وصلى الله على سيدنا محمد ... وعلى آله وصحبه ... » .

(يتبـــع)

---

١) عنوان الكتاب العاشر من المجموعة ، اوراقه : ٢١٦ا–٢٣٤ا .

٢) عنوان الكتاب الحادي عشر من المجموعة ، اوراقه : ٢٣٦ب — ٢٤٠ب . — هنا يذكر المصنف : « ضابطة حكمية في تقسيم المبحود على رأي الحكماء المتقدمين والمتأخرين » (ورقات : ٢٣٦ب– ٢٣٩ا) ، و« ضابطة كلامية في تقسيم المعلوم على رأي فرق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين » في ورقتين : ٢٣٩ب — ٢٤٠ب .

٣) تفسير صوفي للآية الكريمة رقم ١٨ من السورة الثالثة (سورة آل عمران) في ثلاث ورقات : ٢٤١ب–٢٤٣ا .

آدم وحواء

نشيد للقديس الشاعر رومانس المرنم

عرّبه وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري ق. ب.

المقدمة

نزفّ هذا النشيد لأول مرة للقراء وقد سلّمته الينا الدروس النفيسة التي أنشأها العلاّمة نقولاوس توماداكيس[1] اخذاً عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة في جزيرة باطمس تحت عدد (٢١٢) م. هـذه المخطوطة هي من القرن الحادي عشر ويحمل النشيد التوزيع التالي :

نشيد الوضيع رومانس Τοῦ Ταπεινοῦ Ῥωμανοῦ ὁ Ὕμνος .

وهذه الأحرف توزع على اوائل المقطوعات الاربع والعشرين.

وضع هذا النشيد ليوم الاربعاء من الاسبوع الثاني للصيام مع ان الفروض الالهية البيزنطية الحالية تخصص احد المرفع لذكر طرد آدم من الفردوس ونواحه على فقدان الفردوس بعد سقوطه في الخطيئة والعصيان.

ولا ينتظر القارئ ان يكون النشيد هذا في الاسبوع الثاني من الصيام بل ان يكون في مطلع الصيام وقبل بدئه.

فالنشيد موقوف بموضوعه على سقطة آدم وحواء وعلى ضرورة التوبة ويجب ان يكون كمقدمة للصيام الاربعيني كما هو نوح آدم Θρῆνος Τοῦ Ἀδὰμ الموضوع لأحد المرفع قبل بدء الصيام.

ان نشيد آدم وحواء هو عظة شعرية على الصيام فيها يشرح الشاعر الأسس التاريخية والقيمة الروحية للصيام ومعناه الرمزي ومدته التي ترمز الى « عشر » أيام السنة.

والنشيد كامل في نصه وليس فيه تشويه او نقص او اقسام مبتورة فالمخطوط الذي يحويه كامل وحالته حسنة اما ما جاء فيه من قليل الغموض فلا يعيق قراءته بغنٍ ولذة.

---

[1] Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι Ἀκατάνυκτα Εἰς Νικόλαον Β. (Τοῦ Ταπεινοῦ). Ἐν Ἀθήναις, Θησέως 9 + (1959 - 1961 P. 457 - 500)

محتويات النشيد

ان موضوع النشيد الحاضر هو وصية الصيام الاخية ويقسم الى ثمانية اقسام :

١ – المقدمة (١–٦).

تحمل المقدمة عادةً موضوع النشيد اما هذه فلا تتكلم عن الصيام مباشرة بل تذكر النفس البشرية بالتوبة وتحضها على نيل الغفران .

اجل ان زمن التوبة والالتجاء بدموع وزفرات الى المسيح والتوسل اليه لنيل الغفران يتفق وموضوع الصيام .

٢ – الاسناد العقائدي للصيام (٧–٧١)

هو القسم الاخباري من النشيد ويحوي التفسير الرمزي للعهد القديم ويصور وصية الصيام الاخية للابوين الأولين . وهذه الفكرة السائدة عبر النشيد كله ليست خاصة بالشاعر رومانس فالآباء الاولون في القرون الاولى للنصرانية مزجوا الحادثين معاً . ففي البدء كانوا يرددون بأن الصيام هو الوصية الاولى من وصايا الله[1] .

والمسيح نفسه وان يك إلهاً فقد صام اربعين يوماً واعطى ذاته لنا قدوةً ومثالا . (مقطوعة ١) .

والانبياء الكبار في العهد القديم كموسى وايليا الحائزان دالة والمتكلمان مع الله التجأ الى الصيام الذي يعطي انفسهم اجنحة فتصعد الى الله ويحفظهما بالاتحاد به (م. ٢) .

والصيام مع الصلاة له قوة كبيرة حتى انها تخرج الشياطين وتطردهم بحسب كلمات المسيح نفسه (م. ٣) .

وبالصيام يحصل تطهير الجسد والنفس وارتقاء الارضيين الى العلاء وتتجلى بوضوح معرفة الله وحقيقته وبالصيام يرجع الانسان الى الفردوس الذي طرد منه بسبب المعصية (م ٤) .

والخالق الحكيم اعطى المخلوق الأول وصية إلهية وسلّمه الى يد الصيام فطالما يحفظ الانسان وصية الخالق يقضي حياة ملائكية ولكن عندما يخالف الأمر الالهي يعاقب بالطرد من الفردوس وتحل به الاحزان والاوجاع . (م. ٥) .

١) يوحنا فم الذهب (مين ٤٩–٣٠٥) .

٣ – تشريع الصيام في الفردوس (٧٢–١١٠)

اعطى الله آدم السلطان على كل شجر الفردوس والتنعم بكل غراسه (م. ٦) . ومنع الاله آدم عن الاكل من شجرة واحدة لكي يجرب طاعته للخالق (م. ٧) . وانذره بعقاب الموت اذا جرّب واقترب واكل من شجرة معرفة الخير والشر (م. ٨) .

٤ – حوار الحية مع حواء (١١١–٢٠١)

الشيطان يتبع بثناع الحية ويراقب الانسان ويقترب اولا من حوء لانها آداة ضعيفة (مقطوعة ٩) .

يحمل الشيطان النفع المبطن والمحبة المغشاة لآدم وحواء ويعمل بشكل حية فتطرح السؤال على حواء المرأة الاولى: لماذا تمتنعان عن التمتع بغراس الفردوس؟ (مقطوعة ١٠) .

فتجيب حواء ببساطة وبراءة ان الله قد اوصاهما وامرهما. وهذا ما يجهله الشيطان لانه لا يعرف كل شيء مثل الله . اما المنع فقد انحصر في شجرة واحدة (مقطوعة ١٢) .

مناجاة الشيطان لنفسه يدبر الحيلة ويستعمل الملاطفة والمداهنة فيمزج المراوغة بالخداع لئلا يفقد الثقة عند حواء (م. ١٢) . فيمدح الشيطان ، بلسان الحية ، الله وصدقه ثم يصور لها المنع نتيجة حسد الله ، لئلا يصير الابوان الأولان شبيهين بالله اذا أكلا من الشجرة العجيبة (م. ١٣) .

اذن ليست الشجرة رديئة وميتة فالله الكامل الصلاح لا يغرس شجرة في وسط الفردوس لتحمل الموت والألم . ان الله خلق كل شيء وزآه حسناً . (م. ١٤) .

واخيرًا دفعت الشهوة حواء فنظرت الى الشجرة فاذا بها بهية للنظر جميلة وطيبة للاكل فأحرقها ألم الشهوة (م. ١٥) . وتناجي حواء نفسها وتلقي نورًا على الصراع فتقدم لذاتها البراهين وبواسطة هذه البراهين الواهية توطد العزم وتمضي في سبيل تحقيق الشهوة والانية . لا مصلحة للحية ولا منفعة لها لتكون عدوة الله . فالشجرة بهية جميلة ولها منظر عجيب. وهكذا أسرعت حواء فقطفت واكلت من الشجرة .

٥ ــ توبيخ الشاعر لحواء (٢٠٢ــ٢١٤)

يوبخ الشاعر حماقة حواء : لماذا لم تنحصي اذا كانت آمالك تحققت ثم تحملين الثمرة الى قرينك ؟ (مقطوعة ١٦) .

٦ ــ حوار آدم وحواء (٢١٥ــ٢٥٣)

ويدور الحوار بين آدم وحواء . ركضت حواء الى قرب آدم حاملة الثمرة كنزَ اختبارها . لكن مخاوفها كانت وهمية . (مقطوعة ١٧) . تكلمت حواء عن اختبار : أكلت وما ماتت اذن كلام الحية هو اشد تأكيد من كلام الله . ولو كانت اقوال الله حقيقية لوجب على حواء ان تكون مائتة وعلى آدم ان يبكي على حواء (مقطوعة ١٨)

ولم تقترب الحية من آدم خوفاً من اختناقها في مسعاها فاستسلمت المرأة كحية شريرة واماتت الانسان بلدغها وهكذا لم ينجُ آدم من حيّته المتخفية اي من قرينته حواء (مقطوعة ١٩) .

٧ ــ نتائج الشراهة والصيام (٢٥٤ــ٣٠٥)

كانت نتائج الشراهة المشقات والعذابات هنا على الارض ثم الطرد من الفردوس وبسبب خطيئة انسان واحد اصبح جميع الناس مجرمين لانهم كلهم خطئوا بواحد .

اما نتائج الصيام فهي مضارعة الملائكة . فالمسيحيون بالصيام يصبحون كالملائكة ويمتلكون من جديد الفردوس المفقود (مقطوعة ٢٠) . وتكثر الحرمانات والتجارب المتنوعة في هذه الدنيا (مقطوعة ٢١) . وليس من العدل ان يكون الناس عبيداً لبطونهم او اكثر شراهة من آدم . ويبين الشاعر رمز الصيام بالعُشر الذي كان العبرانيون يؤدونه من اموالهم وخيراتهم (اعط الله عشر أموالك) فالصيام المقدس هو العُشر الروحي المقدم لله . (مقطوعة ٢٢) .

فالايام التي يصوم فيها المسيحيون هي ٣٦ يوماً ونصف اذاً يصومون عشر ايام السنة تماماً (مقطوعة ٢٣) .

٨ ــ الخاتمة (٣٠٦ــ٣١٨)

يختم الشاعر نشيده بالدعاء الى المسيح المخلص وبالصلاة وطلب الرحمة للذين صاموا وللذين لم يصوموا ويستعطف النادي بشفاعة امه مريم لينال الحياة الابدية .

مصادر النشيد

يستوحي الشاعر افكاره من ينبوعين الينبوع الاول سفر التكوين ومن اسفار اخرى من العهد القديم [وخصوصاً المكابيين الثاني والثالث] وبعض الاشارات من العهد الجديد والينبوع الثاني من اقوال الآباء .

مما لا شك فيه ان رومانس كان يستقي من الينبوع الغزير من اقوال يوحنا فم الذهب خصوصاً من شروحاته على سفر التكوين وربما تتبعها في نصوصها الحرفية ويستقي ايضاً من اقوال كيرلس الاسكندري واثناسيوس الكبير وباسيليوس اسقف سلوكية .

قيمته

ليس هذا النشيد باجمل اناشيد رومانس مع ذلك له صفات وافية لتظهر الجمالات الشعرية التي ينثرها الشاعر .

فنحن اليوم لا نحكم الا على القيمة الشعرية ولكن جمال الاناشيد يقوم اولاً على الموسيقى التي لسوء الحظ نجهلها . ويقوم جمالها على الآداء والتمثيل بالايماء وعلى الجمالات اللفظية من بيان وطباق وجناس وصور شعرية وعروضية وصور رمزية منتشرة في مقطوعات الاناشيد .

والنشيد في اهابه الحاضر يؤلف وحدة في الموضوع وفي مشاهده يتخلل الحوار الرشيق المقتضب فيضفي على المقطوعات وشاحاً من الجمال الرائع ويحرر هذه المقطوعات من الثقالة التعليمية .

وليس موضوع النشيد بجديد انما نوع الاسناد والبراهين له مصادره من الآباء والكتاب المقدس .

مع ذلك كم هو جميل وعجيب النوع الذي به يلبس رومانس اقوال الكتاب والآباء النثرية اهاباً شعرياً ولكن بعد ان يستسيغ تلك الاقوال ويصهرها في بوتقة عبقريته وعمق تأملاته فيعطيها للعالم بقالبها الجميل الرشيق .

النشيد

مقدمة

١ — استسلمي . يا نفسي : للتوبة . ،
وبالفكر اتحدي بالمسيح
واهتفي بزفرات :
اعطني مسامحة
اعمالي الفظيعة :
٥ — لكي آخذ منك ،
ايها الصالح وحدك :
الغفران والحياة الابدية .

نحن الذين حفظنا
تعاليم الرب والمخلص
نرجو بالاعمال والايمان .
١٠ — ان نحظى بسعادة الرجاء[١]
لذلك نكرم
هذا العمل البطولي
ونحب الصيام
الذي تكرمه الملائكة .
الانبياء حفظوا الصيام
وكانوا من الارض ؛
ثم صاروا مضارعين
١٥ — اجواق الملائكة .
والمسيح نفسه لم يخجل
من اكمال عمل كهذا ،
بل صام طوعاً[٢] ،
وبالصيام رسم لنا الطريق
والحياة الابدية .

ونعلمُ ان موسى وايليا[٣]
البرجين الناريين ؛
٢٠ — كانا عظيمين بالاعمال
وصارا الاولين بين الانبياء .
وامتلكا دالة لدى الاله .
كانا يسيران ويقتربان منه
يضرعان اليه ويتحدثان اليه
٢٥ — وجهاً لوجه[٤] ،
ومع ان هذا امرٌ عجيب وغريب.
مع ذلك لاذا
باندفاع نحو الصيام ؛
وبه تقدما
٣٠ — الى الله[٥] ؛
فالصيام مع الاعمال
يمنح الناس

الحياة الابدية .

(١) تيطس ٢—١٣
(٢) متى ٤—٢
(٣) سفر الملوك الرابع ٢—١١
(٤) سفر الخروج ٣—٤ ، ٧
(٥) سفر الخروج ٣٥—٢٨

بالصيام ، كما بسيف ،
تُطرد جميع الشياطين :
الذين لا يتحملون افراح الصيام
ولا يقوون عليه .
يحبون الاكول الشريب ،
واذا ما شاهدوا
طلعة الصيام .
فلا يستطيعون الوقوف .
بل يعدون بعيداً .
كما علمنا المسيح الحنا
حين قال :
ان جنس الشياطين
يُغلب بالصوم والصلاة[1]
لذلك تعلمنا نحن
ان الصيام
يهب الناس
الحياة الابدية .

ان جمال الصيام النقي
هو الطهارة
ام العفاف :
تجري يتبوع الفلسفة
وتنيل الاكليل .
تضمن لنا الفردوس .
وترجع للصائمين المسكن الابوي
فمنه طرد آدم :
ولكن بعد ان جلب الموت معه .
وبما انه امتهن كرامة الصيام
فالاله خالق العالم
وسيده ،
عندما ابصر الصيام محتقراً
غضب للحال ،
واما الذين يحترمون الصيام
فقد وهبهم
الحياة الابدية .

(١) متى ١٧-٢١

ان المحبَّ البشر نفسه
استودع منذ البدء
الانسان المخلوق ،
٦٠ ــ الى سلطان الصيام كالى معلم،
وسلم حياته في يد الصيام .
فلو حفظه
لسكن مع الملائكة .
لكنه رفضه
فوجد المشقات والموت ،
٦٥ ــ وقساوة الاشواك والعليق ؛
وضنى الحياة الاليمة[1] .
اذا كان الصيام
ظهر مفيداً
حتى في الفردوس ،
فكم هو اكثر افادة
٧٠ ــ في هذه الدنيا ،
وينال لنا
الحياة الابدية !

لما وضع العلي في الفردوس
آدم الانسان الخليقة الاولى ،
٧٥ ــ امره ان يأكل من كل شجرة[2]
كما كتب
لكن منعه عن الاكل
من شجرة واحدة .
وهذه كلمات الخالق
المفعمة حناناً ؛ قال :
تمتع بكل ما انعمت به عليك ؛
واني اسر
بان تتمتع بكل هذه .
٨٠ ــ واذا حفظت وصيتي ؛
فسأحفظك متمتعاً بها .
ولهذا تحفظك نعمتي
بعيداً عن الفساد ؛
بما انك قد اخذت
الحياة الابدية .

(١) تكوين ٣–١٧ و١٩

(٢) تكوين ٢–١٥ و١٧

اسمع ، يا آدم ، كلماتي .
٨٥ ــ وانتبه بدقة للامر هذا
اني آمرك ان تمتنع
عن واحدة من هذه الاشجار
لا لأنها رديئة من طبعها
بل لان مخالفتها
٩٠ ــ تُفسد طبيعتك .
ان جوهر الشجرة
ليس بمضر .
لكن التناول منه
يكون لك سبب اذًى
فانه يحمل
مخفياً فيه
ارتباك الافكار
٩٥ ــ وسيف المذاقة
اذا اكلت منه
تفقد
الحياة الابدية .

ها انا آمرك ، ايها الخليقة الاولى
ان لا تمس هذه الشجرة
التي كلمتك عنها .
١٠٠ ــ واذا مسستها حقيقة
أُسلمت فورًا
الى الموت كسارق[1] .
لا لانك لا تقوى
على احرازها
بل لانك غدوت بلا ايمان ،
ولا قيمة لك .
اني دعوتك الى وصية صغيرة
الهية وسهلة .
١٠٥ ــ ولذا وهبتك بسخاء
الاشجار الاخرى
لكي تتمتع بها كلها
ولا تغدو خاضعاً للموت ، .
فانت صورتي وتملك[2]
١١٠ ــ الحياة الابدية .

(١) تكوين ٢–١٧

(٢) تكوين ١–٢٦ و٢٧

لقد احترم آدم وحواء
الشريعة الالهية .
التي اخذاها قبلاً ،
لكن الشيطان كان يراقب
حركات الشهوة
١١٥ ــ ويحاول خداعهما[1] .
وما دام يشاهدهما
مختفيَين عن حكمة
فما كان يجسر ابداً
ان يقترب من الكائن البشري.
انما اختال لما شاهد
حواء منتصبة وحدها ،
قرب الشجرة استخدمها
١٢٠ ــ ووضع حجر العثرة
ليبوي الكائنان البشريان ،
اللذان بنعمة
اخذا قبلا
الحياة الابدية .

وبغش تقدم الشرير من المرأة
١٢٥ ــ كصديق وأليف ؛
وطرح عليها سؤالا
ملؤه خداع .
وخاطبها بشفقة
« لمَ اعطاكما الله الفردوس ؟
كأنه يحبكما
١٣٠ ــ لمَ منعكما ان تأكلا
من جميع الغراس[2] ؟
يا له من كريم !
وما انكما في الفردوس
لاي سبب
منع عنكما اللذة
التي يوحيها الفردوس ؟
كيف تستطيعان
بدون اللذة
١٣٥ ــ ان تملكا
الحياة الابدية ؟ »

(١) سفر الرؤيا ١٢–٩ (٢) تكوين ٣–١

خدعت حواء
بهذه الاقوال
فاجابت :
« ضللتَ فلا تعرف
١٤٠ — ما امر به الرب .
لقد اعطى الاله
الفردوس كله للتنعم
وكمائدة للذين خلقهم .
لكنه منعنا عن الاكل
فقط من شجرة واحدة[1] :
قد تكون عائقاً لحياتنا
وهذا المنع
١٤٥ — يفيدنا نحن الاثنين
وجدير بان يزرع فينا
وجدان الخير والشر .
لقد اخذنا قبل الاوان
ملكاً لنا
الحياة الابدية ».

ان العدو مزج
١٥٠ — المذاقة العذبة
بالكلام المميت .
فاليك ما قاله في نفسه
العدو الكبير :
عندما بدأ يفكر :
« ان لم اضع في نيتي الغش .
١٥٥ — وان حكمت على الله في أقوالي ،
خامر حواء الشك فيَّ
وحكمت اني ابغض الله
فافقد عندها الثقة .
فانا لا اعلم حتى الآن مقاصدها .
آه لو استطيع
١٦٠ — نقض خواطرها !
لربما سمعت لي
ساستعمل الخداع
وادنو من اللذين اخذا
الحياة الابدية . »

(١) تكوين ٣-٢ و ٣

ما كادت تفكر الحية
بمثل هذه الافكار
حتى صرخت بحواء
قائلة : « اني اسرّ
١٦٥ — بوفرة الذذائذ
التي اخذت .
اني امدح الله الحق
انه لم يكذب عليكما
اذ اوحى اليكما ،
كم هي كبيرة هذه الغرسة .
انها تعطي
١٧٠ — معرفة الخير والشر .
لكنما الله وحده
يملك الحكم على جميع الامور ؛
ولذا منعكما ان تأكلا
من هذه الشجرة
التي تعطي
١٧٥ — الحياة الابدية .

ألست عارفة
بان الله صنع
حسنة الخليقة كلها[1] ؟
انه هو عمل
كل الاشياء حسنة ؛
١٨٠ — فكيف يرضى ان ينبت الموت
في وسط الفردوس ؟
لا ليست شجرة المعرفة
بحجر عثرة .
انكما لن تموتا
اذا ما اكلتما منها ،
بل بها ستكونان كآلهة ؛
لتميزا الخير والشر كما هو الخالق[2]
١٨٥ — لذا تبين للنظر
وفي وسط الفردوس
انها تعطي

الحياة الابدية . »

(١) تكوين ١—٣١ (٢) تكوين ٣—٤ و٧

وعندما رأت حواء
١٩٠ ــ ان الشجرة جميلة وطيّبة ،
اشتعلت بالشهوة
واسرعت الى المذاقة .
وحثت ذاتها
قائلة بفكرها :
« هل من تشير عليّ بهذا
هي عدوة لله ؟
١٩٥ ــ أيةُ عداوة للحية
نحو الخالق ؟
ان الشجرة بهية للنظر .
سأسرع الى الطعام
الذي يجعلني متأنقة .
سأتنعم بهذه الثمرة ،
التي عندما رأيت منظرها
يبست من الشوق[1]
٢٠٠ ــ ساعطي قريني منها
حتى تملك
الحياة الابدية . »

قبلتِ الآن ، يا حواء النعسة ،
هدية تحمل الموت :
واكلت منها .
لمَ تركضين
٢٠٥ ــ لإهلاك قرينك معك ؟
افحصي ذاتك بدقة .
انظري اذا كنت
قد عدوت بالمذاقة
ما كنت تنتظرين :
او اذا كنت الهاً كما رجوت.
فاعرفي الأمر هذا اولا .
وبعدئذ اسرعي ، يا امرأة ،
وحضي قرينك على المذاقة :
٢١٠ ــ لا ! لا تجعلي قرينك
شريكاً لك في الهلاك !
لمَ هذا الاسراع
وتعتقدين ان ثمرة هذه الشجرة
قد اعطتك
الحياة الابدية ؟)

(١) تكوين ٣-٦

عندما خُلبت
حواء بالشجرة
هلكت
فهي ما كادت تتنعم
حتى اسرعت واعطت
آدم ايضاً من ثمرة الشجرة[1]
لقد عملت كانها حملت
له هدية جميلة
وقالت له : يا شريكي ،
كنا حتى الآن نعيش قرب كنز ؛
وكانت رغبة عجيبة
تولّد الخوف فينا ؛
فالآن انا اعلم عن خبرة ؛
ايها القرين ، باننا كنا
نغذي خوفاً بلا سبب .
انا اكلت منه
وها انا بالقرب منك احياسعيدة
واقطف عن الشجرة ما يعطي
الحياة الابدية) .

ان كلام المشيرة ،
كما اختبرت الأمر ،
هو حقاً صدق .
اكلت وما متُّ كما سبق الله فقال .
وانا هنا امامك مليئة بالحياة ؛
واما امر الله فلم يكن سوى نظاهر ؛
فلو كان الأمر حقيقة
لكنت انت بكيتني
ميتةً وملقاة
على سرير الموت .
فخذ اذن : يا رجل ؛
وتنعم
بطبيعة هذا الثمر
خذ كرامة الهية
سوف تغدو إلهاً ؛
مثل ذاك
الذي يعطي
الحياة الابدية » .

(١) تكوين ٣-٦

قلت قبلاً ،
ان الحية ما جسرت آنذاك
ان تقترب من آدم
لخوفها من خيبة الأمل ،
في حرارة رغبتها .
٢٤٥ — ولكن حيّة اخرى
ظهرت اكثر رعباً
واكثر حية
من تلك الحية .
ومن لم تلدغه حية ،
هذه المرأة اماتته .
لقد لاطفته آنذاك
ونفثت فيه سمها ؛
٢٥٠ — كسرته فكسرت ذاتها :
وبغلال الاكل
جعلت ضحايا الحية ؛
امواتاً فقدوا
الحياة الابدية .

ان هذه الخديعة
٢٥٥ — احاطت بآدم التعس :
فجرح بجرح واحد[1]
كل الجنس البشري
لأجل اكله من الثمرة .
وبسبب ذلك وبعصيانه
تجندل الى الارض
وتعرّض لكل انواع المشقات
فالمقياس اللائق
٢٦٠ — والمفيد في الصيام[2] :
القائم بأن يتجنب الانسان
الافراط من الشراهة :
هذا لم يعرف آدم أن يحافظ عليه.
اما المسيحيون من كل الامم
فيتمرسون عليه بحرارة ،
٢٦٥ — مضارعين بذلك الملائكة :
على أمل ان ينالوا
الحياة الابدية .

(١) تكوين ٣—١٧ و ٢٠
رومانيين ٥—١٢ و ١٩

(٢) متى ٢١—٢٩ و ٣٠

عظيم هو الصيام
الذي اليه دعي آدم .
٢٧٠ — ان غذاء ابينا قبلاً .
لم يكن سوى اعشاب .
ومع ذلك فهو نفسه
لم يعرف القناعة .
اما في ايامنا هذه
فملذات الجسد
هي من كل الانواع .
اطايب الاسماك
والعصافير والطيور[1] .
٢٧٥ — وتنوع الغراس والبذار .
الطُهاة والموائد
وملذات الولائم :
التي تثير
شهيتنا النهمة :
وانما تحرمنا
الحياة الابدية .

عندما اتكلم بهذا الآن ،
٢٨٠ — لا احثكم ؛ ايها الاصدقاء :
على اتباع الشراهة .
ولا اريد ان اصيّركم
اشدّ شراهة من الأب الأول[2] .
وما اردت ان اتغنى به
ايها المسيحيون المؤمنون
انما هو حماستكم
٢٨٥ — لفضيلة الأمساك السامية .
لانكم عندما تحفظون الصيام
في هذه الايام
تبادرون الى دفع العُشر
لالهنا كما في كل سنة
وكما كان العبرانيون[1]
الى السيد يحملون
٢٩٠ — عُشر خيراتهم ،
رمزًا للصيام الآتي ،
الذي به ننال
الحياة الابدية .

(١) اعمال ١٠—٩ و١٦

(٢) تكوين ١٤—٢٠ عدد ١٨—٢٤ .
عبرانيين ٧—٤ و٥ ؛ لوقا ١٨—١٢

ايها الاحباء ؛
لنضع بوضوح
٢٩٥ ــ عدد العُشر من الصيام
سبعة هي اسابيع الصيام ؛
وفي كل اسبوع
خمسة هي الأيام
المنتقاة لممارسة الصيام .
فالايام التي فيها نصوم
هي خمسة وثلاثون يوماً ،
ويُضاف الى ذلك
٣٠٠ ــ نهار وليل السبت العظيم
لآلام المخلص .
وهذا العدد يؤلف
ستة وثلاثين يوماً ونصف ،
اي عُشر السنة ،
التي بها نمتلك

٣٠٥ ــ الحياة الابدية .

يا مخلص العالم ،
نسجد لك ،
ونقدم لك عبادة روحية .
يا محباً للانام، ايها الرحيم :
انت ارحم جميع الأنام .
٣١٠ ــ منا من اكل ومنا من صام ،
فجميعنا تمدحك
انت المخلص من الضلال
جميع الناس الذين خلقت[1]
انت هو الحنا ،
وان صرت انساناً ،
كما شئت فولدت
من البتول مريم ،
الكاملة القداسة
٣١٥ ــ والدة الاله الكاملة الطهارة :
لذلك نستعطفك :
بشفاعة أمك ،
اعطِ عبيدك
٣١٨ ــ الحياة الابدية .

(١) ١ كور ١٠-٣١

L'INSCRIPTION PHÉNICIENNE D'ABYDOS CIS. I. 102 a

PAR

A. VAN DEN BRANDEN

I. Origine de l'inscription.

La courte inscription phénicienne que nous allons étudier dans ces pages, provient d'Abydos en Égypte, l'actuel Arabat el-Madfunch. En ce lieu, on a trouvé de nombreuses inscriptions grecques, phéniciennes, araméennes et chypriotes, tracées sur les parois du temple d'Osiris construit par Sethe I (1305-1290). La plupart de ces inscriptions sont tracées au stylet et se trouvent à hauteur d'homme. Un certain nombre de ces textes ont été copiés par Th. Devéra au mois de janvier 1866 et par Brugsh peu après celui-ci. Depuis lors, les murs se sont davantage effrités entamant ainsi les inscriptions qui, déjà lors de la visite de Maspéro en 1881, étaient devenues pratiquement illisibles.

Devéra signale que l'inscription dont il est question dans notre article, était tracée en partie sur « la jambe d'un roi » dont la statue se trouve devant le grand escalier du temple. La partie de l'inscription couvrant la jambe du roi est mise entre deux lignes sur la copie reproduite sur la planche XVII de l'atlas du Corpus et elles figurent aussi dans la transcription du texte au numéro 102 a du *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, I. De ce même texte on trouve une étude dans Cooke, G.A., *A Textbook of North-Semitic Inscriptions*, London, 1903, nº 31 a; Lidzbarski, M., *Handbuch der nordsemitischen Epigraphik*, I, text, Weimar, 1898, p. 423, nº 9; RES. 1305 et KAI, nº 49, 34.

Nous disions que la plupart des inscriptions se trouvaient tracées au stylet et à hauteur d'homme. Elles sont, sans doute, dues à des pèlerins qui venaient faire leurs dévotions au temple d'Osiris à Abydos.

Abydos était, en effet, un des lieux les plus vénérables de l'ancienne Égypte. Durant l'Ancien Empire, sa sainteté provenait surtout du fait que les rois thinites y avaient construit leurs nécropoles. A partir de la fin de la Cinquième Dynastie, un changement s'est produit dans la destinée de cette vieille nécropole thinite. C'est à ce moment-là que le dieu Osiris commence à être invoqué dans les textes funéraires et que le pèlerinage d'Héliopolis, obligatoire à tout Égyptien, fut parfois remplacé par celui à Abydos où la légende situait le tombeau d'Osiris. L'évolution théologique aboutit dès la Sixième Dynastie à l'identification du roi mort avec Osiris. Ce même privilège fut bientôt accordé à la famille du roi et à ses grands fonctionnaires, mais ne fut pas reconnu aux simples gens. A la fin de la Sixième Dynastie, les princes des nomes, en usurpant les droits politiques des rois, s'attribuèrent également ces privilèges religieux de l'outre-tombe et finirent par les partager également avec leur famille et leurs grands dignitaires.

Mais bientôt, à la fin du long règne de Pepi II, l'invasion bédouine et la guerre civile mirent le désordre dans le pays. Le peuple alors, profitant de cette anarchie, ne réclamait pas seulement ses droits politiques mais encore ses droits religieux, c.-à-d. les mêmes privilèges des rois et des grands dans l'au-delà. Cela ne se passait pas sans heurt et c'est probablement à cause de certains engagements dans le sens des désirs du peuple que le roi thébain Antef II, de la Onzième Dynastie, a pu vaincre son adversaire hérakléopolitain et s'emparer d'Abydos. Ceci était, avec le triomphe du peuple, aussi le triomphe d'Osiris. Dorénavant tout défunt, sans distinction de classe sociale, devient, après avoir passé par le jugement d'Osiris, un « juste de voix », c.-à-d. « un Osiris justifié ». Cette expression se rencontre pour la première fois sous le roi de la Onzième Dynastie Mentouhotep II, mais elle devient commune sur les stèles funéraires datant des rois de la dynastie suivante. La vieille nécropole thinite d'Abydos devient aussi le grand sanctuaire d'Osiris et obtiendra les privilèges du sanctuaire d'Héliopolis. Désormais, le pèlerinage funéraire sera dirigé vers Abydos et non vers Héliopolis comme il en était autrefois.

Les riches construiront près du tombeau d'Osiris leur propre tombe, les pauvres y planteront leur stèle. Mais les inscriptions sur les unes et les autres témoigneront du désir du fidèle de passer l'éternité auprès du dieu des morts, Osiris, de devenir, après sa mort, un autre Osiris, en somme, un ressuscité comme l'était Osiris lui-même d'après sa belle légende. Plus tard, St. Paul traduira à peu près la même idée quand il écrit: « J'ai le désir de m'en aller et d'être avec le Christ » (Philip. 1,23).

C'est avec ces sentiments que les fidèles s'en allèrent faire leur pèlerinage à Abydos, c'est avec ces mêmes dispositions que l'auteur de notre texte a dû faire ses dévotions dans le temple d'Osiris.

II. Contenu et date.

Cette petite inscription est la signature d'un pèlerin. Après avoir donné son nom, celui de son père et de son grand-père, il nous apprend qu'il est un affranchi, habitant de la ville d'On en Égypte, grâce au rachat d'un de ses compatriotes phéniciens qui, lui aussi, habite dans la ville d'On.

Il est difficile d'établir, avec quelque précision, la date exacte de cette inscription. On pourrait peut-être se baser sur le critère paléographique. Mais ici encore, se présentent des difficultés, étant donné qu'on ne possède aucune photographie, mais seulement une mauvaise copie tracée au crayon. Toutefois, d'après la forme de certaines lettres, on serait tenter de la dater de la fin du quatrième siècle avant J.-C.

III. Transcription et traduction.

1. *'nk p'l'bst bn ṣ dytn bn grṣd ḥṣry yš b dky*
2. *b'n mṣrm b ftrt 'bdmnqrt ḥ* [*'*] *n* [*y*]

1. Je suis Pa'al'ubast, fils de Ṣidyaton, fils de Gerṣid, le Tyrien, habitant affranchi
2. à 'On d'Égypte, par le rachat de 'Abdmenqart, l' 'Onite.

IV. Commentaire.

1. — *p'l'bst*, nom th. signifie « 'Oubast a fait », cf. aussi le nom *'bd'bst*, en grec Ἀβδουβάστιος, dans RES. 800,2; 918,2; CIS. 86 B,6; CIS.1988,6. Le *aliph* serait ici un *aliph* prostéthique, cf. Friedrich Gramm., p. 37, nº 95; *'bst* correspond à la divinité égyptienne Bastet, la déesse de Bubaste qu'on représentait comme une femme à tête de chatte, cf. Drioton, É. - Vandier, J., *Les peuples de l'Orient Méditerranéen*, II, l'*Egypte* (Clio), Paris, 1938, p. 69. Ce nom divin se trouve dans CIS. 1082,4 sans *alpih* prosthétique dans le nom théophore *'bdbst*. Hérodote II,60, nous apprend que les Grecs assimilèrent Bastet à Artémis et il en décrit les festivités liturgiques dans la ville de Bubaste. Dans II,137, Hérodote donne une description détaillée du temple de cette déesse, cf. Herodotus, *The Historias*,

Penguin Books, trad. de AUBREY DE SELINCOURT, 1960; p. 125 et pp. 156-157.

— *ṣdytn*, nom th. signifiant « Ṣid a donné ». Voir ce même nom dans CIS. 1323,3 et *ytnṣd* dans CIS. 645; 690; 773; 837; 1011; 1236,6; *'bdṣd* dans CIS. 2475,4; 2560,3; *ṣdšmr* dans CIS. 1323,6; 2212,3-4; *bdṣd* dans CIS. 2075,4 et *grṣd*, le grand-père de l'auteur de notre texte. Le Corpus signale le nom grec Σαδιδων qui pourrait correspondre au nom phénicien *ṣdytn*. Le nom *ṣd* rentre également comme élément composant avec un autre nom divin dans les noms divins *ṣd-mlqrt* dans CIS. 256,3-4; *ṣdtnt* dans CIS. 247,5 etc.; *ṣdb'l* dans CIS. 132,2. Pour le sens possible de ces noms cf. notre article « L'inscription phénicienne Dunand-Duru 13 de Oumm el-'Amed », dans *Al-Machriq*, 1964, p. 598.

Comme *'bṣt*, *ṣd* aussi est une divinité égyptienne, vénérée par les Phéniciens. Comme on vient de le voir, son nom rentre dans de nombreux noms propres, mais jusqu'à présent, on ne l'a pas encore trouvée à l'état isolé. Déjà à l'époque de la Première Dynastie on connaît, par la pierre de Palermo, un dieu *Sed*, dieu des morts et dont la représentation comme un loup se tenant sur un étendard nomique, rappelle le dieu Wepwawet en mémoire, cf. W.B. EMERY, *Archaic Egypt*, *Penguin Books*; 1961, p. 75 et p. 126. Ce dieu est-il identique au dieu *ṣd* de nos noms théophores? Ou faut-il plutôt chercher l'origine de Ṣid dans le *djed*, la stèle funéraire en tant que personnification du dieu Osiris? C'est l'opinion de W.F. ALBRIGHT, *Archaeology and the Religion of Israel*, Baltimore, 1946, p. 146, qui fait remarquer que le son égyptien *dj* est pratiquement toujours transcrit *ṣ* en sémitique et vice-versa, cf. *ibid.*, p. 215, note 57. Sur ce *djed* voir aussi VANDIER, J., *La religion égyptienne*, *Mana*, *Introduction à l'histoire des religions*, I, Paris, 1944, p. 189. Voir aussi KAI, II, p. 67, qui admet encore l'étymologie *ṣd*, « chasser ». Pour l'élément *gr* dans le nom *grṣd*, cf. notre article « Le relevé de comptes du temple de Cition », à paraître dans *Bibbia e Oriente*.

— *ḥṣry*, « le Tyrien », cf. pour la forme Friedrich Gramm., p. 90, nº 204; et dans le verset 2: *ḥ'ny*, « l'Onite », en grec dans CIS. 122 le pl. *Tyrioi*; voir aussi *ṣdny* dans CIS. 116,2; 308,4-5.

— *yšb*. Avec RES. 1305 nous traduisons ce mot par « Einwohner », « habitant ». Voir le même verbe dans Karatepe, I, 17, cf. notre article « Les inscriptions phéniciennes de Karatepe », dans *Melto*, I (1965), p. 76.

— *dky*, crux interpretum! Voir dans le Corpus, p. 123 et dans DISO ad verb. les différentes opinions concernant ce mot. RES.

1305 pense que ce mot indique un quartier de la ville de 'On, tandis que I. Chifman, *Grammaire phénicienne* (en russe), Moscou, 1963, p. 47, le traduit par « ici », traduction déjà rejetée par RES. Nous pensons que *dky* correspond à l'assyrien *dêkû*, « entfesselnd », « affranchi », cf. Bezold, C., *Babylonisch-Assyrisches Glossar*, Heidelberg, 1926, p. 106 et ce mot s'explique bien par la suite du texte. Ce *dky* correspondrait en somme au *hfsy* hébreu, cf. Ex. 21, 2, 5, 26 ss.; Dt. 15, 12 etc.

2. — *b'n mṣrm*, « à 'On d'Égypte ». C'est la ville égyptienne bien connue *iwnw*, cf. Erman, A. - Grapow, H., *Wörterbuch der Ägyptische Sprache*, I, p. 54, qu'on désignait en assyrien par le mot *ûnu* et en grec par le nom Héliopolis (Ἡλιούπολις), ville située à l'emplacement de l'actuel Maṭarîje près du Caire. La Bible la mentionne à plusieurs reprises dans Gen. 41, 45-50 et 46, 20. Par ce premier passage nous savons que le patriarche Joseph s'était marié avec Asenath, fille de Potifar, prêtre de 'On. 'On était un des grands centres de culte du dieu soleil, Râ, et le lieu de pèlerinage obligatoire à chaque Égyptien jusqu'au moment qu'Abydos s'appropriera ce privilège. La légende nous raconte qu'Actis, un des fils d'Hélius et de la nymphe Rhode, fut banni pour un crime de fratricide. Il s'enfuit en Égypte où il fonda la ville d'Héliopolis et, étant fameux astrologue, y enseigna l'astrologie aux Égyptiens. Cf. Graves, R., *The Greek Myths*, vol. I, Penguin Books, 1957, p. 155 et la remarque 4 à la p. 157. Comme la légende d'Isis à la recherche de son mari Osiris à Byblos, ainsi, cette légende signifie probablement seulement qu'il existait depuis la haute antiquité, des relations commerciales entre l'Égypte et l'île de Rhodes.

Quoi qu'il en soit de l'origine de la ville de 'On et de son temple, on sait en tout cas qu'elle remontait jusqu'à la plus haute antiquité. Le roi Ouserkaf, de la cinquième dynastie (vers 2563 avant notre ère) était grand-prêtre de Râ à 'On. Ce sont surtout les prêtres de 'On qui ont joué un rôle prépondérant dans l'élaboration de la théologie héliopolitaine qui tiendra si longtemps en échec la doctrine osirienne plus populaire. Cf. *Peuples et civilisations, Histoire Générale de Halpen et Sagnac*, vol. I, *Les premières civilisations*, Paris, 1950, p. 48; Bossert, H., *Reallexikon der Ägyptischen Religionsgeschichte*, Berlin, 1952, p. 534 ss.

L'auteur a employé le terme *'n mṣrm*, « 'On d'Égypte », probablement pour distinguer cette ville d'autres villes qui portaient le même nom mais qui étaient situées en dehors de l'Égypte, sinon la précision *mṣrm*, « Égypte » n'aurait pas de sens. Le Corpus, p. 123, signale un *'n bq'ṯ*, « 'On de la Beq'a », c.-à-d. la ville actuelle de

Baalbeck au Liban. Là aussi se trouvait un temple dédié au dieu soleil et la ville fut également appelée Héliopolis par les Séleucides et ensuite par les Romains. L'auteur, dont la famille était originaire de Tyr, a dû connaitre cette ville qui, à la fin du quatrième siècle avant notre ère, a déjà dû porter ce nom. Mais il semble bien qu'il existait encore un « 'On de Sidon », probablement une ville située près de Sidon en Phénicie. L'expression *b'n ṣdn*, suivant directement le nom propre d'une personne, se rencontre dans un texte punique édité par J. FÉVRIER dans *Semitica*, IV (1954), p. 13 ss. et VI (1962), p. 4 ss., ainsi que par CHIFMAN, J., dans *Brèves Communications de l'Institut National Asiatique*, n° 86, *Histoire et Philologie du Proche-Orient, Sémitologie* (en russe), Moscou, 1965, p. 121 ss. Février traduit cette expression par « sans monnaie », sous-entendu « il a été affranchi » tandis que Chifman la rend par « pour qu'il ne soit pas Sidonien ». Nous sommes d'avis que cette expression *b'n ṣdn* doit être traduite « à 'On de Sidon » quoiqu'on n'ait pas encore pu identifier cette ville. Voir notre article « MQNY HTRŠ, esclave héréditaire ou marchand de vin? », à paraître dans *Bibliotheca Orientalis*.

— *bfṭrt*, « par le rachat de », cf. en assyr. *patâru*, « racheter » et *eptêru*, « rachat », « (Sklave) - loskauf », cf. Bezold, *op. cit.*, p. 221. Le commentateur de RES. 1305,2 remarque: « *fṭrt*, « affranchissement », sens douteux et conjectural ».

— *'bdmnqrt*, forme dialectale pour *'bdmlqrt*, « serviteur de Melqart ». Cf. aussi CIS. 44,1; 53; 68; 78 etc. Pour le dieu tyrien Melqart, cf. W.F. ALBRIGHT, *Archaeology*, *op. cit.*, p. 81, qui explique le sens de ce mot. D'après CIS. 122 *mlqrt* est assimilé au dieu Héraklès et on l'appelle « notre seigneur ». Voir aussi HARDEN, D., *The Phoenicians*, Londres, 1962, pp. 85-86. Pour la représentation de ce dieu voir HARDEN, *op. cit.*, p. 93 et dans *BMB*, III (1939), p. 65; VI (1942), p. 6 ss. et sur les sceaux cf. CULICAN, W., « Melqart Representations on Phœnician Seals », dans *Abr Nahrain*, II (1960 61), p. 40.

— *'ny*, restitué, « l'Onite », cf. ad verset 1.

Ce Pa'al'ubast était donc un ancien esclave qui, probablement, avait été attaché au temple de 'On. Il devait sa liberté à un de ses compatriotes qui habite également dans cette ville. Il a dû appartenir à une ancienne famille d'esclaves phéniciens, famille originaire de Tyr, le grand-père portant le qualificatif *ḥṣry*. Mais à en juger d'après les noms propres, il semble bien que même le grand-père a dû naître en Égypte. Lui aussi, comme son fils et son petit-fils, porte un nom théophore dans lequel l'élément divin est constitué par le nom d'une divinité égyptienne. C'est donc probablement l'arrière grand-père de l'auteur de notre inscription qui a dû tomber

en esclavage et cela sans doute par faits de guerre, les prisonniers étant généralement vendus comme esclaves ou, en cette qualité, attachés au service des temples. Pour cette pratique dans le temple de Jérusalem, cf. DE VAUX, *Les institutions de l'Ancien Testament*, I, Paris, 1958, p. 126 et p. 139.

'Abdmenqart, à qui l'auteur de notre texte devait sa liberté, était aussi un citoyen de la ville de 'On. Toutefois, son nom semble bien indiquer qu'il était originaire de Tyr, le dieu Melqart dont il était le serviteur d'après son nom propre, étant le dieu patron de la ville de Tyr. Il se peut qu'il ait été lui-même esclave qui a réussi à se racheter ou qui a été libéré par un autre. A-t-il racheté Pa'al'ubast dans le but de l'associer à ses affaires? C'était une pratique courante. On connaît la fameuse histoire, datant également du IV^e^ s. avant notre ère, de l'esclave Pasiôn qui, affranchi par un banquier athénien et devenu lui-même riche banquier, rachète et affranchit l'esclave Phormiôn pour l'associer à ses affaires bancaires. Cf. CASSON, L., *The Ancient Mariners*, trad. holl. *Scheepvaart in de Oudheid*, Aula, Utrecht-Antwerpen, 1964, p. 136 ss.

Quoi qu'il en soit, ce petit texte nous montre le fait intéressant que les Phéniciens à l'étranger s'entraidaient et allaient même jusqu'à racheter leurs compatriotes esclaves. D'autre part il montre également que les Phéniciens nés en pays étranger ne craignaient pas d'adopter la culture, la civilisation et la religion de leur nouvelle patrie tout en sauvegardant les caractéristiques essentielles de leur pays d'origine. Pa'al'ubast, comme tout pieux Égyptien, fait son pèlerinage au tombeau du dieu Osiris à Abydos, mais il écrira son inscription en phénicien.

ABRÉVIATIONS

BMB = *Bulletin du Musée de Beyrouth.*

CIS = *Corpus Inscriptionum Semiticarum. Pars Prima, Inscriptiones Phoenicias continens*, Paris, 1881 ss.

DISO = Charles, F. Jean - Jacob Hoftijzer, *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de l'Ouest*, Leiden, 1965.

Dt. = Livre biblique du Deutéronome.

Ex. = Livre biblique de l'Exode.

FriedrichGramm. = Friedrich, J., *Phönizisch-Punische Grammatik* (*Analecta Orientalia*, 32), Roma, 1951.

Gen. = Livre biblique de la Genèse.

KAI = H. Donner - W. Röllig, *Kanaanäische und Aramäische Inschriften*, Band II: *Kommentar*, Wiesbaden, 1964.

RES = *Répertoire d'Epigraphie sémitique.*

th. = théophore.